أعده

الطيب بن طاهر المصراتي

فتح العلي الأكبر

في تاريخ حياة سيدي

عبد السلام الأسمر

منشورات

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

بيروت - القاهرة - بغداد



فتح العلي الأكبر
في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر

الطبعة الأولى

ربيع الأول ، ١٣٨٩ هـ

نوّار (مايو) ، ١٩٦٩ م

أبو علي
الطيّب بن طاهر المصراتي

فتح العلي الأكبر

في تاريخ حياة سيّدي عبد السّلام الأسمر

دار الكشّاف للنشر والطّباعة والتوزيع
بيروت - القاهرة - بغداد

مقدّمة النّاشر

هذا الكتاب ، وإن كان ترجمة لأحد أقطاب الصوفية ، عمل على تجميع عناصرها من المراجع المختلفة أحد المتحدّرين من القطب الشيخ عبد السلام الأسمر — وفي ذلك وحده الكثير من الفائدة والتحقيق العلميين ، إلا أنه كان وسيلة المؤلف إلى الكلام عن كثير من تفاصيل الحياة والمراسم والشعائر التي يقوم بها أولئك المتعبدون ، من مثل « الذكر » وأوصافه ، وأقوال الأئمة فيه ، وما ورد فيه من الآيات والأحاديث ، مع شرح ذلك ، والكلام على « السماع » أو « الحضرة » ، وهي مجالس يعقدها عدد من المريدين و « الفقراء » ، ينشدون فيها القصائد والأشعار المتضمّنة للمدائح النبوية ، مصحوبة بتوقيع الدفوف وبعض الآلات الأخرى . كما كان وسيلة له لإجراء المناقشة الواسعة المسهبة لموقع هذه الإجراءات الصوفية من الدين، على ضوء اجتهادات أنصارها والمناوئين لها، وإيراد النصوص المثبتة لكل من وجهات النظر المعروضة .

ثم إن الكتاب ، بعدُ ، كان فرصة لوصف الذكر والسماع والحضرة ، مع بيان تفاصيل الحركات والتوجهات التي يأتيها الذاكرون ؛ مع بيان المباح والمحبب — للقيام به ، والمحظور والمكروه — لاجتنابه ، وبيان نتائج كل ذلك، نقلاً عن أوثق المراجع التي انتهت إليه من المؤلفين الدينيين القدماء : الممارسين

منهم لهذه الرياضات الروحية ، والذين لا يمارسونها ولكن لا يعارضونها، والذين يرون فيها بدعة . مما يجعل هذا الكتاب ندوة حرّة لمعالجة الموضوع ، مع إبداء الرأي الخاص بصاحب الكتاب فيه ، وبيان تقيد صاحب الترجمة في كل ما كان يأتيه من أقوال وأفعال بالشرع الحنيف ، وجعله عـــدم مخالفة الشرع الشرط لتجويز أي عمل من أعمال الصوفية والفقراء التابعين لطرقهم .

وإذ جر المؤلفَ الكلامُ على أولاد الشيخ وأحفاده ، وجلهم علماء عاملون، وعلى أساتذة المترجم له ومشايخه وتلامذته ومريديه الذين أخــذوا عنه ، فقد حرص – أي المؤلف – على إيراد تراجم معظمهم مما خلص لنا منه طائفة عديدة من تراجم كل هؤلاء جعلت الكتاب ذا فائدة ونفع بالغين ، ورسمته مرجعـــاً ثبتاً يرتاح اليه كل معنيٍّ بالبحث .

لقد كان انتشار الطرق الصوفية ، كما كانت المرابَطـَةُ ذات الطابع الخاص، في الشمال الإفريقي عبر العصور الإسلامية المتتالية ، ظاهرةً وإن لم تقتصر على تلك الناحية من الممالك الإسلامية ، إلا أنها كانت ظاهرة فريدة طاغية ، صبغت الحياة العامة للشعوب التي عاشت فيه ، فطبعت حياة الأفراد هناك بطابع خاص ، وكانت الأساس في نشوء مؤسسات دينية واسعة الأثر ، تحوّلت في كثير من الأحوال إلى ممالك ، حتى دعت ابن خلدون ، المؤسس الأول لعلم الاجتماع ، أن يرى فيها شرطاً ضرورياً ، إن لم يكن أساسياً، لإمكان قيام الممالك ، التي كان يرى تعدد قيامها في عصره وما سبقه من العصور .

ولعل أثر تلك المؤسسات الدينية وحركات المرابطة لم يقتصر على المنطقة التي كانت تنشأ فيها،بل كان يتعداها إلى المناطق الإسلامية الأخرى،مما جعل بعضها يطيل الوجود العربي في الأندلس زهاء أربعة قرون ، امتدت من أواخر القرن الحادي عاشر الى أواخر القرن الخامس عشر . كما كان لبعضها الآخر أتبـــاع وممثلون انتشروا في رقاع البلاد الإسلامية كافة : ينشرون تعـاليمهم فيها ، أو

يندمجون في شعوب المناطق التي ينزلون فيها ؛ يعملون في نشاطات الحياة العامة، أو في سياسة تلك البلدان ، أو يتولون المهمات الدينية من فتوى وقضاء إلى غير ذلك ، كما يمكن ان يكون قد وقع لبعض المتحدّرين من سيدي فتح الله ، أحد أحفاد صاحب الترجمة ، الذين ذكر أحد الباحثين توالي عشرات المفتين منهم على مدينة بيروت، وكان منهم المفتي الشيخ ، السيد عبد اللطيف فتح الله ، ابن المفتي الشيخ ، السيد علي فتح الله ، والأول – أي عبداللطيف –تولى الإفتاء في بيروت في مستهل القرن التاسع عشر ، وذكر ان منصب الإفتاء في بيروت قد استمر في أسرته أكثر من قرنين من الزمان . وقد ترك المفتي عبداللطيف ديواناً شعرياً ورسالة تبين وضعه لبحر من بحور الموشحات مع كتب أخرى، وكلها مخطوطات لا تزال في محفوظات الأسرة .

وكانت هذه الأسرة ، إلى اشتهارها بالعلم والدين ، ذات مركز اقتصادي بارز . وكانت تحتل حارة من احياء مدينة بيروت ، وسكنها الرئيسي قرب الجامع العمري الكبير ، في مقر أطلق عليه معاصرو تلك الفترة الزمنية اسم « الحضرة » ، ولعله من باب الإطلاق على المكان لاسم ما خصص له من ممارسة دينية ، ورد تفصيلها في ترجمة الشيخ السيد عبد السلام الأسمر، موضوع هذا الكتاب .

و « دار الكشاف » ، إذ تقدم هذه (الترجمة – الدراسة) ، ترجو أن تكون بذلك قد أضافت إلى المكتبة العربية مرجعاً يستهدي به الدارسون ، والله من وراء القصد .

الناشر

مصطفى عبد الباسط فتح الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

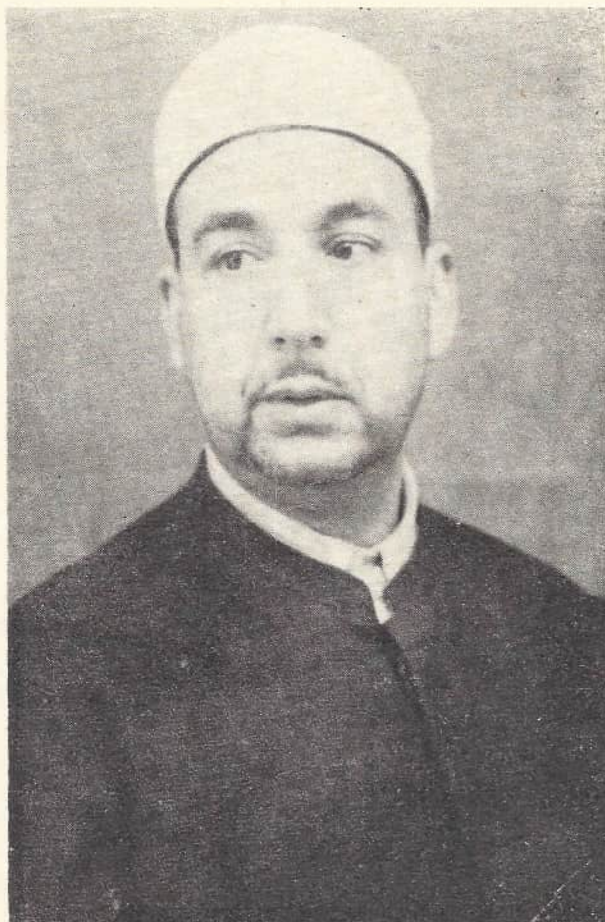
الحمد لله هدى أهل طاعته الى الصراط المستقيم، وأكرم أولياءه وأصفياءه من عباده ووفقهم إلى سلوك طريقه القويم. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، صاحب الدرجة الرفيعة والمقام المحمود والشرع الحكيم، وعلى آله وأصحابه، ذوي القدر العظيم والفضل العميم.

أما بعد، فطالما كنت أفكر وأطيل التفكير وأتردد في أمر مهم، فنقدم رجلاً ونؤخر أخرى: وذلك بأن أكتب في تاريخ حياة مولانا «عبد السلام ابن سليم الأسمر الحازمي الفيتوري اليوزليتني الطرابلسي».. وحاولت أن أجد مراجع أعتمد عليها وأجعلها كأصول أعود إليها؛ فمضت شهور وسنوات، ولم نتحصل على تلك المراجع. وأنبت نفسي مرات ومرات، كيف لا أكتب في حياته ونحن ننتسب إليه، ونفتخر بأن نكون من أبنائه وذريته المباركة. وكنت أعلل نفسي بأن غيري من أبنائه كثيرون ولم يكتبوا عنه. وبعد محاولات مع نفسي وعقلي تغلبت عليَّ ناحية الاهتمام بهذا الموضوع، وصرت

أبحث وأسأل كل من أتوسم فيه شيئاً من المعلومات عن المؤلفات التي كتبت في مناقبه وسيرته العطرة، عليه رضوان الله تعالى .

ووفقت والحمد لله بعد طول البحث الى الحصول على ما لا بأس به من المراجع التي يمكن الاعتماد عليها ؛ وذلك بأن أنعم الله عليّ ، فألهمني ان أتصل ببعض الإخوة الذين رجعوا من تونس من أبناء المهجر ، وزرته في بيته بمناسبة وفاة بعض أقاربه ، فجاء ذكر حياة الشيخ وسيرته ، ومن كتب فيها ، وهل يوجد شيء من ذلك ، فأفادني بأنه يوجد لديه بعض المخطوطات من ذلك ، وهي الجزء الثاني من كتاب الشيخ البرموني ، وأعتقد أنه من كتابه الصغير ، لأن له كتابين : كبيراً وصغيراً ، كما اشتهر على ألسنة الناس ، وكتاب الشيخ سالم السنهوري ، الذي سمّاه « بالنور النائر » ، وكتاب « فتح العليم » للشيخ عبد السلام ، العالم التاجوري ، وكتاب (الوصية الكبرى) ، فمنحنى إياها مشكوراً ، جازاه الله عنا وعن الشيخ والمسلمين خيراً . كما تحصلت من قبل على نسخة من « مختصر البرموني » ، للشيخ محمد بن محمد بن عمر مخلوف التونسي ، وهو مشهور ومطبوع ومتداول بين الناس . وتحصلت أيضاً على رسالة صغيرة ، بقلم مولانا الشيخ عبد السلام نفسه ، أسماها « الأنوار السنية » ، وهي مطبوعة مؤخراً ومنقحة ، على يد إمام الأزهر حالياً ، الشيخ صالح الجعفري . وعندما تتبعت هذه المخطوطات والمطبوعات وجدت فيها من الثروة العلمية والتاريخية والصوفية ما يمكن الاعتماد عليه والرجوع اليه .. فجعلتها أساس بحثي ومرجع دراستي لهذه الشخصية الفذة : مولانا « عبد السلام » قدّس سره . وبالإضافة إلى هذا ، فقد اعتمدت في بعض الأحيان على كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي ، وكتاب « الحاوي للفتاوي » للإمام السيوطي ، رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم .

وهنا لا بد لي من الإشارة إلى أني تقيدت — فيما نقلته عن المراجع المذكورة — تقيداً تاماً بالاصل ، حتى حين بدا ذلك الأصل غامضاً أو غير مسلسل السياق ، وذلك رغبة مني في الإبقاء على النص دون تعديل .



المؤلف
الطيب بن عثمان بن طاهر المصراتي

منهجي في هذه الدراسة

نظراً لأن كثيراً من أبحاث تاريخ حياة مولانا عبد السلام ، والوقائع والأحداث والمناقب والكرامات ، تتوقف على نفس العبارات التي صدرت بها في كلام من سبقني الى ذلك ، فكثيراً ما سلكت فيها منهج السابقين عليَّ في الكتابة ، بأن ننقل نص الكاتب بعينه ، وعندما أنتهي منه أعقب عليه إن كان في حاجة الى ذلك بادئاً كلامي بـ « قلت » ، وفي بعض الاحيان أقدِّم مقدمة قبل الوصول إلى كلام الغير الذي أنقله، ثم أسوقه بحذافيره وأنسبه إلى صاحبه ، مقدماً أو مؤخراً رعاية للأمانة العلمية ...

والواقع أنه لم يكن لي من العمل إلا الجمع والتنسيق والنقل ، إلا في القليل؛ أضيف إلى ذلك بعض الملاحظات أو التعقيبات أوالقصص والأحداث والوقائع، كما سترى في مختلف مواضيع هذه الدراسة . وبذلك يتضح أن الفضل كل الفضل لأولئك السادة أصحاب الكتب المنوّه عليهم سابقاً ، إذ هم أصل لهذه الدراسة، وعليهم الاعتماد والمعوّل فيها .

ويتلخص منهج هذه الدراسة في مقدمة وأحد عشر مبحثاً وخاتمة ...

فالمقدمة كما ترى بينت فيها أسباب هذه الدراسة ، ومنهاجها ومحتوياتها ومراجعها وأصولها ..

أما المباحث فقد شملت ما يلي :

١ – المبحث الأول : في المرحلة الأولى من حياة سيدي عبد السلام الأسمر : تبتدىء من مولده وتنتهي بحالة جذبه وشطحته .

٢ – المبحث الثاني : في المرحلة الثانية من حياته ،وتبتدىء بحالة جذبه

وشطحته إلى استقراره بزاويته المعروفة به إلى الآن .

٣ – المبحث الثالث : في المرحلة الثالثة من حياته ، وتبتدىء من استقراره بزاويته المعروفة وتنتهي بانتقاله الى الرفيق الأعلى .

٤ – المبحث الرابع : في الكلام على الولاية والأولياء ، وما ورد في شأنهم .

٥ – المبحث الخامس : في الكلام على الذكر بالاسم المفرد جماعة ، والسماع ، المعروف عندنا بالحضرة .

٦ – المبحث السادس : في الكلام على الكرامات وخوارق العادات التي ظهرت على يد الشيخ ، رضي الله عنه .

٧ – المبحث السابع : في الكلام على بعض قصائده ، ومقطعاته ، وذكر نماذج منها .

٨ – المبحث الثامن : في مقتطفات من وصاياه ونصائحه لمريديه وأتباعه في مختلف البلاد .

٩ – المبحث التاسع : في الكلام على مؤلفاته ومؤلفات تلاميذه وغيرهم في سيرته .

١٠ – المبحث العاشر : في الكلام على من أنكر على طريقته وانتقد أحواله ، وما آل اليه أمر المنكرين بعد .

١١ – المبحث الحادي عشر : فيما صدر من بعض المنتسبين اليه وهو منه براء .

الخاتمة : في ترجمة بعض مشائخه وبعض أولاده وتلاميذه .

هذا وقد اخترت لهذه المباحث والدراسات اسم « فتح العليّ الأكبر ، في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر » رجاء أن يكون فتحاً أكبر لجميع

أبواب الخير والسعادة ، في الدنيا والآخرة ، لي ولمن يذاكره ويطلع عليه بنية حسنة وقلب مؤمن بما للصالحين من مقامات ومنازل عند الله تعالى . وإنني إذ أقدم دراستي هذه في قالب هذا الكتاب ـ الذي ، كما قلت سابقاً ، ليس لي فيه إلا الجمع والتنظيم ، اللهم إلا بعض النتف القلائل ـ لأعترف من عميق قلبي بعجزي وتقصيري عن إدراك مثل هذه المرتبة الكبرى : وهي الكلام في تاريخ الأولياء وسيرة كبار الصالحين . وأرجو مخلصاً من كل من يطلع عليه فيجد خللاً في اللفظ أو المعنى ، أو يجد نقصاً وتحريفاً ، أو خطأً أو غلطاً ، أو نزعة واتجاهاً غير مرضٍ ، أن يصفح ويتجاوز ، ولا يصب جام غضبه عليَّ ، فإني عبد ضعيف وإنسان عاجز معترف بالقصور والتقصير . والإنسان كما يقولون : أسير لسانه وقلمه ، يظل مستوراً حتى يتكلم أو يكتب ، فإذا كتب فضح نفسه للناس ؛ فمن منصف يعذر الخاطئين ويلتمس لهم الوجوه المقبولة ، ومن مشهِّر يتتبع النقائص التي لا يخلو منها إلا من عصمه الله وحفظه ؛ والكمال لله وحده .

وأرجو ممن اطلع هذا الكتاب أن يدعو لي بخير الدنيا والآخرة ، وأن يدعو للسادة الذين تفضلوا بالكتابة قبلي في هذا الموضوع ، وأن يدعو لي ثانية بأن ينفعني الله بثواب هذا المجهود ، بمنه وكرمه .

هذا ، ومن عرف ظروفي التي كتبت فيها هذا التقييد قبل عذري فيما يجده فيه ؛ فالعاجز موظف في أكبر إدارة ، مشاكلها ليل نهار ؛ وذو أسرة كبيرة ، ويعلم الله ما للأسرة من المطالب والمتاعب ، التي لا تقف عند حد ؛ وظروف النكسة العربية الإسلامية التي أصيب بها العالم العربي والإسلامي ، وهي استيلاء اليهود على بيت المقدس واحتلالهم قسماً كبيراً من أرض العرب والمسلمين ، هذه الفاجعة التي تدمي القلوب وتفجّر ينابيع الحزن والكآبة في النفوس ؛ وغير ذلك كثير وكثير ، من العوائق والعقبات التي تحول بين الإنسان وبين ما يريده من تحقيق وبحث سليم وعرض رائع لما يرغب أن يكتب فيه ويصوره في مثل هذه الدراسات التاريخية والعلمية . ولكن على العموم ، فقد جاء بحمد الله لا

بأس به – في اعتقادي طبعاً – ولا يخلو من فائدة بدون شك ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ... والله الموفق ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ، وسلك منهجه القويم إلى يوم الدين ....

١ من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٨٧هـ

الموافق ١٩٦٧/١٢/٢

المؤلف

الطيب بن عثمان بن طاهر المصرايتي





زاوية وضريح "سيّدي الشّيخ عبد السّلام الأسمر" بزليتن - والمعهد الدّيني المجاور



للسيد عبد اللطيف فتح الله غفر الله له

يا حسن قبة بركة قد أنشئت ... من فوقها تسمو ونعم المنشا
فكأنها قصر مشيد قد سما ... والماء تحت ظلاله يتفيا
تحميه من برد ومن حر فلا ... شمس بضمن خلاله تتلألا
فتوضئوا فالماء أصبح قائلا ... أرخت: يا فوز من بي يتوضا

١٢٢٩

اللوحة الرخامية المثبتة في صحن الجامع العمري الكبير ـ بيروت
والأبيات هي للسيد الشيخ عبد اللطيف فتح الله، مفتي بيروت بذلك التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلاّ على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين . اما بعد ... فهذا هو الكتاب الموسوم بـ « فتح العليّ الأكبر ، في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر » على النحو المبين في المقدمة .

المبحث الأوّل

في المرحلة الأولى من حياته
وتبتدئ من مولده وتنتهي بحالة جذبه

الفصل الأول : في مولده .

قال الشيخ محمد بن محمد بن عمر مخلوف ، في مختصر البرموني ، نقلاً عن الأصل ، ما نصه : « اعلم أن مولانا عبد السلام ولد يوم

الاثنين ، ليلة اثني عشر من ربيع الأنور ، سنة ثمانين وثماني مائة بيزليتن . ثم لما مات والد سيدي عبد السلام وتركه ابن سنتين وشهرين يتيماً في حجر أمه تولى أمره والقيام بشئونه في الصغر عمه أبو العباس أحمد بن محمد الفيتوري . وكان يحبه وينصحه ويألف اليه ، ويلبسه الثياب الثمينة . ووضعه في المكتب ليقرأ القرآن إلى أن حفظه وهو ابن سبع سنين ، وصار من الماهرين فيه ويقرؤه على أحسن هيأة بضبط وتجويد ، وكان مع قوة حفظه لا يقرؤه إلا في المصحف » .

الفصل الثاني : في نسبه من أبيه وامه .

قال صاحب المصدر السابق في نسبه من جهة أبيه ما نصه ، نقلاً عن أصله : « هو الشيخ العظيم الكامل القدوة ، العمدة العالم الصالح العامل ، شيخ زمانه ووحيد عصره وأوانه ، المربي الواصل القطب الغوث المكاشف ذو المقامات العلية والاحوال السنية والافعال المرضية ، شيخ الطريقة وامام أهل الحقيقة ، مولانا الشيخ سيدي عبد السلام بن سليم بن محمد بن سالم بن حميد ، بن عمران الشهير بالخليفة بن محي بن سليمان بن عمران بن أحمد بن خليفة ، الملقب بفيتور ، بن الشيخ الولي الصالح العابد الزاهد السيد الشريف الحاج عبد الله الشهير بنبيل المقبور بمكة ، بن عبد العزيز بن عبد القادر بن عبد الرحيم بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن المثنّى ، بن الحسن السبط بن سيدتنا فاطمة ، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . نقل هذا النسب الشيخ بدر الدين بن نجم الدين في تأليف له في أشراف المغرب » .

ثم قال الشيخ مخلوف ما نصه : « قلت : وقد أطلعني أحد أحفاد مولانا عبد السلام على رسم شجرة بها بيان نسب الشيخ ، رضي الله

عنه ، وبها ختم كثير من علماء طرابلس وغيرها ، وأتى به على الوجه المذكور ، غير أنه لما بلغ الى سليمان وتعرض لأبنائه السبعة قال سليمان ابن سالم بن خليفة بن نبيل بن عمران بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد القادر بن أحمد بن عبد الله بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر الى آخره — تأمل » .

قلت : ويشير الشيخ مخلوف بهذه العبارة إلى وجود خلاف بين الكلام السابق عن صاحب الأصل وبين ما في هذه الشجرة ؛ والأمر سهل ، لأن مثل ذلك لا يستبعد في التاريخ . وقال صهرنا وصديقنا الشيخ محمد بن نصر بعيو ، في كتاب ألّفه في حوادث هذا القرن العشرين — عندما تكلم على المعهد الأسمري وانجر به الحديث الى تاريخ ونسب الشيخ سيدي عبد السلام ، معقباً على ما ذكره ناظر المعهد الأسمري السيد سالم بن حمودة ، في رسالة صغيرة ألفها هذا في تاريخ سيدي عبد السلام — قال الشيخ بن نصر ما نصه : « وقولي : ومختصر تأليفي ... إلى آخره ، إشارة إلى ما ألفه ناظر وقف الشيخ عبد السلام الأسمر وسماه « مختصر تاريخ الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر » قال : في نسبه إلى سليمان ما هو صحيح ومنه واقع النقصان ، حيث قال : سليمان بن عمران وهنا نقص اثنان ، إذ هو سليمان بن سالم بن خليفة ابن عمران بن أحمد بن خليفة فيتور ؛ ويحسن هنا نظمنا فيهم المشروح الآتي :

أمـــا سليمان فجد الجملة	والشيخي والفيتوري ينتسب له
فنحن والفيتوري أصل واحد	لكـــنا الأسمر فرع زاهـــد
وسالم خليفـــة مشهور	عمران احمـــد كذا فيتور

وفيتور ابن نبيل قال : هو ابن عبد العزيز ، كذلك هنـــا نقص ثلاثة إذ هو نبيل بن عمران بن احمد بن عبد الله بن عبد العزيز كما ابنته في نظم مشروع كتاب النصر بقولي : -

كذلك الولي عبد الله نبيل الشيخ كبير الجاه
فهو دفين مكة المشرفة سبحان من فضله وشرفه
رحلته من فاس الى الشرق مشهورة فافهم اخي للحق
عمران احمد وعبد الله ثلاثة من أولياء الله
وعابد العزيز عبد القادر وعابد الرحيم بحر زاخر
واحمد مولى التقى والعلم وعابد الله رئيس الحكم

فكذلك هنا نقص أحمد بن عبد الرحيم وبين عبد الله ابن ادريس فينبغي زيادة ستة رجال في نسب الشيخ لما أن المثبت مقدم على المنفي* ومَنْ حفظ حجة على من لم يحفظ ، ولأن المائة تفني ثلاثة رجال في نسب . فنحن الآن بيننا وبين علي بن ابي طالب ثلاثة عشر قرناً وأربعون جدّاً ، كما حققناه مراراً . ولعل الناظر تبع في اختصار النسب مختصر البرموني الى آخره ...

ونحن نقول ان مثل هذا الاختلاف يقع كثيراً ، ولا يضر ، ما دام أصل النسب صحيحاً ومسلماً به ومقبولاً من أولي العلم والمعرفة وما عداه فأمره هين وبسيط .

وأما نسبه من جهة أمه فقد قال صاحب مختصر البرموني ، نقلاً عن الأصل ما نصه : « أقول : قال الاصل : نسبه من جهة أمه ، رضي الله عنه ، هو عبد السلام ابن السيدة سليمة ، الشهيرة بعيادة ، ابنة الشيخ العالم العلامة الولي الصالح المكاشف سيدي عبد الرحمن الدرعي ، بن عبد الواحد بن عبد القادر ابن عبد العزيز بن علي بن سعد بن محمد بن ابي عبد الله بن الشيخ الكبير الشهير ، الولي الصالح المربي ، سيدي عبد السلام بن مشيش ، نفعنا الله به . فهو شريف الطرفين كما رأيته في كتاب النسب المجمع عليه ، وكما رأيته في سلسلة معتمدة أتى بها سيدي عليّ بن سيدي عبد الرحمن

الدرعي ، خال الشيخ ، وذلك في أيام زيارتنا لدرعة وأوليائها ؛ وكانت تلك السلسلة مبتدأة من أبي سيدي عبد الرحمن الى سيدي عبد السلام ابن مشيش ؛ وكما رأيته في عقود كثيرة عند المغاربة والمشارقة ... الى أن يقول في شأن سيدي عبد السلام الأسمر وأمه : واشتهرت أمه بعبادة لكونها ولدت يوم عيد الفطر يذكر انها لما تزايدت ببلاد درعة وكبرت وعرفت ما يصلح بها من فرض العين وغيره ، نودي في سر والدها أن لا يزوجها لأحد من الناس إلا لسيدي سليم بأرض طرابلس. فكان الناس يرغبون في خطبتها عند أبيها ويبذلون له فيها المهر الكثير فيقول : ما لي وتزويجها لكم ولو بوزنها ياقوتاً ، وسيظهر زوجها إن شاء الله من طرابلس ، شريف النسب من آل محمد صلى الله عليه وسلم. فلما أن أراد الله الجمع بينها وبين سيدي سليم ، حملها أبوها لأرض طرابلس ، وعندما وصل عوسجه تلقاه سيدي سليم ومعه القاضي والشهود فزوجها له والدها بعقد وصداق ، ورحل بها سيدي سليم للزاوية الغربية وبنى بها هناك ، ولم يتزايد له ذرية سوى سيدي عبد السلام . وكانت فاضلة جليلة حاذقة كيسة ، تصوم من السنة الايام الكثيرة وتتلو جزءاً من القرآن . لم أر في زماننا مثلها . عاشت مائة وعشر سنين ، ودفنت بالحجرة المقبور بها سيدي عمران جد الشيخ . ولما توفيت نادى منادٍ : هلموا إلى الصلاة على المرأة الصالحة الفاضلة ، السيدة الشريفة الجليلة ، كثيرة الإحسان عابدة الرحمن ، الدرعية ، رحمها الله » . انتهى كلام البرموني .

قلت : وعلى ذكر سيدي سليم ، والد الشيخ ، يجدر بنا أن نسوق نبذة عن حياته وبعض كراماته ومناقبه ، فنقول نقلاً عن مختصر البرموني ما نصه : « كان والده سيدي سليم ، رحمه الله ، من رجال الله الصالحين ، صاحب كرامات وإشارات وخرق عادات ؛ وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يتكلم على معاني الكتاب والسنة كلاماً بليغاً

تحير فيه العلماء ؛ وكان يرد الغلط على القارىء إذا سمعه بدّل أو غيّر أو زاد أو نقص أو انتقل من سورة إلى سورة ؛ وكان يجلس بالزوايا التي يتلى فيها القرآن العظيم ، وينصت لقراءته من أفواه الطلبة ، فإذا غلط القارىء أو بدّل أو غيّر يقول له : أسكت يا فلان ، فإن قراءتك على غير الصواب ؛ فإذا قيل له : كيف تعلم ذلك ؟ يقول : إن القارىء إذا قرأ بإزائي أصير أنظر نوراً متصلاً خارجاً من فيه إلى عنان السماء ، فإذا غلط القارىء أو بدّل أو غيّر انقطع ذلك النور الخارج من فيه » . ثم قال صاحب المختصر : « قلت : ولا عجب في ذلك ، فقد كان سيدي عبد العزيز الدباغ أمياً ، ومع ذلك يفرق بين القرآن والحديث القدسي والحديث الغير القدسي ، ويفرّق بين الحديث الصحيح والموضوع ، وله نفس عالٍ في تفسير القرآن والأحاديث ؛ أنظر الإبريز تعلم أن ذلك محض فضلٍ من الله ، والله ذو الفضل العظيم » .

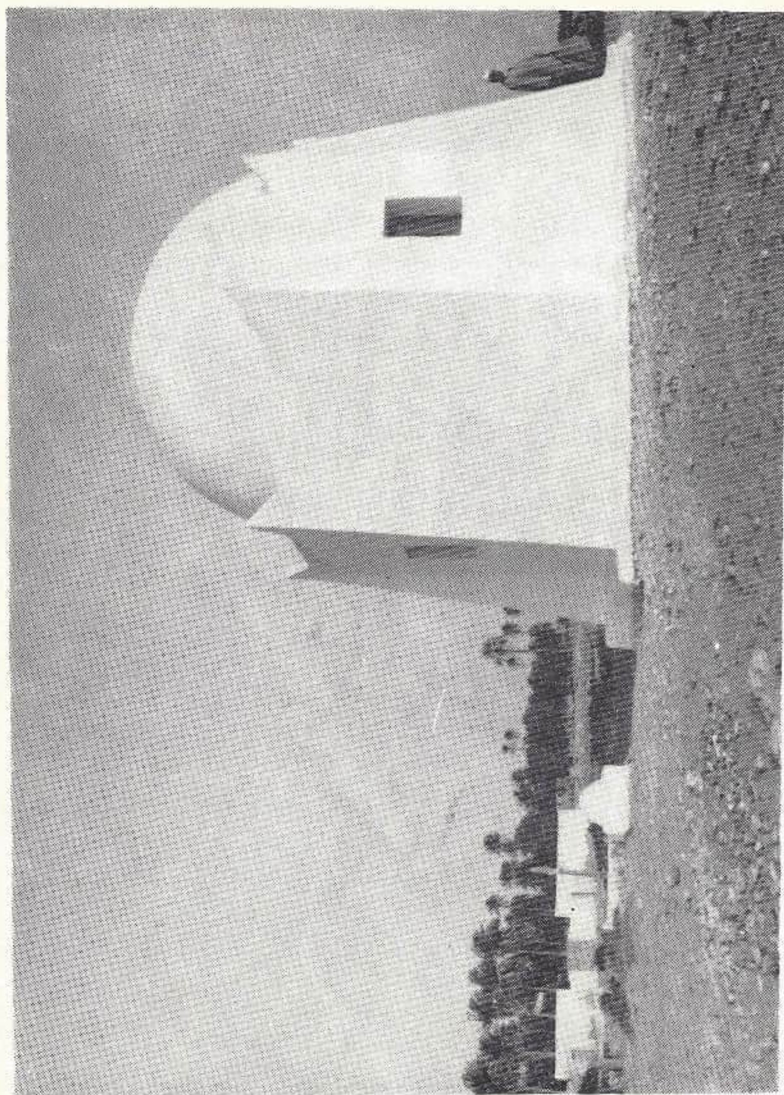
وفي الأصل أن لسيدي سليم كرامات كثيرة ، منها اطلاعه على زوجه أم الشيخ قبل ولادتها ، وذلك أنه إذا قيل له تزوج ، يقول : حتى تزداد أم عبد السلام ، وإذ ذاك لم يبن أبوها بأمها . ومنها إخباره بابنه عبد السلام وما يتزايد له من الذرية قبل ازدياد أمه . ومنها : كان يشفع عند الحكام فشفع مرة عند الحاكم في إنسان فأبى ، وقال له : إن كنت شيخاً فانفخني . فقال : باسم الله ، ونفخ في وجهه فانتفخ وتطرطرت يداه ورجلاه ، حتى صار يستعطفه ويستغفر الله ، فمسح بيده على وجهه فانفش ، وبعد ذلك صار مريداً له محباً فيه إلى أن توفاه الله . ومنها : كان يدعو الطير من السماء فينزل اليه ، ويدعو السمك في البحر فيخرج له ، وكان قائم الليل صائم الدهر ، رحمه الله ونفعنا به .

الفصل الثالث : في ابتداء امره ونشأته .

قال في مختصر البرموني نقلاً عن الأصل وصاحب « فتح العليم » ما نصه : لما بلغ ، رضي الله عنه ، مبلغ أهل العلم والتأمين في ذلك قال له عمه : سر معي إلى شيخ من شيوخ التربية لتنتسب اليه وتأخذ عنه . فقال : يا عمي ، كيف نحتاج إلى شيخ والله عزّ وجل كشف لي الحجاب حتى مشارق الأرض ومغاربها ، وما فوق الفوق وما تحت التحت ... فقال له : يا عبد السلام ؛ إن لم تنسب إلى شيخ فلا يتم لك ذلك ، لأن شيخ التربية واجب وجوباً متأكداً ؛ فإن المريد ، وإن قرب من المنازل ورأى ما لا يمكن وصفه ، فلا يأمن رعونة نفسه وغواية شيطانه إلا بمعرفة شيخ غالباً ، فلا بد لك من الانتساب إلى من هو عارف بالله ، فارغ من تأديب نفسه وعلى الله الكمال ؛ لأن الإنسان إذا لم ينتسب إلى شيخ قالوا : كالشجرة النابتة بنفسها ، لا يتم إنتاجها . ولا زال عمه يحثه على ذلك إلى أن سار معه إلى من أراد الله ظهوره على يده ، وهو الشيخ سيدي عبد الواحد الدوكالي . فلما وصلوا إليه فرح فيهما فرحاً عظيماً ، وقال : مرحباً بأبي العباس وابن أخيه عبد السلام ابن سليم - وذكر نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - . ثم أجلسه بين يدي الشيخ سيدي عبد الواحد واستودعه وانصرف ، وبقي سيدي عبد السلام عنده سبع سنين مجدّاً في خدمته ليلاً ونهاراً ، يميناً وشمالاً ، لا يتفرغ إلا ساعة الدرس في علم التصوف ، فإن الشيخ يريحه في تلك الساعة من كل خدمة . وقد أظهر في خدمته واتباع مأموراته من غير تردد ولا تأويل عجائب لا يقدر عليها إلا من سبقت له العناية الربانية . ووقعت له معه حكايات كثيرة في أمر الخدمة ، منها قوله له في ليلة شاتية ذات برد ومطر كثير : اجلس تحت هذا الميزاب إلى

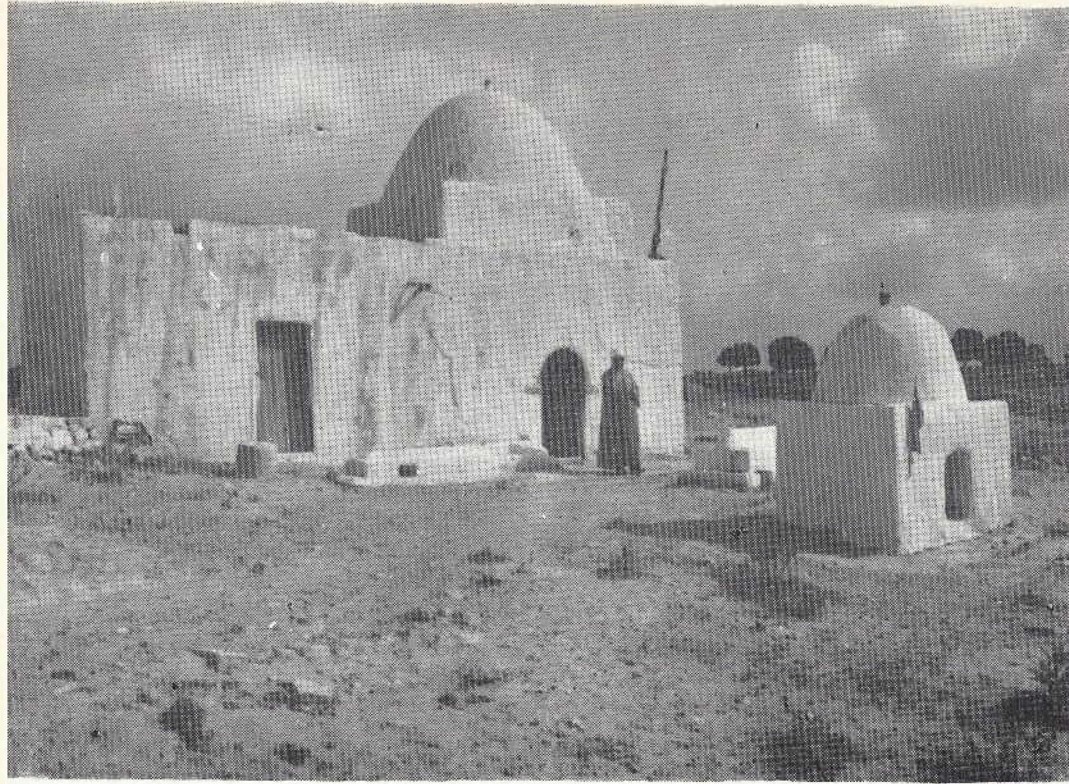
أن نأتيك . فامتثل وجلس تحتـــه من بعد صلاة العشاء الأخيرة الى الصبح والميزاب يصب على رأسه الماء ، ولم يتحول خوفاً من مخالفة شيخه إلى أن أتاه الشيخ . ومنها انه بعثه من مسلاتة إلى ساحـل آل حامـد ليأتي بحاجة من ابنة الشيخ السيدة عائشة في قصرهم المعروف بالساحل . وقال له الشيخ عنـد بعثه محرضاً لـــه على الاستعجال : إياك اياك أن تقعد ، فأسرع . ولما وصل عزمت عليه ابنة الشيخ بعد أن حلفت له أن لا يمشي حتى تصنع له طعاماً ويأكله . فخشي من تحنيثها وخاف من مخالفة ظاهر نهي الشيخ له عن القعود ، فأخذ ولداً لها صغيراً وجعـل يلود به في نواحي الدار واقفاً لئلا يبكي فيشغلها . ولما صنعت له الطعام وضع له على مرتفع وأكله واقفاً ورجع ، ولم يقع منه القعود ذهاباً واياباً .

ومنها أنه بعثه في ليلة شاتية كثيرة البرق والمطر ليأتي له بالماء من صهريج بعيد عن البلد بنحو الأربعة أميال ؛ فذهب له ومـلأ القربـة وجعلها على ظهره ؛ ولما قارب البلد – وهي زعفران – انفلت وكاؤها وأريق ما فيها فرجع ثانياً . ولم يزل كذلك من المغرب الى الصبح ولم يضجر ولم يتأوه . ولما أصبح الصبح ملأها وجعلها على ظهره بـــدون وكاء ، فسلمت باذن الله تعالى . فلما دخل بها على الشيخ قال له : يـا عبد السلام ... ورثت مقامي ؛ اذهب لتنتفع بك الناس ؛ الشيخ مـا يخدم شيخاً . فامتنع من ذلك وطلب المكث في الخدمة ، فأبى الشيخ من تخديمه فمشى من عنده كئيباً حزيناً . ثم جعل يطوف على الأولياء ويطلب منهم الاستخدام ، فإذا استخدمه الواحد منهم مدة يسيرة اطلع على علو مقامه فيمتنع عن تخديمه . الى أن بلغ ثمانين شيخاً من مشايخ التربية ، وكلهم امتنعوا منه لاطلاعهم على علو مقامه : كسيدي عبـد الله العبـــادي ، وسيدي عبد النبي ابن عبـــد المولى ، وسيدي علي العوسجي ، وسيدي محمد بن عبد الرحمن الحطاب ، الى الثمانـــين وهم مذكورون في غير هذا اهـ » – مختصر البرموني .



ضريح السيدة عائشة ، ابنة خالة سيدي عبد السلام – بتاورغاء

مقابل صفحة ٢٤



ضريح سيدي عبد الواحد الدوكالي ، شيخ سيدي عبد السلام ـ بمسلاته

وقـــال الشيخ سالم السنهوري في كتابه الذي ألفه في تاريـخ حياة الشيخ مولانا عبد السلام وكراماته ومناقبه ، والرد على من أنكـر على طريقتـه وأذكاره ، والذي سمـــاه (النور النائر) ، قـال في معرض الكلام على الشيخ وما يتمتع به من مكانة روحية وعلمية بعد كلام مـا نصه : « قلت : الشروط المذكورة السنية الشرعية قــد اجتمعت في شيخنا الذي نحن بصدده ، القطب الكامل والغيث الوابل سيـدي أبي عمران عبد السلام ابن سليم ، رضي الله عنه . فحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين – قلت ولعل ذلك تحريف من الناسخ ، والصواب في سبـع سنين كما هو موجود في البرموني ومختصره وفتح العليم – ثم قال : والرسالة ومختصر خليل والمدونة والحكم العطائية والتنوير ، وتفنن في كل علم » .

حتى قال رحمه الله : أظهرني ربي ، سبحانه عز وجل ، على ما في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وما في ظاهرها وباطنها ، وأحيا الله الموتى على يدي ؛ إلى غير ذلك مما لا يحصى ولا يقيد . وقال صاحب فتح العليم ما نصه : « وأما ابتـــداء أمره في السلوك فيذكر أنه ربي يتيماً وكان عمه شاعراً لكن لا يمدح إلا الأولياء والصالحين ، يقصدهم ويأخذ جوائزهم ، فكان الشيخ يمشي مع عمه حتى أتوا الشيخ سيدي عبد الواحد الدوكالي ، رحمه الله ونفعنا به فطلب من عمه أن يترك ولده ، ولعله والله أعلم لاطلاعه على ما يصير اليه ، وانه وارث مقامه ، فتركه ، وهو فيما سمعته دون المراهقة . فكان ذلك ابتداء سلوكه .
والى أخذه في سلوك الطريق صغيراً يشير في بعض مقطعاته :

بسم الله بـــدأت بسم الجواد سبحانـــه العـــالي القـــدير
أعطاني الله فزت ما بين أندادي توبه زينـه وأنـــا صغـــير

الخ .....

قلت : وإذا تأملت ما سبق عن صاحب (مختصر البرموني) وما نقله صاحب (فتح العليم) يبدو لك شيء من الخلاف بينهما حيث يستفاد من الأول ان عم الشيخ هو الذي طلب من ابن أخيه وألح عليه في الذهاب الى الشيخ سيدي عبد الواحد الدوكالي ، ويفيد الثاني أن الشيخ الدوكالي هو الذي طلب من العم بقاء ابن أخيه . ولعل ذلك لا خلاف فيه ، وأن عم الشيخ ألح عليه أولاً وبعد الاجتماع بالشيخ الدوكالي طلب من عمه ابقاءه حتى التقت الفكرتان واجتمع الرأيان ، وكل ذلك بتوجيه الهي بدون شك ولا ارتياب .

وقال صاحب مختصر البرموني مانصه « قال سيدي عبدالرحمن المكي في صغيره : قرأ على شيخه الدوكالي المختصر والرسالة والحكم والتوحيد والمعقول وغير ذلك من العلوم ، وصار فقيهاً متفنناً محافظاً على السنة ... الى آخره »

المبحث الثاني

في المرحلة الثانية من حياته

وتبتدئ من حالة جذبه إلى حالة استقراره بزاويته المعروفة

الفصل الاول : في ابتداء جذبه وشطحته .

قال صاحب مختصر البرموني ، نقلاً عن الشيخ المكي في صغيره ، ما نصه :

« وكان لا يحب البنادير ولا أهلها ولا المجاذيب ولا قربهم ؛ وكان يغسل الحصر التي يجتمع عليها الفقراء ويشدد في الإنكار عليهم ، وشيخه ينهاه عن ذلك المرة بعد المرة . ثم ذات يوم قصد زيارة قبور أجداده أولاد سليمان السبعة ، فلما وصل وجد بإزاء قبورهم طائفة من المغاربة يضربون الدفوف وينشدون أشعاراً منسوبة للشيخ ممشاد الدينوري . قال أخونا في الله سيدي احمد الشريف المسلاتي : لما سمعهم سيدي عبد السلام خرّ مغشياً عليه ، وأخذه حال البكاء والجذب ، وبقي يشطح حتى أصابه حال عظيم . وأمر الطائفة أن يضربوا له الدفوف إلى أن بلغ خبره الشيخ الدوكالي ، فتغير من ذلك ثم قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء . ثم أمر العبيد

بالاتيان به ، فأتوا به مغلـّلا ووضعه في السجن وجعل عليه حراساً . وجاءت له جماعة من الأشراف والقبائل وطلبوا منه إطلاقه من السجن وإعطاءه الإذن له في ضرب البندير فامتنع ، وقال : من أعان إنساناً على معصية كان شريكاً له فيها ، لأن ضرب البندير معصية وليس بقربى . إلى أن قال لهم : إن الله لا يعبد بالشطح ولا بالردح ، ولا بالدفوف ولا بالكفوف .

« ثم أتاه شيخ بالاذن من أولياء الله وهو في السجن على صورة طير يطير في الهواء ، وصفق بجناحيه وغرّد ثلاثاً ؛ فلما سمع الشيخ وهو بالسجن ، خرق السجن وطار ونزل على شجرة ، فنزل عليه بندير وفيه خمسة أوتار وخمسة جلاجل من عند أهل الله ، فهبط به وهو في يده اليمنى . فتعجب الناس من ذلك ، وشاع الخبر حتى وصل شيخه الدوكالي فبالغ في الإنكار عليه حتى قال : لا يسوغ ضرب البندير مطلقاً : نزل من السماء أو خرج من الأرض . فتغير سيدي عبد السلام وبكى بكاء شديداً ؛ وجعل الدف على ظهره ، وقصد الشيخ الاستاذ سيدي فتح الله أبا رأس القيرواني . [وهو شيخ الشيخ الدوكالي ، كما سيأتي — الناشر .] فلما وصل إليه جلس بين يديه وذكر له ما وقع له مع شيخه الدوكالي ؛ فتغير سيدي فتح الله وبكى ، ثم ركب فرسه وسيدي عبد السلام يمشي خلفه راجلاً حافياً في يوم حر ، إلى أن وصلا إلى الشيخ الدوكالي فوجداه يتوضأ للظهر . فصليا معه الظهر جماعة ، ثم قال سيدي فتح الله : ما بالك يا عبد الواحد مع تلميذك عبد السلام ؟ فقال له : عبد السلام ابتدع وركبه الجنون ، ورفض مذهب اهل السنة وطريقة الكتاب والسنة ؛ وعبد السلام خالف واتبع طريق الزفافين أهل الدفوف والكفوف والشيء الذي لا يعني . فسكت سيدي فتح الله ساعة ثم قال : يا عبد الواحد ،

معذور من ذاق الشراب ولذائذه ، ومعذور من لا ذاقه . وانت يا عبد السلام ، أرنا دفك واضربه لنسمعه . فأخرجه من تحت ازاره وأنشد يقول :

نبكي من الغبن	يا سلطان الحضره
داروني في السجن	وكبلوني في قعره
راه ما يهز القصر	الا ولي القدره
والشوق مع الحب	هزاز للفقره

« الى أن يقول الشيخ المكي في صغيره : واذا بالشيخين قد أخذهما الجذب والارتعاش وقاما يرقصان . فأما الشيخ الدوكالي فقد أغمي عليه وسقط على الأرض يتقلب يميناً وشمالاً نحو الساعتين . وأما أبو رأس فقد بقي قائماً يميد كالسكران ، ثم شخص نحو الثلاث ساعات ثم أفاق وقال : يا عبد السلام ، قد صرح لك أهل السموات والأرض في ضرب البندير ، أنت ومن تبعك ؛ ولا قلت لك هذا الا بإذن من الله ورسوله وجميع أنبيائه وأوليائه والملائكة والجن والطير والوحوش والحور العين ، وكل ناطق وجامد . فمن ذلك الوقت سلم له الشيخ الدوكالي واعترف بفضله وصار لا يقدر أن يصبر على فراقه .

« وكان رضي الله عنه إذا أنشد وضرب ، يهتز كل من كان حوله حتى الجوامد » . انتهى من « صغيره » باختصار ، وسيأتي الكلام على سبب استعماله الدف في الباب الذي تعرضنا فيه لبلوغه درجة الغواثة وفي الأصل أن سجنه وتغليله غير ثابت . قلت : والأرجح وقوع ذلك ؛ لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ ؛ ثم وقفت على وصية الشيخ الكبرى فوجدت فيها ما يدل على وقوع ذلك ونصه : « ... إخواني ، لا يجوز لأحد منكم أن يتعمد سماع الباطل كالملاهي المحرمة ، فمنها الزكرة ونحوها ، ولا يجوز الرقص عليها من غير تواجد ولا حالة ،

إلا البندير لأن أمره خفيف . وقد أنكره شيخنا الـــدوكالي في أول بدايتي وزجرني على شأنه وضربني ، وألقاني في السجن وأخرجني الإله سبحانه من السجن ولا سلّـمه لي الشيخ المذكور إلا بعد هول ومشقة ، وهو أمر مختلف فيـــه ، ولو لم يسلمه لي لم أضربه ولم أقربه ولو أموت بالهيـــام ، وما قدره الله عليّ يكون . والحمد لله الذي أذهب عنـــا الحزن . » انتهى .

قصة طريفة

بمناسبة الحديث على الدف وقصة نزوله على الشيخ سيدي عبد السلام، كما تقدم في كلام الشيخ المكي الذي يحكي وهو شاهد عيان ، لأنه كان يعيش مع الشيخ وهو أحد تلاميذه ، فهو وإن لم يحضر الحادثة نفسها ولكنه تحققها وحكاها عن يقين وعلم تام ، أقول بهذه المناسبة :

اذكر قصة طريفة وقعت في هذا الوقت لها صـلة بهذا الموضوع ، وقد أخبرني بها صاحبها نفسه . وذلك أنه كان بعض علمـــاء العصر يجلس بدكانه بسوق المنسوجات بمدينة طرابلس وجلس قربه رجل يتحدث اليه في شئون ، إلى أن وصل الحديث في شأن بندير الشيخ سيدي عبد السلام الاسمر وقصة نزوله عليه . فأنكر الشيخ العالم ذلك على جليسه ، وأغلظ في الكلام ، وقال : هذا شيء لا أصل له ، وهو من الخرافات ، ولا يصح لأن الله ليس عنده معمل أخشاب في السماء حتى يسوي منه بنديراً وينزله على عبد السلام . وهنا وقف عليهم رجل دلال بالسوق يحمل بين يديه مجموعة من الأردية واستمع الى هذا الحديث ثم قال : ما تقول يا سيدي الشيخ ، مشيراً الى الرجل العالم ، فقال له : قلت لهذا الرجل الذي يقول ان البندير نزل على الشيخ عبد

السلام من السماء ، الله ، عنده معمل أخشاب في السماء ، هذه خرافات لا أصل لها . قال الدلال : يا سيدي الشيخ ، وهل كان لله في السماء مطعم ؟ فسكت الشيخ برهة ، ثم قال : ما معنى هذا الكلام الذي تقول ؟ قال له الدلال : لا شيء ؛ إلا أنه اذا كان لله مطعم في السماء نزلت منه مائدة سيدنا عيسى فلا مانع أن يكون له معمل أخشاب ينزل منه بندير على عبد السلام . فانتبه الشيخ وتراجع ، وصار يكرر قوله ، غلبتني يا بني ، غلبتني يا بني ...

وهكذا ظهرت الحكمة على يد هذا الرجل البسيط الدلال في السوق، والحكمة ضالة المؤمن ، ويوجد في النهر ما لا يوجد في البحر . وعلى العموم فمن نوّر الله بصيرته وملأ قلبه بالإيمان الكامل والصدق واليقين والعلم النافع والمعرفة التامة فإنه لا يستبعِدُ في قدرة الله شيئاً ، ولله خرق العوائد ، وما سيأتي إن شاء الله في الكلام على الكرامات وخوارق العادات يفتح المجال أمام العقول المتحجرة التي لا تستسيغ قبول مثل هذه الأخبار . أما العقول النيرة والقلوب العامرة فإنها تصدق أمثال ذلك وتراه أمراً هيناً ، وليس بمستبعد في قدرة الله تعالى .

الفصل الثاني : في رحلاته وتنقلاتـه وزياراتـه لمختلف البلدان .

قال صاحب مختصر البرموني ، نقلاً عن الأصل ما نصه : « لما فرغ ، رضي الله عنه ، من خدمة الشيخ الدوكالي ومن الطواف على الأولياء كما تقدم ، زار والدته عيادة بيوزليتن ، وهي مكفوفة البصر بصيرة القلب ، طرأ عليها في العام الذي قدم عليها الشيخ . فمكث معها مدة يعبد الله خامل الذكر لم يفارقها إلى أن توفيت . وبعد ذلك

توجه لزيارة الأولياء الصالحين إلى أن زار كل من بالأقاليم ، ثم جاء لجبل زغوان وأقام فيه مدة يتعبد على ما جرت به العادة عند الأولياء . يقال ، والله أعلم ، إن كل الأولياء عبدوا الله فيه ولو ساعة أو أقل، وله فيه مقام معلوم باقٍ فيه إلى الآن ، وإليه يشير في مقطعاته :

أنا نرقى جبل زغوان مرقب ومشرف وعالي

الخ ... »

ثم قال : « وبعد ذلك رجع ليوزليتن ؛ فلما حل بها وظهرت عنايته فيها حسده أهلها ورموه بالسحر . وما زالوا به إلى أن نفوه منها سبع مرات ينتقل ثم يرجع . ولم يستقر أمره فيها إلا بعد نفيه منها ومن غيرها ورجوعه الى تاورغاء ومصراتة الخ ... » .

الشيخ في ساحل آل حامد .

ثم قال صاحب مختصر البرموني : لما خرج رضي الله عنه من يوزليتن انتقل إلى الساحل ومكث به مدة وصحبه جماعة من فضلاء أهل ماجر ، وظهرت له هناك كرامات كثيرة .

ثم تسلطت عليه قبيلة الأحامد وكانوا في غاية من العز والمكانة . يذكر أن جدهم المنتسبين اليه هو حامد عمورية والعرية في عرف هذا الزمان هو ابن الزنا . وكان همام الشيخ عليهم ومبارك مفتيهم ، وكان الساحل لأهل ماجر ، فلما كثر الظلم على أهل ماجر من بغاة العرب التجأوا إلى الأحامد وأسكنوهم معهم في الساحل ليحموهم من اولئك البغاة ومن الجراية التي يأخذونها منهم ظلماً . فلما استوطن الأحامد

معهم بالساحل وتمكنوا تعصبوا على أهل ماجر حتى اخرجوهم منه ، وصار أهل ماجر رعية للأحامد . ولا زالوا في ازدياد التعصب والحمية الجاهلية على أهل ماجر وغيرهم ، وبغوا وملكوا أكثر عقارات الساحل ظلماً وأهل ماجر في اسوإ حال معهم . فلما عتوا العتو الكبير والظلم الكثير سلط الله عليهم مولانا عبد السلام فسكن معهم ليكون هلاكهم على يده ، حسبما جرت به عادة الله ، قال جل من قائل : (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ... الآية) ، وقال : (إن الله لا يغير ما بقوم ... الآية) . والسبب في تسليطه عليهم هو أنهم تسلطوا عليه بالضرب والشتم وغير ذلك . وكان السبب في بغضهم له مع سبب هلاكهم هو الفقيه مبارك وابن عمه سالم المباركي كانا يرميانه بالسحر وشبه ذلك حتى كرهوه مع جهلهم . وما زال به الأحامد حتى طردوه من قريتهم . وكلما تكرر عليه الظلم منهم لم يدع عليهم بشيء ، حتى أذن الله له في الدعاء عليهم .

حكي عنه رحمه الله قال : أذِن الله لي في الدعاء عليهم فقيل لي : يا عبد السلام ادع على الأحامد . فقلت : ادعو لهم بالتوبة والموت على الخاتمة . فقيل لي ثانياً : ادع عليهم . فقلت كذلك . فقيل ثالثاً : ادع عليهم بالشتات إلى أن يتفرقوا على ثلاث فرق ، ثم بهلاكهم وخلاء بلادهم منهم إلاّ من تبعك ووثق بطريقتك فلا تدع عليهم . فأطلق الله لسان الشيخ عليهم بالدعاء ، نثراً ونظماً في كثير من مقطعاته ، كقوله :

يا الله يا واحد   يا محيي العبد بعد الممات
شق وطن الأحامد   حتى يبقى على ثلاث شظيات

الخ ......

قلت : ثم استشكل الشيخ مخلوف صاحب مختصر البرموني هذا الكلام الذي يفيد صدور الدعاء من الشيخ عبد السلام على الأحامد ، مع أنه من كبار الأولياء العارفين ؛ والأحامد من المسلمين مهما كانت مواقفهم معه ، وأجاب على هـذا الإشكال بما يزيله ويزيح العراقيل أمام الواقف عليه ؛ فقال رحمه الله تعالى : « فإن قيل : قد قام الدليل على عدم الدعاء على الناس بالشر ، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (القاتل بدعوته كالقاتل بسيفيه) ، فما تقول في دعاء الشيخ على آل حامد وغيرهم ، مع ما تذكر عنه من اتباعه للسنة واخذه للأحوط والذب عن الدين قلت : دعاؤه لم يصدر منه تعمداً ، بل بوجه شرعي وإذن إلهي ، لأنهم سعوا في ظلمه وقتله ولم يمكنهم الله منه ، وقد ظفروا بابنه عبد الدائم وقتلوه على رؤوس الأشهاد ومع ذلك لم يدع عليهم الا بعد الإذن من الله ؛ اذ يباح قتالهم بالسيف فما بال الدعاء ، والدعاء يصدر من الكامن وغيره ؟ فقد حكى العلامة الشيخ الرهوني في حاشيته على شرح العلامة الشيخ عبد الباقي الزرقاني ، اثناء باب القضاء : ان حجة الإسلام الإمام الغزالي دعا على إقليم الأندلس ، مع كثرة ما فيه من العلم والخير . انظر الحكاية فيه ان شئت . وقال بن ناجي في « معالم الإيمان » ، عند ترجمة ابي الفضل يوسف بن نصر ، قال في المدونة : « ولا بأس بالدعاء على الظالم » . انتهى . ثم قال : « وفي فتح العليم ، نقلاً عن المعيار : سمعت بعض الصالحين يقول : لا يسمى الولي ولياً يعني كاملاً حتى يقتل الله بسببه عدد شعر رأسه من الظلمة . ونقل عن سيدي عبد الوهاب الشعراني مثل هذا الكلام » . انتهى .

الفصل الثالث (في اقامة الشيخ بمدينة طرابلس) :

قال صاحب مختصر البرموني ما نصه : « لما خرج من قرية الأحامد جاء لمدينة طرابلس وأقام بمسجد الناقة ، وله فيه خلوة باقية الى الآن ، كان يتعبد فيها . فلما أراد الله إظهاره بها ، ونفع من أراد الله نفعه وضر من اراد الله ضره ، شاع خبره فيها بالعلم والزهد والعبادة وإظهار الكرامات ، إلى ان اجتمع عليه خلق كثير من كل ناحية . وصار يلقنهم ويربيهم أحسن تربية ، واستعمل لهم السماع المعبر عنه بالحضرة ليلتي الجمعة والاثنين . واستمر على ذلك مدة حياته بعد قضاء الفرض . فلما كان ذلك تحيرت منه قلوب الحسدة والمنكرين عليه وتقوّت بهم مادة الاعتراض بالمحن والفتن والأغراض الفاسدة . ولا زالوا على ذلك إلى أن أوقعوا الفتن بين الشيخ وأصحابه الطرابلسيين ، وسبب ذلك رمي الحسدة له بالزندقة . وقالوا : الحذر الحذر من الاجتماع به . حتى تغير اعتقاد الكثير من الفقراء ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . . .

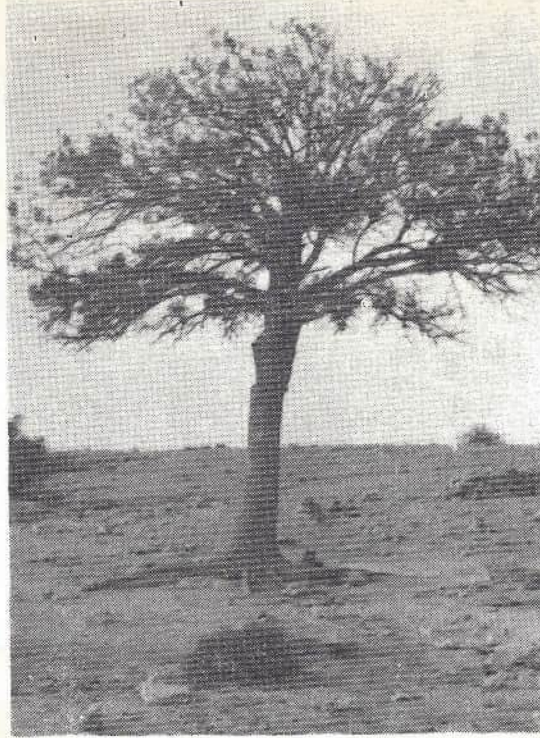
« ولم يقع للشيخ ضجر ولا تأوه من ظلمهم وتعديهم وتشتيتهم لفقرائه وذلك لسعة أخلاقه . ولما رأوا منه ذلك ازداد تغيرهم حيث لم يمكنهم التمكن منه ، كالقاضي ابي محمد وبعض أصحابه ، وشكوه إلى الوالي وقالوا له : ان ها هنا رجلاً من أهل يوزليتن يزعم أنه القطب ويؤم الناس ، فأخرجْه لئلا يشوش عليك بلادك ، فتخرج من بينهم على غير اختيار . ولا زالوا على ذلك حتى ألزمه الوالي بالخروج من طرابلس ومن سائر قراها » .

قلت : ويبــدو واضحاً من العبارات السابقة أن القاضي أبا محمد وشرذمته الذين حسدوا الشيخ وتعصبوا عليه لم يحاولوا أن يناظروه أو يناقشوه ، ولا أن يحضروا معه ويتفاهموا في شأن ما جاء به وما دعا الناس اليه ؛ وذلك يعطينا فكرة واضحة على أنهم يعلمون علم اليقين في قرارة انفسهم أن الشيخ على حق وهدى ، وأن طريقته شرعية وسنية ولا يمكن مهاجمتها من هذه الناحية فلجأوا الى سلاح الضعفاء وحجة المغلوبين ... الى الأساليب السياسية المفضوحة التي يتبعها سماسرة الشعوب وبائعو الأمم لحكامها في كل عصر وفي كل مصر . وتأمل يا أخي القارىء قولتهم الدنيئة للحاكم والوالي التي تعطيك هــذه الحقيقة الواضحة إذ يقولون : لئلا يشوش عليك بلادك فتخرج من بينهم على غير اختيارك .

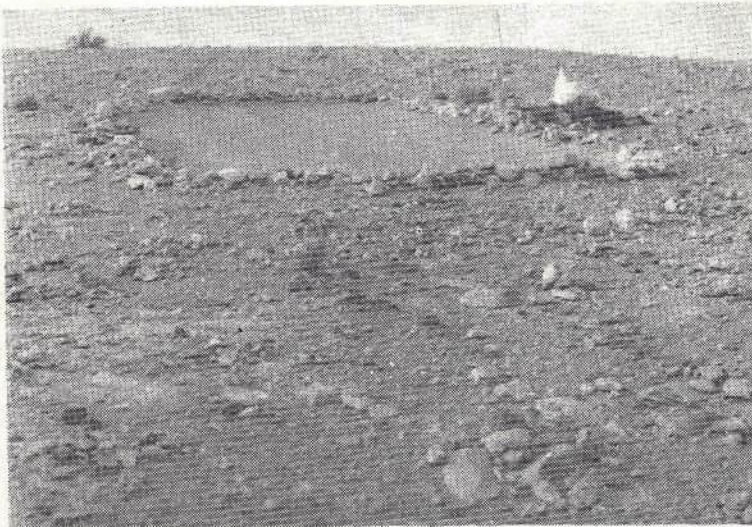
ثم قال نقلاً عن صاحب الاصل : « ولا زالوا على ذلك حتى ألزمه الوالي بالخروج من طرابلس ومن سائر قراها . وكنت معه يوم خروجه وقد أخذه حال عظيم وهو يقول :

اذا ظلم الامـير وكاتباه	وعم الحسد في كل البلاد
وقاضي الحكم تاه في هواه	وأظهر بالفجور وبالعناد
فويل ثم ويل ثم ويل	لكل فقير من قاضي البلاد
أقول أقول يا وحشتاه	فلا يخلو الفقير من النكاد
من البلقاء يا أخي خرجنا	وكل مقيم يرحل باعتياد

انتهى .. ».



الشجرة التي كان يجلس تحتها سيدي عبـد السلام
بقلعة سوف الجين ـ بورفلة ، بني وليد

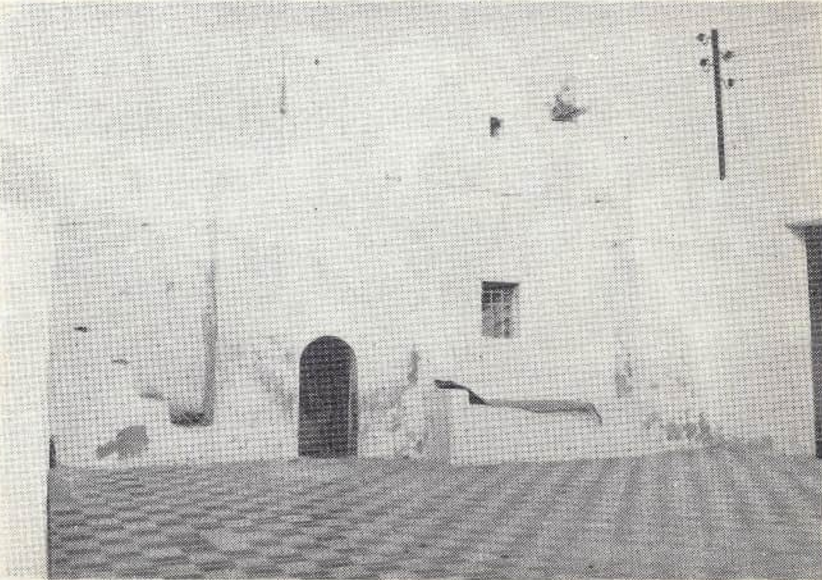


المكان الذي كان يصلي فيه سيدي عبد السلام ـ بوسط
قلعة سوف الجين ـ بني وليد

مقابل صفحة ٣٦



ضريح سيدي محمد المبارك ، احد اولاد سيدي عبد السلام
بقلعة سوف الجين ـ بني وليد



ضريح سيدي علي ابو دبوس ـ بمصراته

الفصل الرابع : (في اقامته بجبل غريان) .

قال نفس المصدر السابق : « لما خرج رحمه الله من طرابلس وقراها فرّ مقبلاً إلى جبل غريان ومكث به مدة بكاف هناك يسمى بتكيره ، وقد وقع له هناك من الظلم واساءة الأدب مـا لم يقع له في محل آخر عدا أولاد سيدي ساعد وأولاد بوسلامة ، فإنهم عظموه واعترفوا بفضله وجلالته وشرفه .. » .

الشيخ بقلعة سوف الجين :

« لما خرج رضي الله عنه من جبل غريان جاء الى جبل عظيم قريب من وادي بني وليد به قلعة يقال لها قلعة سوف الجين ، هو وأصحابه ، وسكنوا . بها وقبل أن يأتي إليها لم يكن بها ماء ، فلما حل بها وأصابهم العطش واحتاجوا إليه وإلى الطهور ، جاءوا اليه يريدون الماء . فلما سمع كلامهم على ذلك ذرفت عيناه واصابه حال عظيم ، وتلا آية من كتاب الله وأخذ معواله فضربه في صخرة فنبعت عين تجري بالمـاء وهي الى الآن موجودة مسمّاة بعين سيدي عبد السلام . وله بتلك القلعة رابطة كان يتعبد بهـا فمكث بها سبع سنين دأبه الالتجاء الى الله ورسوله ، وإظهار الاضطرار اليه بالبكاء والتذلل والتوسل إليه بالأنبياء والأولياء نثراً ونظماً وتلاوة القرآن . وكان حسن القراءة تسمع لقراءته وإنشاداته الطيور والوحوش والهوام والجنون ، ويأوون اليـه طائفة بعـد طائفة ويحادثونه ويبشرونه . ولم يكن عنده في ايام مكثه بهـا زاد سوى اربعة صيعان تمراً فزانيـاً ، ومثل ذلك من دقيق الشعير في جراب . فكان ذلك قوتهم ، وهم يخرجون منها القـدر الكافي في كل يوم وهي

تتزايد ولم تنفد . وله بقرة حمراء وعجلة منها للحليب . ويشير للعجلة ان تشرّق لترعى الربيع وللبقرة ان تغرّب لذلك أيضاً ، لا يجتمعان إلا إذا جن الليل بين يدي الشيخ .

وقد ظهرت له بتلك القلعة كرامات لا يمكن استقصاؤها . قال سيدي عبد الرحمن الغدشي : صليت ذات يوم الصبح مع الشيخ بالقلعة ، فلما انتهى من قراءة وظائفه وأوراده ، جعل يقول بعد ذلك :

ما انجلت عنا الأنكاد   حتى فارقنا الأضداد

... انتهى » .

الشيخ يترك القلعة الى تاورغاء ومصراتة :

قال نفس المصدر السابق : « لما أكمل الشيخ سبع سنين بقلعة سوف الجين وأراد الله رجوعه منها ونفع من أراد نفعه وضر من أراد ضره ، سلط الله الحسدة على الوالي ، كما قيل :

واذا اراد الله نشر فضيلة   طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار من جزل الغضى   ما كان يعرف حسن عرف العود

فجعلوا يكلمون الوالي على أن يوجه له من يؤذيه ويسيء اليه ، ويقولون عنده بما يكرهه . وما زالوا به حتى جهز له جيشاً كبيراً وقصده بالقلعة يريدون إذايته ، وكبير الجيش الوالي ومعه القاضي ابو محمد الذي هو من فئة الأضداد وجماعة من اصحابه . وجدوا في السير فلما وصلوا وادياً هناك يقال له (سوسو) وباتوا به ، جاء الشيخ الى الوالي فلم يشعر به حتى دخل خيمته وسط الليل فملأ الله قلبه رعباً

وذلاً وقال له : انت حمار . ثم أخذه من أذنه وأخرجه من الخيمة ، وجعل على ظهره بردعة حمار وركب على ظهره وجعل يطوف بالجيش راكباً عليه ، ينخسه ويسوقه كالحمار ، الى ان أصبح الصباح فغاب الشيخ عنهم وترك البردعة على ظهره ، فنزعها وأخبر بذلك القاضي . فقال له : هذه شعبذة وضعها لك عبد السلام وأنت ظننت أنها كرامة ، والله ما هي كرامة .

« ثم رحل الجيش بإذن الوالي والقاضي وتوجهوا للقلعة ، فعارضهم من طير الخطاف ما ملاء الأفق ، حتى أنهم لم يستطيعوا رؤية موضع يذهبون إليه : فإذا التفت أحدهم لناحية الجيش أبصره ولم ير شيئاً من ذلك الخطاف ، وإن التفت للناحية التي بها الشيخ لم ير شيئاً لكثرة ذلك الخطاف في الأفق . فتحير الوالي مما رأى وقال للقاضي : اخبرني على قصة هذا الطير وكثرته في ناحية دون ناحية . فقال : نعوذ بالله مما رأيت ، فإن ذلك شعبذة لا كرامة . وأمر الجيش بالقدوم إلى الشيخ . فبينما هو يحرضهم على ذلك ظهر غيم شديد وسواد هائل يرمي دخاناً حاراً حتى غشيهم . فلما رأوا ذلك وأيقنوا بالهلاك ، وعلموا أن ذلك من بركة الشيخ ندهوه بعد الاستغاثة والتضرع إلى الله ، فأزال عنهم ذلك الغيم ورجع الوالي والجيش الى المدينة .

« ثم بعث الوالي للشيخ يأمره بالمجيء إلى البلاد ويختار منها ما يوافقه للسكنى . فجاء هو واصحابه الذين معه ، فلما قرب من تاورغاء جاءته طيور خضر على قدر العصافير من الجوف ، وجعلت تكرر التوارد عليه حتى تعجب من معه من ذلك . ثم سئل عنها بعدما دخل البلد فقال لهم : تلك الاطيار التي كانت تتوارد أرواح الأولياء يتبركون بقدومنا الى البلد . ودخل الشيخ تاورغاء يريد المكث بها لأن اهلها يحبونه ويعظمونه ، وقد تلقوه بالإجلال والإكرام ، وأقام بها في ارغد عيش

وصحبه بها أناس كثيرون . وكنت أسمعه غير مرة يقول :

أطلب من الله الرحمن ان لا يطفأ من تاورغاء دخان .

الى آخر ما قال . فلما أراد ان يبني بها داراً نودي في سره : يا عبد السلام ، انتقل من تاورغاء واسكن غيرها ، فإن لك شأناً عظيماً في الانتقال منها . فارتحل منها ودخل مصراتة يريد سكناها ، ففرح أهلها به وأكرموه . وأقام بها مدة بدار سيدي علي بودبوس ، بموضع يسمى بيدر ؛ وتبعه فيها خلق كثير أزيد من ثمانمائة ، وأخذ موضعاً ليبنيه ويستقر فيه . وعندما تسبب في التأسيس سمع قائلاً يقول : يا عبد السلام ، ارفع يدك عما أنت تصنع من التأسيس بمصراتة ، وانتقل منها عاجلاً واسكن غيرها . فإن الله يأمرك بالخروج منها في هذه الساعة لئلا يقع قتال بين ذريتك وذرية أولاد الترك في آخر الزمان . فخرج من مصراتة واتى ليوزليطن » .

انتهى ...

الشيخ في يوزليتن بين البراهمة وأولاد غيث :

قال صاحب مختصر البرموني ، نقلاً عن الأصل كعادته ، ونحن بدورنا نعتمد عليه كما ترى ، إذ هو أحسن مصدر في هذا الشأن ما نصه :

« لما أتى ليوزليتين وأقام بها ، وهي قرية أبناء جنسه الفواتير ، وتسبب في بناء زاوية بها بعد رضائهم عليه وفرحهم به ، ناداه هاتف من هواتف الحق جل جلاله : يا عبد السلام ، انتقل من أرض الفواتير واترك البناء والتأسيس بها ، لأنهم أهل بلاء وبركتهم كثيرة وأنت كذلك ،

إما تضرهم أو يضروك ، إذ لا ينزل البـــلاء على البلاء ، لأن صاحب البلاء الأكثر يضر بصاحب البلاء الأقل ، ولا يكون نزولك وتوطنك إلا بين ظهر البراهمة وأولاد غيث . فقال : يا رب ، أرحني من أولاد غيث ومن القرب منهم ، لأنهم أناس سوء ، وفيما سلف تسببوا في إذايـــتي وطردوني من يوزليتن المرة بعد المرة ، ففي البعد منهم راحتي . فنودي في سره ثانياً : يا عبد السلام ، لا تنزل بأرض غــيرهم ، ولا يقف لك أساس ولا زاوية إلا بالقرب منهم ، ولو ظلموك أشد الظـــلم وتعدوا عليك ففي تعدّيهم عليك خـــير لك وزيادة حجة عليهم . فإن أحبوك أحببتهم ، وإن أبغضوك أبغضتهم .

« فارتحل من أرض الفواتير ونزل على قبيلتي البراهمة وأولاد غيث : فأما البراهمة ففرحوا بنزوله وعظموه وأعطـــوه أرضاً أسس فيها الزاوية وغيرها . وأما أولاد غيث فكرهوا نزوله ، ووقــع له منهم من الظلم وإساءة الأدب ما الله به عليم . ولو علموا مـــا سيقع لهم من الخير والرحمة وغير ذلك لفعلوا معه كما يأمرهم به ، لكن حرمهـــم الله من ذلك . ثم نصره الله على أولاد غيث وغـــيرهم وسكن بلاده يوزليتن ونارت به وأسس بها زاوية وكثر فيها ذكر الله وتلاوة القرآن ونفـع خلائق لا يحصون وقصم به جبابرة كثيرون » . انتهى ...

قلت : قال الشيخ عبد السلام العـــالم ، في كتابه « فتح العليم » ما نصه :

« وكان بناء الشيخ للزاوية سنة إحدى وسبعين وتسعمائة » انتهى ..

قلت : وهذه الزاوية المباركة لا تزال عامرة بطلبـة القرآن والعلوم الشرعية واللغوية ، وقد كانت دراستي العلمية بها فقضيت فيها نحو العشر سنوات لتلقي العلوم على مختلف انواعها . ثم رجعت اليها بعد حـــين

كمدرس بها مــدة خمس سنوات تقريباً ، ولا زالت مشعل نور وهداية لاسيا بعد أن انضمت الى الجامعة الاسلامية وأصبحت فرعاً منها تحمل اسم « المعهد الأسمري الديني » . وما زال الناس ، والحمد لله ، يعتقدون في هذه الزاوية وصاحبها الخير ويبعثون بأولادهم سنة بعد أخرى اليها . وهي أعظم معهد بطرابلس بل بليبيا على الإطلاق ، وفي كل سنة يتخرج منها عدد من المدرسة القرآنية ويدخلون القسم العلمي ، وعدد من طلبة العلم يخلصون من المرحلة الثانوية بها ويذهبون إلى كليات البيضاء لإتمام دراساتهم . وبالرغم من أن هذه الزاوية في ضاحية ، وبعيدة من المدينة ، وفي بلاد تقل بها الكماليات بل وبعض الضروريات : كالماء الحلو والنور الكهربائي ، ولكن الناس يحبونهـــا ويحبون الدراسة بها . ولا شك أن ذلك يرجع لأسرار صاحب المقام ومنشىء الزاوية ، سيدي عبد السلام ، نفعنا الله ببركاته في الدنيا والآخرة .

المبحث الثالث

في المرحلة الثالثة من حياته

وفيها ذكر طريقته ورتبه وعبادته، واوصافه الشخصية، ووفاته

الفصل الاول : في الكلام على طريقته الصوفية .

من المعروف أن مولانا الشيخ عبد السلام الأسمر من كبار العلماء العارفين . وتبين لنا من دراسته على شيخه الدوكالي تلك الكتب الفقهية كخليل والرسالة انه مالكي المذهب ؛ كما يتضح من نصائحه ووصاياه ، كما سيأتي ، أنه من أهل السنة ومن طائفة الأشاعرة المشاهير . أما الطريقة الصوفية التي كان يتبعها فهي الطريقة العروسية المشهورة . وتبركاً بأسماء مشائخها الذين ذكرهم الشيخ ، رضي الله عنه ، ننقلهم إليك بالنص . قال صاحب مختصر البرموني :

« اعلم أن مولانا عبد السلام ذكر في نصيحة المريدين وغيرها أسماء مشائخ طريقته ، نظماً ونثراً ؛ كما ذكرهم تلميذه الشيخ سيدي سالم السنهوري نظماً ونثراً ؛ وذكرهم أيضاً « الأصل » نثراً . وبيان ذلك هو أن سيدي عبد السلام أخذ عن سيدي عبد الواحد بن محمد الدوكالي ،

وهو أخذ عن سيدي فتح الله بن أبي رأس القيرواني ، المفتي بها المدفون في برنو بأرض السودان ؛ وهو عن الشيخ أحمد بن عبد الله الرشيد ، الساحلي مولداً المعروف بأبي تليس ودفن بالقيروان ؛ وهو أخذ عن سيدي أبو راوي الفحل ، واسمه عبد الله بن علي ، القلعي مولداً اللواتي نسباً ، وقبره بسوسة معروف ؛ وهو أخذ عن الغوث الأعظم سيدي أحمد بن عروس وبه اشتهرت الطريقة وسميت عروسية ، لأنه أشهر المشايخ علماً وحالاً ؛ وهو أخذ عن سيدي فتح الله بن يوسف العجمي ؛ توفي بتونس وقبره معروف قريب من الجلاز ؛ وهو أخذ عن سيدي ياقوت العرشي ؛ وهو عن سيدي أبي العباس احمد المرسي ؛ وهو عن الشيخ الكبير الشهير سيدي أبي الحسن الشاذلي ؛ وهو عن الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش ، وهو أجل مشائخه وعلى يده كان فتحه ؛ وهو اخذ عن القطب الشريف سيدي عبد الرحمن المدني العطار ، الشهير بالزيات ، وهو عن القطب الشيخ تُقيّ الدين الفُقيِّر ، لقّب نفسه بتقي الدين الفقير بالتصغير فيهما تواضعاً ، وهو عن القطب فخر الدين ، وهو عن القطب نور الدين أبي الحسن علي ، وهو عن القطب تاج الدين ، وهو عن القطب شمس الدين محمد ، بأرض الترك ، وهو عن القطب زين الدين القزويني ، وهو عن القطب ابراهيم البصري ، وهو عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني ، وهو عن القطب سعيد ، وهو عن القطب سعد ، وهو عن القطب أبي محمد فتح السعود ، وهو عن القطب الغزواني ، وهو عن القطب أبي محمد جابر ، وهو عن أول الأقطاب الحسن السبط ، وهو عن والده سيدنا علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وهو عن سيد الكونين ورسول رب العالمين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخ ...

« ثم استرسل في الكلام وأثبت سلسلتين أخريين للطريقة العروسية : إحداهما شاذلية والأخرى غير شاذلية ؛ وأثنى على الطريقة العروسية

الشاذلية ونقل جملاً من عبارات الشيوخ في الثناء عليها . قال : اعلم ان الطريقة العروسية هي لب الطرق وأقومها ، وأنفذها الى الله عز وجل ؛ فمن سلكها وصل إليه مصحوباً بالسلامة ، محفوفاً بالكرامة . وهي طريق قويم وصراط مستقيم ، جامعة بين الشريعة والحقيقة . وكان سيدي أبو رأس يقول : لا طريقة إلا عروسية ، ولا سيرة إلا شامية . . . إلى أن يقول : وأجمع القوم على الطريقة الشاذلية حتى قال مولانا عبد السلام : من لم يتشدل أحواله تُبدّل ، والعروسية هي الشاذلية الى آخره ... » . انتهى .

الفصل الثاني : الرتب التي تولاها .

قال الشيخ مخلوف في مختصره ما نصه :

« قد علمت أن مولانا عبد السلام بلغ القطبانية العظمى ، أعني الغواثة ، غير أنه بقي علينا بيان الرتب التي حصلت له قبل ذلك . وبيان ذلك ، على ما في « صغير » سيدي عبد الرحمن المكي ، قال رحمه الله : استنجب الشيخ عشر سنين ، واستنقب خمس سنين ، ثم انتقل الى البدالة ومكث فيها سبع سنين ، ومنها انتقل الى القطبانية ومكث فيها اثني عشر عاماً ، ومنها انتقل الى الوتادة ومكث فيها ست سنين ، ثم الى الغواثة وفيها لبس الثوب الذي بطوقين والبرنس .

« وقد روي عن الشيخ الدوكالي أنه قال : إذا رأيتم الشيخ عبد السلام قد لبس الثوب بطوقين وازداد البرنس في ساعة واحدة فإنه دخل طريق القطبانية . فكان كما قال . وقال ايضاً : إذا رأيتم عبد السلام قد لبس الثوب بأربعة أطواق وتعمم بالشاش في ساعة واحدة فقد دخل

طريق الوتادة . فكان كما قال . وانتقل من القطبانيـــة ودخل طريق الوتادة ومكث فيها ست سنين ، وفيها لبس الثوب الذي بأربعة اطواق والشاش ، وانتقل منها الى الغواثة ومكث فيها أربعين عاماً . وفي ليلة الجمعة من العشر الأوائل من رمضان عام واحد وأربعين وتسعمائة أولاه الله الحكم على كل شيء من ناطق وجامد ... الى آخره » .

قلت : ويبدو الكلام على هذه الرتب والمناصب غريباً لدى كثير من أبناء القرن العشرين ، الذين غلبت عليهم الناحية المادية ، وضعفت عندهم وكادت تعدم الناحية الروحية الدينية المعنوية . وهذه المراتب والمناصب لا يعرفها إلا أهلها الذين سلكوا طريقها وعملوا بموجبها . وعلينا نحن ، إذا لم تصل عقولنا القاصرة الى إدراكها ، أن نسلمها ونصدق بها ، لأننا نؤمن بالماديات والروحانيات ، ولا يلزم من عدم معرفتنا لهـــا أنها لا توجد ولا معنى لها . على أن أغلب المسائل والأحكام الدينية الإسلامية مرجعها النواحي الروحية والمعنوية .

هذا ، وقد وجد من النصوص الأصولية والأحاديث الشريفة ما يشهد بوجود هذه الرتب التي ذكروها للأولياء والصالحين . وها أنا أنقل إليك كلام الإمام السيوطي ، وهو أشهر من أن يعرف به ، لتعلم أن مـــا ذكروه له أصل في الشرع ، ولا التفات لمن ينكر مثل هـــذه الرتب ويقول : خرافات لا أصل لها . قال في كتابه الذي سماه « الحاوي في الفتاوي » ما نصه :

« الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال : وهذا عنوان قال بعده : بسم الله الرحمن الرحـيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . الحمد لله الذي فاوت بين خلقه في المراتب ، وجعل في كل قرن سابقين ، بهم يحيي ويميت وينزل الغمام الساكب ، والصلاة

والسلام على سيدنا محمد ، البدر المنير ، وعلى آله وأصحابه الهداة الكواكب ، وبعد ؛ فقد بلغني عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم إبدالاً ونقباء ونجباء وأوتاداً وأقطاباً ؛ وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك فجمعتها في هذا الجزء لتستفاد ، ولا يعول على إنكار أهل العناد . وسميته (الخبر الدال ، على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال) ، والله الموفق » .

ثم ذكر مجموعة كبرى من الأحاديث والآثار في هذا الموضوع ، والتي تدل على وجود هذه الأسماء والرتب ، ننقل منها بعضها للاختصار ، والبعض بالبعض اكتفى . قال رحمه الله تعالى في سند طويل ، إلى أن وصل إلى قوله : « عن علي : سألت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن الأبدال ، قال : هم ستون رجلا . فقلت : يا رسول الله حلهم لي . قال : ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين . لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكن بسخاء الأنفس وسلامة القلوب والنصيحة لأمتهم . أخرجه الخلال في كرامات الأولياء ».

وقال – أي السيوطي – في موضوع آخر ، عن سيدنا عبد الله بن مسعود ، بعد أن سرد السند الطويل ما نصه : « عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة ، قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، ولله في الخلق أربعون ، قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ، ولله في الخلق سبعة ، قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام ، ولله في الخلق خمسة ، قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ، وفي الخلق ثلاثة ، قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ، ولله في الخلق واحد ، قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام : فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة ، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله

مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، فبهم يحيي ويميت ، ويمطر وينبت ، ويدفع البلاء . قيل لعبد الله ابن مسعود : وكيف بهم يحيي ويميت ؟ قال : لأنهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرون ، ويدعون على الجبابرة فينقصون ، ويستسقون فيسقون ، ويسألون فتنبت لهم الأرض ، ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء » اخرجه ابن عساكر .

وقد أطال في هذا الموضوع ونقل عدداً كبيراً من الأحاديث والآثار . وغرضنا أن نشير إلى أن هذا المعنى الذي تكلم عليه السادة الأولياء ، وقسموه إلى مراتب ، وسمعنا أن مولانا عبد السلام قد تولاها شيئاً فشيئاً ، له أصل في الدين ولا ينكر على أهله ، سواء أمكنك معرفته واستطعت أن تفهمه ام كنت في مستوى لا يؤهلك الى إدراك هذه الأسرار . علماً بأنك أعجز من أن تدرك كل شيء لله في عباده . ولذلك نقتصر على هذين الحديثين ، ومن أراد الاطلاع على الموضوع مبسوطاً فعليه بالكتاب المذكور للإمام السيوطي ، فإن فيه العجب العجاب ، والله الموفق .

الفصل الثالث : في كيفية سلوكه في عبادة ربه .

قال الشيخ مخلوف في مختصر البرموني ما نصه : « كان رضي الله عنه لا يفتر عن قراءة القرآن والذكر والدرس في كل زمان ؛ اذا صلى العشاء الأخيرة يتنفل بمائة ركعة ويختم ورده ، وبعد ذلك يذكر سبعين ألف لا إلـه الا الله ، وسورة الإخلاص سبعين ألفاً ، واسم الجلالة

خمسمائة ، ويختم البردة والمرزوقية وأسماء الله الحسنى كل ليلة . وبعد صلاة الصبح يقرأ وظيفته وأدعيته ووظيفة الشيخ أحمد زروق وأحزاب الشيخ الشاذلي بأجمعها ، ويختم القرآن ودلائل الخيرات ، ويقول : سبحان الله العظيم وبحمده ألف مرة ، وأحزابه الأربعة قبل ان يصير الضحى . وبعد ذلك يقرىء درساً في التوحيد إلى أن يصير الظهر ، وبعد صلاة الظهر يقرىء المختصر والرسالة إلى ان يصلي العصر ، وبعد ذلك يقرىء الحكم إلى صلاة المغرب ، ثم يقرىء النحو والمعقول إلى توسط العشاء . انتهى من صغير سيدي عبد الرحمن المكي » .

قلت : وهذا على سبيل الكرامة وخرق العادة لا يستبعد صدوره عنه ، رضي الله تعالى عنه ، فقد ذكر من ألّف في كرامات الأولياء من يختم القرآن العظيم في اليوم الواحد العشرة والعشرين وأزيد .. إلى آخره . قلت : وصدق الشيخ مخلوف في ذلك ، وهذه أحوال لا يدركها إلا من كان من أصحابها ، ولله في خلقه شؤون . ولا يمكن لمقصر فاتر الهمة كأمثالنـــا ، يدعى إلى الجنة بالسلاسل ، أن يقيس أحواله وأوقاته على أحوال وأوقات هؤلاء السادة ، الذين خصهم الله بفضله ، وأعطاهم من المقامات ما يجعلهم يأتون بالعجب العجاب من المجاهدات والعبادات ، التي يستبعدها كثير من قاصري النظر والجاهلين لأحوال الأولياء والصالحين . نفعنا الله بأسرارهم وعـــلومهم وكراماتهم ، ووفقنا لفهم أحوالهم ، وجعلنا من المقتدين بهم المحبين لهم ، بجاه نبيه وصفيه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ، عليه الصلاة والسلام .

الفصل الرابع : في ذكر شيء من أحزاب الشيـخ .

ذكر الشيخ مخلوف أن للشيخ ، مولانا عبد السلام ، أربعة أحزاب ، أوصى بحفظها وتلاوتها على الدوام لمن قدر على ذلك من المريدين . ثم ذكر هذه الأحزاب كلها ، وقد اشتملت على أذكار وتوسلات وأدعية تدل

على أن لهذا الشيخ قدماً راسخة في سائر العلوم والمعارف ؛ وخوف الإطالة نشير إلى بعض كل واحد منها على وجه التبرك .

فالحزب الأول هو الحزب الكبير ، ويقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . اللهم يا جبار يا متكبر يا قهار يا مصور يا ناصر ، أسألك اللهم بعزتك وجلالك وبهائك وكلماتك ، وأسألك باسم العظيم الأعظم وبالاسم الذي أُنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ ، حين وصل وغاب في قاب قوسين أو أدنى .. إلى آخره وهو طويل .

والحزب الثاني حزب الطمس ، ويقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا الله ـ خمساً ، يا قدوس ـ خمساً ، يا ودود ـ خمساً ، يا شكور ـ خمساً ، يا قابض يا باسط يا ذا الجلال والإكرام . اللهم انصرنا وارحمنا واعف عنا واهدنا ، ونجنا من القوم الظالمين ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، وجد علينا إنك أنت الجواد الكريم ، واجعلنا من التابعين للطريقة والحقيقة ، إلى آخره ..

والحزب الثالث حزب الخوف ، ويقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا الله ـ خمساً ، يا حفيظ يا علي يا عليم يا قوي يا حليم ، يا رب الأرباب يا مسبب الأسباب يا معتق الرقاب ويا شديد العقاب ، ويا عزيز يا وهاب ، ويا منزل الغيث بإذنك من السحاب ، ويا عالم ما في قلب عبدك من الوساوس الواردات المذمومات والمحمودات ، يا حاضراً لي في كل شدة يا مؤنسي في كل غربة ، يا مفرج عني كل كربة ، ويا مخلص وحلتي ويا مباعد غفلتي ، علمني من علمك واحفظني بحفظك ونجني من الضلالة والجهالة واسقني من كؤوس الوصال ، ومن شراب الصوفية في الحضرة العلية بين سادتي وأحبتي .. إلى آخره .

والحزب الرابع حزب الفلاح ، ويقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم ، يا الله يا الله يا الله ، يا رب الأرباب ويا من خلق آدم من التراب ، اللهم إني أسألك بعظمتك العظيمة وأنت العظيم الأعظم ، اللهم إني أسألك بحكمتك الحكيمة وأنت الحكيم الأكرم ، اللهم أنت الإله وأنا عبدك الفقير ، وأنت الرحيم الأرحم ، اللهم إني بأمرك نتصرف ونخفي ونظهر ولا يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السماء ، وأنت الكريم الأعلى .. إلى آخره .

الفصل الخامس : صفاته الشخصية وملابسه وسبب تلقيبه بالأسمر .

قال في مختصر البرموني ، نقلاً عن صاحب الأصل ما نصه : « كان رحمه الله متوسط القد في الغلظ ، ربعة إلى الطول ، جميل الصورة آدم اللون ، لا تمل من النظر إليه ، أسود العينين والحواجب والهدوب ، وجهه كأنه يقطر منه الدهن ، في عينه وسع وبهاء ، خفيف شعر العارضين فصيح اللسان عذب الكلام . يلبس فوق مرقعته الثياب البيض ويتعمم بعمامة بيضاء أو خضراء ، ثم يتنقب بها ويرخي عذبتها حتى لا يرى منه في غالب أحواله إلا عيناه ، ولا ينزع ذلك النقاب إلا إذا اختلى مع أصحابه وباسطهم ، فإذا رأى عامياً رد النقاب كما كان وكف عن المباسطة . ويقول الفقير الرباني : كالعروس البكر لا يطلع عليها إلا محارمها . هكذا كان يفعل إلى أن توفاه الله . وكان يتختم بخنصر يده اليسرى وذلك الخاتم أقل من درهم ، وكان له معوال ينقله في يده وأصله من شجرة الزيتون ، وكان ذلك المعوال مربعاً على أربعة أوجه ، مرسوماً في الوجه الأول : بسم الله الكافي ، وفي الثاني : الغني الفتاح ، وفي الثالث : الرحمن الباقي ، وفي الرابع : الرحيم الرزاق . وكان يلبس النعل الطرابلسي والمسد

الكامل الساتر لكعبيه والمداسة القيروانية ، وتارة يلبس الخف والجورب من النعل الأصفر وذلك على اختلاف أحواله . وكان ينهانا عن لباس النعل الاسود وكل السواد ، مدة حياته . وسبب تلقيبه بالأسمر قالت والدته رحمها الله : لما تزايد لي عبد السلام وبلغ أربعين يوماً أمرت في عالم النور ان نلقبه بالأسمر لمبيته الليالي سمراً في طاعة الله . ويؤيد إثبات هذا اللقب ما ذكره الشيخ في كتابه المسمى « بكتاب العظمة ، في التحدث بالنعمة » من قوله : سميت بالأسمر لمبيتي الليالي سمراً في طاعة الله سبحانه وتعالى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » انتهى .

وقال الشيخ عبد السلام العالم ، في « فتح العليم » ، بعد أن ذكر أوصافه الشخصية السابقة ما نصه : « اعلم ، رحمنا الله وإياه ، أن هذا الشيخ رضي الله عنه كان لا يخالف الشرع في شيء أصلاً ، بل كان واقفاً مع آداب الشريعة في جميع أموره ، وشاهدُ هذا في كثير من مقطعاته وفيما وجد من وصاياه ، وهي الوصية الصغرى . وهو في هذه المحافظة على ظاهر الآداب مخالف لبعض من ضاهاه من الأئمة الكبار التصرف ، فإنهم ربما خالفوا في شيء مما لا يستحسنه الطبع ولا يحرمه عند ظهور عاقبته الشرع ، أو يتجاوزون إلى حد التخريب ، وهو كثير وقد تقدم شيء منه في كلام اليافعي رضي الله عنه . ومن أمثلة ذلك ما ذكره الجزائري في مناقب سيدي أحمد بن عروس من أخذه مفاتيح جامع الزيتونة يوم الجمعة ، حتى أيس من صلاة جمعة ذلك اليوم ، واغتاظ عليه كثير من الناس . ثم قدر أن سقط سقف الجامع كله وبنفس سقوطه بعث الشيخ للبواب المفاتيح قبل أن يعلموا بسقوط السقف ، فعلموا أنه إنما فعل ذلك لما اطلع عليه من ذلك .. إلى غير ذلك مما هو كثير له ، رضي الله عنه ، ولغيره » انتهى .

قلت : وبهذه المناسبة أذكر قصة قصيرة مصداقاً لما حكاه الشيخ عن

سيدي بن عروس . هذه القصة هي أنه يوجد بمدينة طرابلس أحد الأولياء ، ويدعى بسيدي البلبالي ؛ وانا لم اجتمع به وإنما رأيته ونظرت إليه من بعيد لعدم معرفتي به . هذا السيد ينقل عنه كرامات كثيرة ، ولكن الذي يناسب موضوعنا هذا هو أنه – كما شاع على ألسنة عدد كبير من أهل مدينة طرابلس – كان الناس يجتمعون في مسجد كبير يعرف بجامع شائب العين بسوق الترك بالمدينة القديمة ، ولا أدري أكان تجمعهم لصلاة جمعة أو غيرها . وعلى حين فجأة جاءهم الشيخ البلبالي على غير حالة طبيعية ويقول بصوت مرتفع : أخرجوا أخرجوا من الجامع بسرعة ! . لا يبقى به أحد . بسرعة بسرعة ! فخرج الناس ورجع من جاء منهم ليدخل لأنهم يعتقدون فيه الصلاح . وما إن خرجت الجماهير وغادروا الجامع حتى جاءت طائرة العدو وحلقت فوق المدينة وضربت بقنابلها فسقطت إحداها على ذلك الجامع . فلو بقي الناس لأهلكتهم جميعاً ، وكان ذلك في الحرب العالمية الثانية بين دول المحور والحلفاء ، فعد الناس ذلك كرامة له من بين كراماته الكثيرة . والعاقل لا يستبعد على الله ، وفي حق عباده الصالحين ، أن يكرمهم بمثل هذه المكارم ، وإن كانت في ظاهرها تكتسي بعض الغرائب كقفل الجامع أو أمر الناس بالخروج منه . ولله في خلقه شؤون .

ثم قال الشيخ عبد السلام العالم : « وأما هذا الشيخ الذي هو سيدي عبد السلام ، رضي الله عنه ، فلم يبلغنا عنه شيء مما يستقبحه الطبع أو ينكره في الظاهر الشرع ، إلا الطار المعروف بالبندير ؛ فإن الشيخ استعمله وأظهره لكن بشروط : من كونه في محله مع أهله في أوقات معروفة على صفة معروفة ، مع اعترافه بأنه ليس من مطلوبات الشرع ، إلى غير ذلك من الشروط التي لا يستراب مع توفرها أنه محل الخلاف المعلوم في السماع ، وأنه محل ترخص من رخص فيه من القوم . وكان على ذلك أصحابه في حياته وبعد مماته . ولا شك أن للشيخ فيه مقصداً حسناً أ لله ورسوله

وأهل البصائر من أمته يعرفونه ، وقد تقدم ما في مناقبه من أنــه كان إذا ضربه سمع التسبيح مــن أنامله ، وهو كثير في مقطعاته ، من ذلك قوله :

اش تنكر في الطار   كل شيء يوحد الله

.. » انتهى .

وقال الشيخ سالم السنهوري في كتابه « النور النائر » ما نصه : « كان رحمه الله من أجل المشائخ وله شأن عظيم في علم الحقيقة والطريقة ، وكان رضي الله عنه يقول : لا يكمل الفقير إلا بالعلم والورع والزهد والصبر والصمت ويكون محبــاً لجميع الناس مشفقاً عليهم ساتراً لعوراتهم .. فإذا ادعى الكمال ، وهو على خلاف ما ذكرناه ، فهو كاذب . وكان رضي الله عنه يأتيه الناس من أقطار الأرض وتخرج بصحبته جملة من المشائخ لا يحصون ، وقد أخذنا عنه التلقين وخدمناه وانتسبنا به ؛ جزاه الله عنــا خيراً .. إلى آخره » .

الفصل السادس : وفاته وانتقاله الى الرفيق الاعلى .

قال الشيخ مخلوف في مختصره ، نقلاً عن صاحب الأصل مــا نصه : « جمعنا الشيخ في خلوته ثم نظر الينا فدمعت عيناه وقال : مرحباً بكم يا نعم الأصحاب والأحباب والأولاد ؛ إن الرحيــل قد قرب من دار الدنيا إلى دار الآخرة . وأخذ في الأنين ويقول : إن ببطني قولنجاً عرض بي ، وأظنه السبب لحضور أجلي . فلما سمعنا منه ذلك اشتد بنــا الهم والغم والحزن . ثم استراح وقعد متربعاً ساعة وقال : ائتوني بسعيدة مسرجــة واحملوني عليها إلى بــلاد جنسي الفواتير لنمرض عندهم ونقبر بمقابرهم ،

وأبعدوني عن أولاد غيث ، ولا تدفنوني ببلادهم لكي نخلو منهم ، فإذا قبرت بإزائهم صار لهم عليّ حق الجوار . فبكى سيدي عبد الرحمن وسيدي عمران وبقية أولاده . ثم قال له سيدي عمران : إنك جعلت الزاوية هنا ، وأمرت بدفنك بعيداً عنها ؛ فإذا جاء الزائرون صعب علينا الإتيان إليهم بالطعام . وما زال معه حتى أمر بعدم نقله وبالدفن في الزاوية . وقرب أولاده ، ثم قال :

« إخواني ؛ أوصيكم بتقوى الله العظيم وبالإحسان للحاضر والغائب ، وأعطوا لكل ذي حق حقه ، وارحموا الفقراء والمساكين ، واجبروا خاطر المجذوبين . وإذا مت يغسلني سالم بن طاهر ، والذي يصب عليّ الماء عمر بن جحا ، ويكون إمامكم في الصلاة عليّ سالم بن طاهر . فلما سمعنا ذلك منه بكينا بكاء شديداً وقلنا : يا قدوتنا ويا وسيلتنا إلى ربنا ، إذا فارقتنا فمن يكون لنا بعدك يكشف كربتنا ويرينا ما يصلح بنا في أمور ديننا ودنيانا ؟ فقال : تركت لكم عمر بن حجا فهو الخليفة فيكم بعدي ، وسيكون له مقام عظيم ، وهو باب من أبواب الله سبحانه . فقال له بعضنا : حتى أولاد صلبك من تحت خلافته ؟ قال : نعم ، إلا عمران ، فإني قدمته على إخوته وعلى الزاوية . ثم جمع أولاده بين يديه ووضع أيديهم فوق أيدي بعضهم ، وجعل يد عمران فوق الجميع ، ثم جعل يد سيدي عمر بن جحا فوق يد سيدي عمران ، وقال : يا عمر ، أنت الأمير وعمران الوزير . فكره ذلك سيدي عمران وسلّ يده . فقال له الشيخ : إن لم تردها ياعمران لا تنال مني شيئاً لا في الدنيا ولا في الآخرة . ثم خلا بسيدي عمر وأوصاه بأشياء كثيرة واختصه بما خصه الله من البركات .

« ثم قعد متربعاً وطلب الماء فجئنا به فشرب ثم توضأ وضوء الصلاة حتى ظننا أنه برأ ، وكانت تلك راحة الموت . وقد أوصى بأشياء كثيرة

منها حفظ أحزابه وأحزاب الشاذلي والبردة وغير ذلك ، ثم اسند ظهره إلى الحائط وجعل يقول :

شوری دعـــاني يا مـــن يوادعني
مريض وفاني يا مـــن يسامحني

وذكر المقطعة بكمالها وهو يشير فيها إلى موته وفراقه لأصحابه . ثم قال : ثم بعد ذكره لهذه المقطعة اضطجع على جنبه الأيمن ووجهــه إلى القبلة وجعـــل يقول : أشهد أن لا آله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. يكرر ذلك إلى أن خرجت روحه . وكانت وفاته يوم الخميس بعد صلاة العصر في العشر الأواخر من شهر رمضان ، سنة إحدى وثمانين وتسعمائة هجرية ..

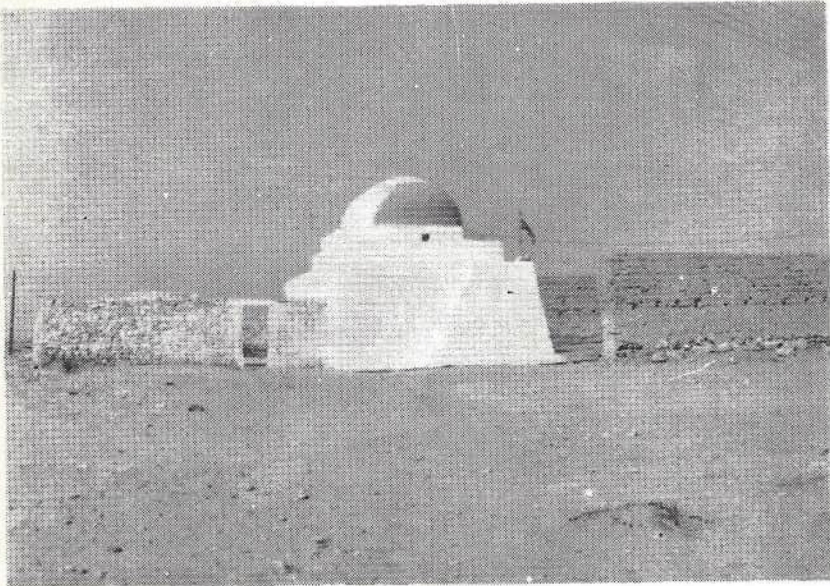
« وبات مغسلاً في خلوته ، ودفن بعد صلاة الجمعة - بعد ما غسل أيضاً - بزاويته المعروفـــة بيزليتن . وكان الذي تولى غسله والصلاة عليه سيدي سالم بن طاهر كما أوصى » انتهى « الأصل » .

ثم قال الشيخ مخلوف : « وفي صغير سيدي عبد الرحمن المكي : عاش مائة وعشرين عاماً . وقال سيدي أبو مدين السقفي وسيدي محمد بن جعفر الكندي وجماعة : عاش مائة وعشراً ، وهو الصحيح . وقال سيدي عمران ابنه : عاش أحد عشر ومائة » انتهى ..

وقال الشيخ عبد السلام العالم في « فتح العليم » ما نصه : « وفي مـدة حياته رضي الله عنه روايات ، أعدلها خمس وتسعون سنة ، كذا نقلته عن سيدي أبي راوي ، ولا يقوله إلا بمستند ؛ وأمر يوم موته أن ينادى على رؤوس الأشهاد بما يأتي ذكره في الوصية ، من أن من رآه أو رأى من رآه إلى تسعة وعشرين جداً حرمه الله على النار » .



ضريح الشيخ سيدي عبد السلام الاسمر من داخله ـ بيزليتن

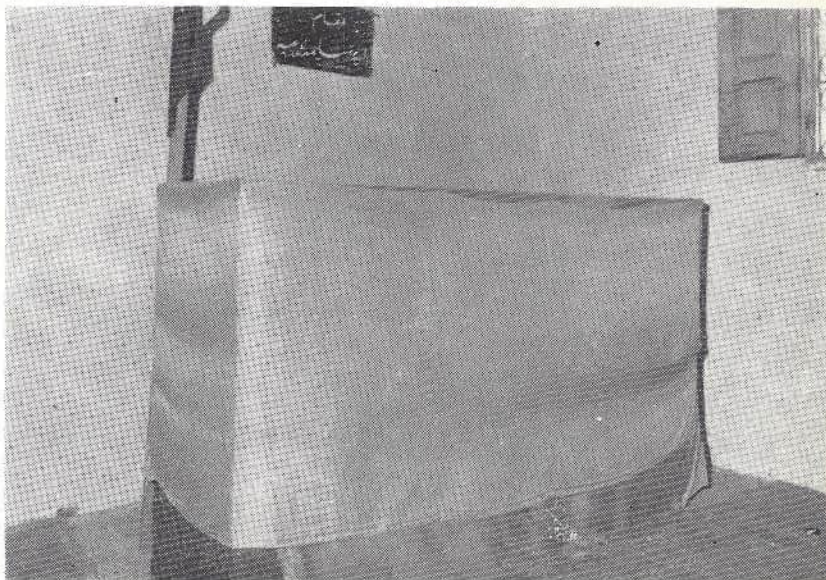


ضريح سيدي سليم ، والد الشيخ سيدي عبد السلام ـ بيزليتن

مقابل صفحة ٥٦



مكان منزل الشيخ سيدي عبد السلام الذي جدد مؤخرا ،
وبه قبر والدته ـ بيزليتن



ضريح السيدة سليمة عيادة الدرعية ، والدة الشيخ
سيدي عبد السلام ـ بيزليتن

المبحث الرابع

في الكلام على الولاية والأولياء

بما أن سيدي عبد السلام الأسمر الذي كنا نتحدث عنه وعن حياته وأطوارها ومراحلها الثلاث هو معدود من الأولياء الذين فتح الله عليهم واختصهم بمزايا لا توجد عند غيرهم ، وفضل الله واسع يعطيه من يشاء من عباده ، ناسب ان نتكلم عن الولاية : ما هي ، ومن هو الولي ، ومـا هي مميزاته وأوصافه ، التي يعرف بها بين سائر الناس . ونظراً لأن صاحب مختصر البرموني نقل في ذلك عدة نقول على فحول من علمـاء الاسلام فإنني أعتمد عليه وأنقل منه ما يسد حاجتنا في هذا المبحث . ولا نتقيد كما كنا سابقاً بنقل النص والترتيب لطول ما جاء فيه ؛ وعلى العموم فله الفضل ولمن سبقه ونقل منه ، فجزاهم الله عنا خيراً فنقول وبالله التوفيق :

الفصل الأول : في معنى الولاية .

قال رحمه الله تعالى : قال ابن حجر الهيثمي في شرح الأربعين النووية : اعلم أن الولاية غير مكتسبة كالنبوة ، فهي محض فضل من الله ، لا دخل للعبد فيه ، وإلا لنالها إبليس وبلعم ابن باعوراء وأكابر المعتزلة بجدهم واجتهادهم . وفي الرماح ، نقلاً عن عرائس البيان : الولاية اصطفائية محضة

كالنبوة والرسالة اللتين لا تتعلقان بسبب من الأسباب مـن العرش إلى الثرى . وكما أنه تعالى أحب الأنبياء والرسل كذلك أحب الأولياء الأصفياء محبة بلا علة .

قلت : ويتبين من ذلك أن الولاية درجة من درجات الكمال الإنساني ، ومقام عظيم من المقامات الكبرى التي يمنحها الله لبعض عبـاده الذين اصطفاهم واختارهم لهذا المنصب الشريف ، وهذا لا ينافي أن الله تعالى - وإن كان ذلك منه فضلاً وإحساناً - يؤهل العبد لذلك فيحميه من الأدران والرعونات من أصل نشأته ، ويضفي عليه من توفيقه ما يجعله كاملاً بعيداً عن النقائص والخلال التي تحط من قيمته ، كشخص اختاره الله ليكون من الأفراد الكاملين . وفي هذه الآية الكريمة ما يشير إلى ذلك ، حيث يقول جلت قدرته : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. الآية) حيث وصفهم بالإيمان والتقوى ؛ وحدّث عن الإيمان والتقوى بما شئت فلست ببالغ معناها الكامل .

ولا يفهم من معنى هذه النقول ان الإنسان المقصر في الطاعات المرتكب للمخالفات يمني نفسه ويقول : إن الولاية خصوصية ، يختص بها الله من يشاء من عباده ، ويوماً ما سأكون ولياً وستنالني رحمة الله .. لا ينبغي أن يفهم من ذلك هذا المعنى وإن كان لا حجر على تصرفات الإله سبحانه ، إذ هو لا يسأل عما يفعل ، ولكن ظواهر الشريعة تأمر المسلم بالتشبث بالتكاليف الشرعية والتقيد بالآداب الإسلامية والأخلاق الدينية ؛ وهـذا أيضاً لا ينافي ما يتناقله الناس من أن بعض الأولياء كانوا في أوضاع بعيدة من الطاعات والتقوى ، بل بعضهم كان يفعـل ألواناً من المعاصي والمخالفات لأمرين : الأول أن هذا نادر وقليل ، والحكم للغالب الكثير ؛ الثاني : أن الإنسان إذا تاب وحسنت توبته ابتدأ مع ربه حياة جديدة

نظيفة ، إذ الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ؛ والله الموفق .

الفصل الثاني : من هو الولي .

« الولي هو العارف بالله تعالى وصفاته ، بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات » ـ قاله المحقق سعد الدين التفتازاني ، ونقله مولانا عبد السلام عن شيخه الدوكالي في النصيحة التي وجهها لجماعة طرابلس ، كذا قال صاحب مختصر البرموني ؛ ثم نقل ما يفيد الخلاف بين العلماء : هل يجوز للولي أن يعلم نفسه ؟ وأنه ولي أم لا ؟ كما نقل الفرق بين الولي السالك والولي المجذوب ، مع اشتراكهما معاً في المعرفة ؛ فقال نقلاً عن العارف بالله سيدي عبد العزيز الدباغ : ان المجذوب هو الذي يتأثر ظاهره بما يراه ويسرق ما يشاهده فيجعل يحاكيه بظاهره ويتبعه بحركاته وسكناته ؛ والشخص إذا رأى رحمة الله تعالى وفتحت بصيرته لا يزال يشاهد من عجائب الملأ الأعلى ما لا يكيف ولا يطاق ، فإن كان مجذوباً فإنه يتبع بظاهره ما يراه ببصيرته ، وما يراه ببصيرته لا ينحصر ، فلذا لا ينضبط له حال . فإذا رأيت من المجاذيب من يتمايل طرباً فإنه غائب في مشاهدة الحور العين ، فإن ذلك هو هيأة حركاتهن وظاهره مشتغل بمحاكاة ما يشاهد من أمرهن .

وأما السالك فهو الذي لا يتأثر ظاهره بما يراه ولا يحاكي شيئاً من الحركات التي يشاهدها ؛ بل هو بحر زاخر ساكن لا يظهر عليه شيء ، وهو أكمل من المجذوب وأجره يزيد على أجر المجذوب بالثلث إلى آخره ..

ثم نقل صاحب المختصر ما مفاده : أن الأولياء محفوظون وليسوا

بمعصومين ؛ إذ يجوز أن تقع منهم المخالفات وليسوا كالأنبياء والمرسلين. كما نقل أن الولي إذا صدر منه ما يخالف ظاهر الشريعة لا يقتدى به إلا فيما يوافق الشرع الشريف. ثم نقل عن الإمام الشاطبي ما نصه: كل ما عمل به الصوفية المعتبرون بهذا الشأن كالجنيد وأمثاله لا يخلو إما أن يكون مما ثبت له أصل في الشريعة، فهم خلفاء به ـ كما كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ـ وإن لم يكن له أصل في الشريعة فلا عمل عليه، لأن السنة حجة على جميع الأمة، وليس عمل أحد من الأمة حجة على السنة، لأن السنة معصومة من الخطأ وصاحبها معصوم وسائر الأمة لم تثبت لهم العصمة إلا مع اجتماعهم خاصة .. إلى آخره.

ثم نقل عن القشيري ما نصه: فإن قيل: هل يكون الولي معصوماً؟ قيل: أما وجوباً كما يكون في الأنبياء فلا، وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصر على الذنوب وإن حصلت هفوات أو زلات أو آفات فلا يمتنع ذلك في وصفه. وقد قيل للجنيد: أيزني العارف؟ فأطرق رأسه ملياً ثم رفعه وقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً. وهذا كلام منصف، فيجب علينا أن نقف مع الاعتقاد بمن يمتنع عليه الخطأ ونقف على الاقتداء بمن يجوز عليه مطلقاً إذا ظهر في الاقتداء به إشكال.

ثم قال: فوجب بحسب الجريان على آرائهم في السلوك ان نكون متبعين لآثارهم مهتدين بأنوارهم، لكن لا نعمل بما رسموه مما فيه معارضة لأدلة الشرع خلافاً لمن يعرض عن الأدلة ويصمم في تقليدهم على مذهبهم. فالأدلة الشرعية والأنظار الفقهية والرسوم الصوفية تذمه وترده، وتحمد من تحرى واحتاط وتوقف عند الاشتباه وتبرأ لدينه وعرضه.

انتهى مختصر البرموني بنقوله ..

قلت: ومن هذا يتبين أن ما يصدر عن الأولياء لا سيما المجاذيب

منهم ، يسلّم لهم بالنسبة لأحوالهم فهم أدرى بذلك ، وإن كنا لا نقبله منهم إذا خالف الشريعة وننكره انتصاراً للشرع لا اعتراضاً مجرداً وتشهيراً بهم واتباعاً للنفس والهوى ؛ كما أننا لا نتقيد به ولا نفعله ، إذ هم ليسوا بحجة فيه مهما بلغت مكانتهم بالنسبة إلى أحوالنا ومواقفنا مع ظواهر الشريعة الإسلامية . كما أن ذلك لا ينبغي أن يكون مصدر انتقاد واعتراض وإنكار وتشهير بأحوالهم ومأخذاً عليهم لإبعاد الناس منهم وحملهم على كراهتهم وتركهم لطرقهم وإعراضهم عن أحزابهم وأورادهم . هذا وكثير من الناس يقع في الانتقاد والإنكار على بعض الأولياء لما يشاهده منهم وفي ذلك ما فيه من المضار والمفاسد التي يقع فيها من أجل ذلك .

وقد وقفت على بحث قيم للشيخ سالم السنهوري في كتابه « النور النائر » يناسب هذا المقام فرأيت أن أنقله بحذافيره . قال رحمه الله تعالى : « وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول : من أين لعامة الناس أن يعلموا أسرار الحق تعالى في خواص عباده من الأولياء والعلماء ، وشروق نوره في قلوبهم ؟ وكذلك لم يجعلهم إلا مستورين عن غالب خلقه لجلالتهم عنده ؛ ولو كانوا ظاهرين فيما بينهم وأذاهم إنسان لكان قد بارز الله بالمحاربة فأهلكه الله تعالى . فكان سترهم عن الخلق رحمة للخلق . ومن ظهر من الأولياء إنما ظهر لهم من حيث ظاهر علمه ووجود دلالته ، وأما من حيث ولايته فهو باطن . ولم يزل الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : لكل ولي ستر واستار ــ نظير السبعين حجاباً التي وردت في حق الله تعالى ــ لم يعرف إلا من ورائها ، فكذلك الولي ؛ فمنهم من يكون ستره في الأسباب ومنهم من يكون ستره بظهور العزة والسطوة والقهر ، على حسب ما يتجلى الحق تعالى لقلبه ، فيقول الناس : حاشى أن يكون هذا ولياً لله تعالى وهو في هذه النفس ، وذلك لأن الحق تعالى إن تجلى في قلب العبد بصفة القهر كان قاهراً ، أو بصفة الانتقام كان منتقما ،

أو بصفة الرحمة والشفقة كان رحيماً شفيقاً .. وهكذا ؛ ثم لا يصحب ذلك الولي – الذي ظهر بقهر العز والسطوة والانتقام – من المريدين إلا من محق الله نفسه وهواه . ولم يزل في كل عصر وأوان أولياء وعلماء تذل لهم ملوك الزمـــان ويعاملونهم بالسمع والطاعة والإذعان . ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر والحصول على ظاهر النقول حتى لا يكاد يخرج عن أحد طلبة العلم القاصرين .

ومنهم من يكون ستره بالمزاحمة للدنيا وتظاهره بحب الرئاسة والملابس الفاخرة ، وهم على قدم عظيم في الباطن ؛ ومنهم من يكون ستره كثرة التردد على الملوك والأمراء والأغنياء لسؤالهم عن الدنيا وطلب الوظائف ، من تدريس وخطابة وإمامة وعمالة ونحو ذلك ، ليقوم فيها بالعدل ويتصرف في ذلك بالمعروف ، وعلى الوجـــه الذي لا يهتدي إلى معرفته غيره من الأمراء والعمال وآحاد الفقهاء ، ثم لا يأكل هو من معلومها شيئاً ، أو أكل منه سد الرمق لا غير ، فيقول القصير في الفهم والإدراك : لو كان هذا ولياً لله عز وجل ما تردد لهؤلاء الأمراء ولجلس في زاويته أو بيته يشتغل بعبادة ربه عز وجل . ولو استبرأ هذا القائل لدينه وعرضه لتنبه وتبصر في أمر هؤلاء الأولياء والعلماء قبل ان ينتقد عليهم . فربمـا كان ترددهم لكشف ضرر أو خلاص مظلوم من سجن أو قضاء حاجة لأحد من عباد الله العاجزين ، الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم إلى أولئك الأمراء ، فيسألون في ذلك من يعتقد فيه من الأولياء والعلماء : فيجب عليهم الدخول في تلك المصالح ويحرم عليهم التخلف عنهم . لا سيما إن رأينـــا ذلك المتردد من الأولياء والعلماء زاهداً فيما بين أيديهم ، متعززاً بعز الإيمان وقت مجالستهم ، آمراً لهم بالمعروف ، ناهياً لهم عن المنكر ، لا يقبل هدية ممن يشفع لهم عندهم ؛ فإن هذا من المحسنين ولا يجوز لأحـــد الانتقاد عليه بسبب ذلك .

وكان بعض الشيوخ يقول : إذا علم الفقير من أمراء الجور أنهم يقبلون نصحه لهم وشفاعته عندهم وجب عليه صحبتهم والدخول عليهم . وصاحب النور يعرف ما يأتي ومـا يذر . قلت : ومن الأولياء من يكون ستره قبوله من الخلق ما يعطونه له من الهدايا والصدقات ، ثم يخلط عليه من ماله ، ويعلم الناس بأن ذلك كله من صدقات الناس الأجانب ، ويمدح الناس الذين يعطونه بالكرم ، ويوهم أنه انتقص مـــن ذلك المال لنفسه وعياله من وراء الفقر بنحو قوله : من يقدر في هذا الزمان ان يأخذ مالاً ويفرقه على الفقراء ولا يحدث نفسه بانتقاص شيء منه ؟ .. ولا يسعنا كلنا إلا العفو ويكون مأكولاً مذموماً ، وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله عز وجل . فإنه لا يهتدي أحد إلى كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهور احتقاره في أعين الناس وامتهانتهم به . فإن الرجل إذا قبل من الخلق صغر في أعينهم . ولعل ذلك الراد إنمـا رده رياء وسمعة واستئلافاً لقلوب الناس ليتوجهوا اليه بالتعظيم والتبجيل ، ويطلق ألسنتهم فيه بالثناء الحسن .

وقد قال الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى ونفع به : ومما يفتح باب قلة الاعتقاد في أولياء الله تعالى وقوع زلة ممن تزيا بزيهم وانتسب إلى مثل طريقتهم ، والوقوف مع ذلك من أكبر القواطع عن الله عز وجـل . قال تعالى : « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » وقال : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » فمن أين يلزم من إساءة واحدة أن يكون جميع أهـل حرفته كذلك ؟ ما هذا إلا محض عداوة وتعصب بباطل ، كما قال في ذلك بعضهم شعراً :

استتار الرجال في كل عصر تحت سوء الظن قدر جليـــل
ما يضر الهلال في حندس من الليـ ـل سواد السحاب وهو جميل !..

قلت : ومن أشد حجاب عن معرفة الله عز وجل شهوة المماثلة والمشاكلة ؛

وهو حجاب عظيم قد حجب الله الأكثر من الأولين والآخرين ، كما قال الله تعالى حاكياً عن قوم « وقالوا : ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ـ قالوا أبشراً منا واحداً نتبعه ـ يعني لم نر أحداً يوافقه على ما يدعيه ويأمرنا به وقال تعالى « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » ونحو ذلك .

ولكن إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يعرّف عبداً من عبيده بوليٍّ من أوليائه ، ليأخذ عنه الأدب ويقتدي به في الأخلاق ، طوى عنه شهود بشريته وأشهده وجه الخصوصية فيه فيعتقده بلا شك ، ويحبه أشد المحبة . وأكثر الناس الذين يصحبون الأولياء لا يشهدون منهم إلا وجه البشرية فلذلك قل نفعهم بهم ، وعاشوا عمرهم كله معهم ولم ينتفعوا منهم بشيء . وقد اقتضت الحكمة الإلهية عدم اتفاق الخلق كلهم على الاعتقاد في واحد منهم والإذعان له ؛ وفي ذلك سر خفي ، لأنـه لو كان الخلق كلُّهم مصدّقين لذلك الولي لفاته أجر الصبر على تكذيبهم له ؛ ولو كانوا كلهم مكذبين له لفاته أجر الشكر على تصديق المصدقين له والمقتفين أثره ؛ فأراد الحق تعالى بحسن اختيـاره لأوليائه أن يجعل الناس فيهم على قسمين ، كما تقدم ، معتقدٍ مصدق ومنتقدٍ مكذب ، ليعبدوا الله عز وجل فيمن صدقهم بالشكر وفيمن كذبهم بالصبر إذ الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر . انتهى كلام الشيخ السنهوري ، رحمه الله .

وقال الشيخ عبد السلام العالم ، في كتابه « فتح العليم » ما نصه : « وقد أحببت أن أذكر شيئاً من كلام سيدي زروق في الاعتقـاد والانتقاد ؛ فمن ذلك قوله في خاتمة شرح حزب البحر : اعلم ان الاعتقاد أصل في كل خير ، والانتقاد أصل في كل شر ؛ ثم شرط الاعتقاد عدم الاعتزاز وشرط الانتقاد عدم الإضرار ؛ وقد قال الشيخ أبو مدين ، رضي الله عنه : اعتقد ولا تنتقد ولا تطمئن لأحد ؛ كذا سمعته من بعض السادة

وقال الفقيه أبو عبد الله القوري : الاعتقاد ولاية والانتقاد جنـــاية ، فإن عرفت فاتبـع ، وإن جهلت فسلّـم ، ومبنى التصوف على التسليم والتصديق ، كما أن مبنى الفقه على البحث والتحقيق . والأصل عندنا حسن الظن حتى يتحقق الفارق ، ومبنى الأمر عند الفقهاء على عكسه ، حتى يأتي الفارق ؛ فالحذر عند الجميع واجب إلى تحقق المزية المانعة للضرر ؛ فيتعين على كل من اعتقد أحداً لا يقتدي به حتى يحقق علمه وديانته ، ثم لا يضره ما عرض من نفسه من غير موافقة ولا ايحاش ، والله الموفق » . انتهى كلام الشيـخ عبد السلام العالم رضي الله عنه ..

المبحث الخامس

في الكلام على الذكر جماعة، وتكرير الاسم الواحد

كان الشيخ مولانا عبد السلام كغيره من السادة الصوفية يكثرون من الأذكار والأوراد والتسابيح والأحزاب والوظائف وما إلى ذلك ؛ وقد جرت عادتهم على رسوم خاصة تعارفوها في هذا الشأن وكانت مثار انتقاد وإنكار من بعض العلماء وأنصاف المتعلمين في كل عصر وفي كل مصر . ومن بين هذه الرسوم حلقات الأذكار التي يعقدونها في ليلتي الجمعة والاثنين من كل أسبوع أو غيرهما ، بحيث يجتمع الفقراء ويذكرون ، بأن يرددوا اسماً واحداً مرات بصوت واحد . كأنْ يقولوا : الله الله الله ، أو : لا اله إلا الله لا اله إلا الله ، أو : قهار قهار ، أو غير ذلك .

كما أن الشيخ سيدي عبد السلام أطلق على ما تعارفه الأقدمون من الاجتماع للذكر وسماع الأناشيد والقصائد الشعرية الصوفية وضرب الدف وبعض الآلات الخفيفة الأخرى ، أطلق على ذلك اسم « الحضرة » ، كما هو معروف بهذا الاسم في زماننا هذا . ومن المعلوم أن كثيراً من الناس الذين لم يصلوا إلى معرفة أسرار الذكر ومجالسه وما ورد فيه يقفون موقف المنتقد المعترض المنكر دائماً . فقد تصدى بعض هؤلاء لنقد الشيخ وأمثاله ، وأن الذكر على هذه الكيفية غير ثابت ، وأن ذلك من البدع الممنوعة ،

وأن السماع والحضرة لا تجوز ، وهي من محدثات الأمور في الدين .. ودفاعاً عن الحقيقة ووضعاً للأمور في نصابهـا عقدت هذا المبحث ، وأردت أن أنقل فيه شيئاً من نصوص العلماء التي تبين الحكم في جلاء ووضوح ، وأحببت أن اقدم فصلاً قبل ذلك نعرض فيه لبيان استحباب الذكر والإكثار منه ، وما ورد في شأن الحث عليه من الآيات والأحاديث والآثار وغير ذلك ، ناقلاً ذلك عن العلماء المشاهير الذين تعتبر أقوالهم في ذلك الفيصل الكامل ، فأقول وبالله التوفيق ومنه المدد والعون .

الفصل الأول : في الحث على الذكر وما ورد فيه .

يسرني أن ننقـل إليك يا اخي القارىء ، وفقني الله وإياك لذكره وشكره وحسن عبادته ، مقدماً ما ذكره حجة الإسلام الإمام الغزالي رضي الله عنه في كتابه إحياء علوم الدين ، فقد وفى الموضوع حقه ، قال رحمه الله تعالى ما نصه : ويدل على فضيلة الذكر على الجملة قوله سبحانه وتعالى (فاذكروني اذكركم) . قال ثابت البناني رحمه الله : إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل . ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ؟ قال : إذا ذكرته ذكرني . وقال تعالى : (اذكروا الله ذكراً كثيراً) ، وقال تعـالى : (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءهم أو اشد ذكراً) وقال تعالى : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) وقال تعالى : (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) . قال ابن عباس ، رضي الله عنهما : أي بالليـل والنهار والبر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية . وقال تعـالى في ذم الغافلين : (ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال عز وجل : (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال . ولا تكن من الغافلين) وقال تعـالى : (ولذكر الله أكبر) . قال ابن عباس ، رضي الله عنهما : له وجهان ، أحدهما

أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه ، والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه .. إلى غير ذلك من الآيات .

وأما الأخبار فقد قال رسول الله ﷺ : « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم » . وقال ﷺ : « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين » . وقال ﷺ : « يقول الله عز وجل : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي » . وقال ﷺ : « ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل . قالوا : يا رسول الله : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع » . وقال ﷺ : « من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل » .

وسئل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ فقال : « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل » . وقال ﷺ : « أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمس وليس عليك خطيئة » . وقال ﷺ : « لذكر الله عز وجل بالغداة والعشيّ أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ، ومن إعطاء المال سحاً » . وقال ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى : إذا ذكرني عبدي في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه . وإذا تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا مشى إلي هرولت إليه » . يعني بالهرولة سرعة الإجابة . وقال ﷺ : « سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، من جملتهم رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله » . وقال أبو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الورق والذهب ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم؟ قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائماً » . وقال ﷺ : « قال الله عز وجل : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي سائلين » .

وأما الآثار ، فقد قال الفضل : بلغنا أن الله عز وجـل قال : عبدي ! اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما . وقال بعض العلماء : إن الله عز وجل يقول : أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثـه وانيسه . وقال الحسن : « الذكر ذكران : ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل – ما أحسنه وأعظم أجره ! .. وأفضـل من ذلك ذكر الله سبحانه عندما حرم الله عز وجل » . ويروى « أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا من ذكرت الله عز وجل » . وقال معاذ ابن جبل ، رضي الله عنه : « ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها » . والله أعلم . انتهى كلام الإمام الغزالي ..

الفصل الثاني : في الذكر جماعة بأصوات مشتركة ، وبتكرير الاسم الواحد ، كما هو معروف في حلقات الاذكار عندنا .

ويسرني أن نسوق إليك أولاً كلام الإمام الغزالي في الموضوع ، ثم ننقل إليك كلام غيره فيما بعد . قال الشيخ الغزالي تحت عنوان (فضيلة مجالس الذكر) ما نصه :

« قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » . وقال ﷺ : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء : قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات » . وقال ﷺ : « ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة » . وقال داود ﷺ : « إلهي ! إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم ، فإنها نعمة تنعم بها علي » .

قال ﷺ : « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف مجلس من مجالس السوء » . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم » . وقال سفيان ابن عيينة رضي الله عنه : « إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا . فيقول الشيطان للدنيا : ألا ترين ما يصنعون ؟ فتقول الدنيا : دعهم ، فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم اليك » . وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، انه دخل السوق وقال : « أراكم ها وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد . فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً ، فقالوا : يا أبا هريرة ، ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد . فقال : فماذا رأيتم ؟ قالوا : رأينا قوماً يذكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن قال : فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ، عنه ﷺ أنه قال : « إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلموا إلى بغيتكم ! فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء ، فيقول الله تبارك وتعالى : أي شيء تركتم عبادي يصنعونه ؟ فيقولون : تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك . فيقول الله تبارك وتعالى : وهل رأوني ؟ فيقولون : لا . فيقول جل جلاله : كيف لو رأوني ؟ فيقولون : لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً . فيقول لهم : من أي شيء يتعوذون ؟ فيقولون : من النار . فيقول تعالى : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا . فيقول الله عز وجل : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفوراً ، فيقول الله عز وجل : وأي شيء يطلبون ؟ فيقولون : الجنة . فيقول تعالى : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا . فيقول تعالى : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً . فيقول جل جلاله : إني أشهدكم أني قد غفرت لهم .

فيقولون : كان فيهم فلان لم يردهم ، وإنما جاء لحاجة . فيقول الله عز وجل : هم القوم لا يشقى جليسهم » . انتهى كلام الإمام الغزالي رحمه الله .

قلت : وبالتأمل لهذه الأدلة التي ساقها الإمام الغزالي في « إحيائه » يتضح حكم الذكر جماعة ، وأنه مندوب إليه ومطلوب ومرغب فيه ، ولا عبرة لقول من يقول إنه بدعة ، وأنه لا يجوز ، وحاول أن يؤول هـذه الأدلة بطرق بعيدة من واقع النصوص وسياق الكلام ، كتأويله الذكر بالتفكر أو بالعمل ، أو الذكر جماعة ـ على أن كل واحد يذكر في نفسه ، وغير ذلك مما هو خلاف الأصـل وبعيد من طبيعة التعبير العربي الفصيح . ثم يسرني أن اذكر بهذه المناسبة ما قاله الشيخ سالم السنهوري في كتابه « النور النائر » بهذا الصدد ، قال رحمه الله تعالى بعد كلام ما نصه :

« .. وكنت في ابتداء أمري أقول بكراهة الاجتماع على الذكر وتلاوة القرآن ، عن مالك ، إلى أن صاحبت الشيخ (يعني سيدي عبد السلام الأسمر) وظهر لي الحق ، فسلمت فيه لأهله بالأحاديث الصحيحة والأدلة الصريحة . لأن الذكر جماعة حياة القلوب فأحيا الله به قلبي وزاد فهمي . ومثـل الذي يذكر والذي لم يذكر مثل الحي والميت ، فالذاكر حي وتاركه ميت ولا ينكره إلا مـن طبع الله على قلبه بطابع الاعتزال ، وقضى عليه بالخيبة والنكال .

« وفي الحديث : إذا فقدت الأذكار من الأرض ظهر الدجـال وخسر هنالك المبطلون ، لأن قوت المؤمن الصادق في إيمانه ، عند ظهور المسيح الدجال ، لا اله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، ومن لم يتقوت بلا اله إلا الله في ذلك الوقت ، واتبع المسيح الدجال يموت على غير الإسلام ويخلد في النار . نعوذ بالله من ذلك .. اللهم اجعلنا من أهل الذكر والفكر والحمد والشكر ، إنك على ما تشاء قدير . ثم لما مات الشيخ رحمه الله ، وتوفيت

بعده جماعة من العلماء المنتصرين له بالحق ، قل الاعتقاد في كل من انتسب إلى الله ، سواء كان على الحق أو الباطل ؛ وظهر ذلك على ألسنة من يدعي الفقه من غير فقه ، إلى أن انتهوا إلى الإنكار بالهواء والنفس والأغراض الفاسدة على كل أحد وفي حق كل أحد ، ولم يلتفتوا إلى دليل ولا موعظة ، ولا إلى ما ينشأ عن ذلك من إهانة كثير ممن هو على الحق في ذكره وسماعه . زاعمين أنهم يريدون قطع عادة الذكر والسماع من جميع البلاد والعباد ؛ يدعون أن ذلك منكر يريدون قطعه . واغتار من ذلك جماعة ممن يراعي الله في عباده خشية ممن ذكر ، وغيرة وشفقة على طريق الشيخ أن تدثر ، وعلى ذكر الله أن ينقطع : إذ انقطاع الذكر مما يدل على كل كل شر . كيف وقد ورد عنه عليه السلام : انه لا تقوم الساعة حتى لا يبقى من يقول : الله الله .

« ومن أشدهم غيرة : الشيخ الصالح ، سيدي عمر ابن جحا ، خليفة الشيخ ، وجماعة من إخوانه الفقراء ، فطلبوا مني أن أكتب لهم ما يسرهم في هذا التقييد المشار اليه في الذكر وغيره ، فأقول وبالله التوفيق :

« ان الذكر المجرد عنوان الولاية ، وقد أمر الله به في كتابه العزيز وفي حديث رسول الله ﷺ ؛ فقد قال تعالى : « فاذكروني أذكركم » . وقال : « والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما » . وقال : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً » . وفي الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني وتحركت شفتاه » — ولم يقيد جميع ذلك بانفراد ولا بجمع — وقال عليه السلام : « ما اجتمع قوم يذكرن الله عز وجل إلا ناداهم ملك من السماء : قوموا مغفوراً لكم ، قد بدلت سيئاتكم حسنات » . والأدلة كثيرة في الأمر به وفضله وندبه ، فقال بعض شيوخنا المالكية :

« الذكر في هذا الزمان لا يكون إلا جماعة على لسان واحد ، لأن الذكر بصورة الاجتماع هو محل الأحاديث سواء بالتهليل كان أو باسم الجلالة » .

« قلت : وفي جواب للعز بن عبد السلام : أن الذكر باسم الجـــلالة بدعة لم تنقل عن السلف ، وكونه لم ينقل عن السلف لا يقتضي منعه ولا كراهته . وكم من أشياء لم تكن في عهد السلف مع أنها جائزة أم مستحبة أو واجبة . والبدعة التي تجتنب إنما هي التي تقتضي قواعـــد الشريعة كراهتها أو حرمتها ؛ إذ البدعة تنقسم إلى الأحكام الخمسة ، حسبما هو معلوم ، فـــلا ينبغي التوقف في ذلك ولا التشغيب بإنكاره على من يفعله من الأئمة . وفي صلاة القطب ، سيدي عبد السلام بن مشيش – نفعنا الله به – بعد كلام : « الله .. الله .. الله .. ثلاث مرات فيتجرأ أحد أن يفوه في ذلك بطعن أو عيب ؟ كلا .. كيف ، وأصول الشريعة لا تأباه ، ولا تدل على خروجه عن ذكر الله لفظاً ولا معنى .. فلفاعل ذلك ما للذاكرين الله . نعم ، لا يعمد أحد إلى ذكر أو دعاء فيخترعه ويرتب عليه ثواباً أو أجراً أخروياً إذ ذلك إنما يكون بتوقيف من النبوءة .

« واعلم أن مقالة العز هذه ردها العلماء وصنفوا في ردها التصانيف ، كالمرصفي والخفاجي والخلوتي والقسطلاني وغيرهم ، ولم يسلموها ، إلى أن قالوا : هذا الاسم الذي هو الله . الله .. له أدلة من الكتاب والسنة ؛ فدليله من القرآن (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) ، ومن السنة (من قال الله الله وداوم عليها خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه) . وكان الاستاذ السبكي يؤم جماعته ويذكر به حتى قال : ولم يذكر إلا اسم الجلالة خاصة مع كثرة الاذكار ، لأنه سلطان الأسماء ، ويسمونه الذكر الصافي ، وله بساط وثمرة : فبساطه العلم وثمرته النور ؛ وإذا حصل النور وقع الكشف والعيان إلى آخره .. إلى أن يقول : وقد روي أن هذا الإنــكار صدر

منه – يعني ابن عبد السلام – في ابتداء أمره باسم الجلالة قبل أن يدخل طريق القوم ويطلع على أحوال أهلها وذكرهم وأخذهم بالأحوط ، فلما دخلها صار من أهل العلم الكثير والشأن الكبير والعمل الأثير ؛ إلى أن يقول : وطائفة الصوفية الذاكرين الله بالاسم المفرد قعدوا بنيانهم على أعظم أساس الدين . يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شيء من ذلك قط على يدي فقيه إلا إن سلك مسلكهم كما هو مشاهد .

« وكان العز ، رضي الله عنه ، قبل ذلك ينكر على القوم ويقول : هل لنا طريق إلا الكتاب والسنة ؟ فلما ذاق مذاقهم قطع سلسلة الحديد بكراسة الصدق وصار يمدحهم كل المدح . وكان لسبب رجوعه ودخوله لطريق القوم أنه اجتمع الأولياء والعلماء في موقعة الفرنج بالمنصورة ، قريباً من ثغر دمياط ، جلس العز والشيخ مكين الدين والأسمر والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وأضرابُهم ، وقرأ عليهم رسالة القشيري ، وصار كل واحد يتكلم إذ جاء الشيخ أبو الحسن الشاذلي ، فقالوا له : نريد أن تسمعنا شيئاً من معاني هـذا الكلام . فقال : انتم مشايخ الإسلام وكبراء الزمان وقد تكلمتم فما بقي لكلام مثلي موضع ، فقالوا له : لا بد من ذلك . فحمد الله وأثنى عليه وشرع يتكلم ؛ فصاح العز من داخل الخيمة وخرج ينادي : هلموا إلى هذا الكلام الغريب المعهود مـن الله تعالى فاسمعوه ! فمن ذلك دخل طريق القوم وسمي بسلطان العلماء ، وكان اسمه الأول عبد العزيز ولقب بعز الدين لكثرة علمه وأخذه بالأحوط ؛ كان يقول : يا ربي ، لك الحمد والشكر الذي جعلتني من الفقراء الذاكرين الله جماعة ؛ لأن الفقراء أشراف الناس ، والفقر هو لباس المرسلين وجلباب الصالحين وتاج المتقين وغنية العارفين ومنية المريدين ورضاء رب العالمين .

« وذكر السيوطي في بعض تقاييده : كان الشيخ عز الدين بعد دخوله مذهب التصوف ألف كتاباً في فضل الذكر بالجلالة سماه « بالمرشد » في

فضل الذكر بالاسم المفرد » ؛ إلى أن قال السيوطي رحمه الله بعد كلام كثير : كان الشيخ عز الدين مـــن أكابر الشيوخ الصوفية ومن أجلهم وأحسنهم وأعرفهم بالله تعالى ، واسمه عبد العزيز ابن عبد السلام ، وكان أبوه نوبياً توفي سنة تسع وخمسين وستمائة . وفي هذه السنة توفي ابن دقيق العيد ، عصيره ، رحمه الله ونفع به آمين . ولما عقدوا له مجلساً – أي العز – في كلمة قالها في العقائد ، وأخبروا السلطان عليه ليؤذيه ، ثم حصل له اللطف وهو إذ ذاك لم يعبأ بهم ولم يتزلزل ، لحسن خلقه ، مما هو فيه من الاشتغال بالعلم والحديث وصيام الدهر وقيام الليل وزهده في الدنيا ، حتى لبس المرقعات رضي الله عنه ونفع به آمين .. انتهى كلام السيوطي .

إلى أن يقول الشيخ السنهوري :

« واعلم أن الاجتماع للذكر – سواء بالجلالة أو غيره – لا يقول أحد من أهل العلم بتحريمه إلا أن يعرض له (أي للاجتماع) بعض المنهيات : من تغييره أو حضور محرمات أو رقص وتصفيق أو غناء يحرك من القلب مـــا هو مراد الشيطان أو شيء من الآلات كالعود والطنبور والزكرة والزمارة والكبر وما أشبه ذلك ، فهذا كله لا يجوز حضوره ولا استماعه . وأما الذكر المجرد فهو من الحسن وعنوان الولاية فنقول به ، لأن فضائله كثيرة ؛ وأما الجهر به على لسان واحد وقصد الاجتماع عليه فقد ذكرله الشيخ زروق كغيره ادلة صحيحة صريحة فلنذكر بعض كلامه . قال في القواعد بعد كلام كثير : فأما الذكر هنا فدليله : من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه . قيل : ومن أدلته « كذكركم اباءكم أو أشد ذكراً » . وقال ابن عباس : « مـــا كنت أعرف انصراف الناس عن عهد رسول الله ﷺ إلا بالذكر » . رواه البخاري . والجهر في ذكر العيد وفي أدبار الصلوات وفي الأسفار ، حتى قال عليه السلام : « اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً » . وقد جهر عليه السلام بأذكار وأدعية في مواطن جملة ، وكذا

السلف ، وصح قوله جواباً لأهل الخندق : « اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة » . وكل هـــذا أدلة على الجهر والجمع . الى أن يقول عن الشيخ زروق : فأمـــا الجمع للذكر ففي المتفق عليه من حديث أبى هريرة : « ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حلق الذكر » ـ الحديث ، وفي آخره : « فيسألهم ربهم : ما يقول عبادي ؟ فيقولون : يسبحونك ويحمدونك ويمجدونك ويهللونك » ـ الحديث ، وهو صريح في ندب الجمع لعين الذكر ، فالترغيب في سياقه . ومـــا وقع في آخره : من أن فيهم من ليس منهم فيقول تعالى : « هم القوم لا يشقى جليسهم » فأخذ منه جواز الاجتماع لعين الذكر بوجه لا ينوع تأويله ، كحديث « مـــا جلس قوم مسلمون مجلساً يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائـكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنـده » الذي تؤول بالعلم مرة وبالذكر أخرى ، وحمل على ظاهره فسقط التمسك به في أعيان الأذكار كدلالة على ما تؤول به لاحتماله .

« فإن قيـل : يجتمعون ، وكل على ذكره ـ فالجواب : إن كان سراً فجدواه غير ظاهرة ، وإن كان جهراً وكل على ذكره فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغـــيره ؛ مما لا يسوغ في حديث الناس فضلاً عن ذكر الله ، فلزم جوازه بل ندبه بشرطه . نعـــم ، وتأويل التسبيح والتحميد والتمجيد بالتذاكر في التوحيد من أبعد البعيد ، فتأويله غير مقبول لبعده ، عن الأفكار حتى لا يخطر إلا بالإخطار ؛ وذلك من مقاصد الشرع بعيد جداً – فافهم ..

« ثم قال في قاعدة اخرى : والجمع للذكر والدعاء والتلاوة قد صح ندب كل ذلك بالأحاديث المقدسة ، فلا يصح دفع أصل حكمه . وإن أوثر عليه غيره فلأفضلية الغير عليه – كالذكر الخفي ، وما يتعدى

فعله من العبادات ، كالعلم والجهاد والتكسب على العيال ، الى غير ذلك مما كان اعتناء الصحابة به وشغلهم فيه حتى شغلهم عن الاجتماع للذكر والتفرغ له من غير ضميمة شيء من ذلك إليه . ألا تراهم حين إمكانه مع ماهم فيه استعملوه ، كالأسفار والأعياد وأدبار الصلوات ونحو ذلك ؟ ... ولما جاء عليه السلام حلقة الذاكرين تجاوزها وجلس مع المتذاكرين في العلم ، فآثر المتذاكرين لتعدي نفعهم ولاحتياجهم إليه فيما هم به ، إذ لا علم لهم إلا من قبله ، فقصدهم لتبليغ ما جاء به .. بخلاف الذاكرين : فإن ما هم فيه بيّن بنفسه ، ونفعه قاصر عليهم ، ولكن لم ينكر على أولئك وإن آثر هؤلاء ، والله أعلم . انتهى المراد منه هنا وهو كاف فيما نحن بصدده من الذكر والجمع له » . انتهى كلام الشيخ السنهوري رحمه الله الذي بدأ بقوله : « ... وكنت في ابتداء أمري ... » — المؤلف .

ثم قال الشيخ السنهوري في موضع آخر من كتابه ما نصه : « واما الاجتماع على تلاوة القرآن فقط ، وهو ما يسمونه الحزب ، قال زروق في القواعد ما نصه : ولما تكلم سيدي ابو عبد الله بن عباد رحمه الله على مسألة الحزب قال : انه من روائح الدين التي يتعين التمسك بها لذهاب حقائق الديانة في هذه الازمنة وإن كان بدعة ، فهو مما اختلف فيه . وغاية القول فيه الكراهة فصح العمل به على قول من يقول به ؛ قلت : ويلحق به الذكر في بعض الأماكن والأوقات بشرطه » — انتهى كلام السنهوري .

الفصل الثالث : في الكلام على السماع المعهود عندنا بالحضرة .

لقد انتشرت هذه الألوان في المجتمعات الإسلامية قديماً وحديثاً ، في

شرق البلاد وغربها ، وذلك عبارة عن أن يجتمع عـــدد من المريدين والفقراء ويذكرون وينشدون بعض القصائد والأشعار . ومنهم من يضيف إلى ذلك خصوص الدفوف التي تسمى عندنا (بالبنادير) ، ومنهم من يزيد على ذلك الزكرة والزمارة والطبـــلة والعود وبعض الآلات الأخرى . ويتنوعون في ضرب تلك الآلات وما لها من الفنون والنغمات .! وقديمـاً وجد الخلاف في هذا اللون المسمى عندهم بالسماع ، والمعروف عنـدنا اليوم بالحضرة أو بالمدائح النبوية ـ كما يطلقون عليه ذلك في الاذاعات والمناسبات والأعياد الدينية والقومية .

ونظراً لانتشار هذا اللون بين الناس وعموم البلوى به ، لا سيما والناس ينسبونه إلى الدين ويعتقدون أن ذلك من تعاليم الإسلام ولا سيما الحضرة ، التي تنسب إلى السادة الكبار أمثال سيدي عبد السلام الأسمر وهي المعروفة بالحضرة العروسية ؛ أو الحفلة السلامية ، كما يسميها التونسيون ومن ينتسب لسيدي عبد القادر الجيلاني والذين يشتهرون باسم القادرية ، ومن ينتسب لسيدي محمد بن عيسى والذين يسمون بالعيساوية ، وغيرهم من أهل الطرق الصوفية الكثيرة ..

نظراً لهذا وغيره ، نعرض في هذا الفصل لما جاء في ذلك عن علماء الإسلام والسادة الصوفية بالذات ، وما ينبغي أن يعلم من بيان شروط السماع والحضرة الجائزة وبيان ما لا يجوز منها وفيها . وبذلك سيتبين لك بإذن الله أن أغلب ما عليه الناس اليوم في هذا السماع والحضرات مخالف لما أوصى به أصحابها ، وخارج عن نطاق الجائز منهـــا المنتفع به المفيد لأصحابها ؛ والله يوفقنا لفهم الطريق فهماً صحيحاً ويباعد بيننا وبين الشبه والبدع والمخالفات التي بعدت بالطرق عن مغزاها الصحيح ومرماهـــا الأصلي ومقصد أربابها من مريديهم ، إذ أرادوا منها أن تكون سبب تقوية قلوبهم وتشويق أرواحهم نحو الإكثار من الطاعات والأذكار ، لا أن تؤخذ مأخذ الفنون الغنائية ، وأصناف الطرب واللهو واللعب وتضييع

الأوقات الثمينة في غير طائل ولا نافع . على أن كثيراً منهم خرج بذلك مع الأسف إلى حرفة التكسب بها وجعلها طريقاً للعيش الدنيء الذليل ، عيش الطمع والبطالة والاتكالية والتسول باسم الدين والدين منه وممن اتصف به براء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وبعد هذه الفذلكة ننقل إليك في هذا الموضوع ما كتبه بعض الأئمة فنقول : قال الشيخ سالم السنهوري في كتابه « النور النائر » ما نصه :

« وأما إنشاد المشائخ وشبيهه من كل شعر يهيج إلى طاعة الله ورسوله فهو المعبر عنه بالسماع ، المسمى « بالحضرة » ، ففيه اختلاف مشهور . وأكثر الفقهاء ينكره وأكثر الصوفية يرخص فيه ؛ والاتفاق على أنه ليس من فروض الدين ولا من سننه وإنما هو رخصة لأهله متى توافرت شروطه بحسب الزمان والمكان والإخوان ، وبحسب متعاطيه في نفسه . فقد يكون مغلوباً وقد يكون متمكناً يريد تدريج غيره ، وقد يكون مساعداً للغير حيث تنبغي المساعدة عندهم ، وشرح جميع ذلك لا يفي في هذا القيد . والحاصل ان السماع أمره خفيف لا يكون قادحاً في شهادة ولا في إمامة ، والأناشيد انشدت بين يدي رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم . وقد نقل السماع جماعة من العلماء بجامع الأزهر على اثنتي عشرة حلقة ، ولم ينكر عليهم شيوخنا مع تحفظهم على الديانة وورعهم وأخذهم بالأحوط ، ولكن سماع أولئك الأجلة مشتمل على الوعظ والتذكير والنفر من الدنيا ، ومدح رسول الله ﷺ والصلاة عليه » . انتهى كلام السنهوري .

وقال الشيخ صاحب مختصر البرموني بعد كلام ما نصه :
« وممن أجاز سماع الآلات مطلقاً الحافظ ابو محمد علي بن حزم الظاهري ، قال : « وجميع ما فيها من أحاديث التحريم موضوع » ، لكن لم

يوافق على ذلك ، كما في شيخ الإسلام على ألفية المصطلح . وجوّز الماوردي – من أئمة الشافعية – سماع العود لسلبه الأحزان ؛ قال الشهاب الخفاجي في « شرح الشفاء » ، آخرَ فصل « عدله ، ﷺ » : كان الشيخ محمد البكري رحمه الله ونفعنا به يقول : عطروا مجالسنا بالعود .

« وفي آخر مفاتيح الكنوز ، وهو كتاب شريف لابن غانم المقدسي : اعلم أنه تحتم هاهنا ذكر السماع وما هو **محظور** منه ، وما هو **مباح** ، وما هو **مستحب ومستحسن** ؛ فإن كثيراً من المتعمقين كرهوه وأنكروه أصلاً وفرعاً وحقيقة وشرعاً ، وهذا غلط منهم . لأن ذلك يفضي إلى تخطئة كثير من أولياء الله وتفسيق كثير من العلماء . إذ لا خلاف أنهم سمعوا الغناء وتواجدوا وأفضى بهم إلى الصراخ والغشية والصعق ، فكيف ينسب إليهم نقص وهم سالكون أتم الأحوال .. وإنما يحتاج ذلك إلى تفصيل ونظر في أهل السماع واختلاف طبقاتهم ، فمن صح فهمه وحسن قصده وصقلت الرياضة مرآة قلبه فلا نقول : سماعه حرام وفعله ذلك خطأ . قال أبو طالب المكي : ان طعنا على السماع فقد طعنا على سبعين صدّيقاً ..

« وسئل الشبلي ، رضي الله عنه ، عن السماع فقال : ظاهره فتنة وباطنه عبرة ؛ فمن عرف الإشارة حلّ له السماع وإلا فقد استدعى الفتنة .

« ثم قال صاحب مفاتيح الكنوز : أخرج البخاري ومسلم عن عروة ابن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام عيد تدفان ، أي تضربان بالدف ، والنبي ﷺ متغش بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه ، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا ابا بكر ، فإنها أيام عيد . ثم قال : إن السماع على ثلاثة أقسام : **حرام محض** ، وهو لأكثر الناس من

الشبان ، ومن غلبت عليهم شهواتهم وتكدرت بواطنهم وفسدت مقاصدهم ، فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب عليهم وعلى قلوبهم من الصفات المذمومة ، سيما في زماننا هذا ، حيث تكدرت أحوالنا وفسدت أعمالنا . قال الجنيدي ، رضي الله عنه : السماع لا يحسن إلا مع أهله ، فإذا انعدم أهله اندرس كله ، فيجب على العارف تركه .

« **القسم الثاني مباح** ، وهو لمن لا حظّ له منه إلا السرور بالصوت الحسن واستدعاء الفرح ، أو يتذكر به غائباً أو ميتاً . **القسم الثالث مندوب** ، وهو لمن غلب عليه حب الله والشوق إليه ، فـلا يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة وتضاعف الشوق إلى الله تعالى واستدعاء الأحوال الشريفة الإلهية » ـ انتهى مفاتيح الكنوز .

« وفي الرسالة القشيرية ، أوائل « باب السماع » : لا خلاف أن الأشعار أُنشدت بين يدي رسول الله ﷺ ؛ فإذا جاز سماعها بغير الألحان فـلا يتغير الحكم بأن تسمع بالألحان المطربة . انتهى ..

« وقال أبو المواهب ، شمس الدين محمد بن احمد التونسي ، عرف بها بابن زغبان ، في رسالته :

« أما بعد ، فهذه فوائد تتعلق بإباحة السماع والغناء وسبب جمعها انكار الجهال ووقوع الاندال في الابدال . ثم ساق عن جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين والأئمة انهم سمعوا . وقد نقل الأجهوري في شرحه في باب الوليمة جملة منها ، ثم قال : قال الإمام عز الدين بن عبد السلام في القواعد : من كان عنده هوى من مباح كعشق زوجته وأمته فسماعه لا بأس به . ومن قال : لا أجد في نفسي شيئاً ، فالسماع في حقه ليس بحرام . وقال السهروردي : المنكر للسماع إما جاهل بالسنة والآثار ، وإما مغتر بما حرمه من الأحوال ، وإما جامد بالطبع لا ذوق له فيصر على الانكار » .

ثم قال أبو المواهب :

« القسم الثاني في الغناء المقارن للدف والشبابة ، اختلف العلماء فيه ؛ فذهبت طائفة إلى التحريم وذهبت طائفة إلى الإباحة ، وهو مذهب طائفة من الشافعية ، واختاره الغزالي والرافعي في الشرح الصغير ، وقال إنه الأظهر . وقال في الكبير إنه الأقرب واختاره العز بن عبد السلام والإمام تقي الدين بن دقيق العيد والإمام قاضي القضاة ابن جماعة ، وقال انه مقتضى المذهب . ثم قال : ولم يزل أهل الصلاح والمعارف والعلم يحضرون السماع بالشبابة وتجري على أيديهم الكرامات الظاهرة وتحصل لهم الأحوال السنية ، ومرتكب المحرم لا سيما إذا أصر عليه يفسق . وقد صرح إمام الحرمين وغيره من الأئمة بامتناع جريان الكرامة على يدي الفاسق .

« وأما السماع للغناء بالأوتار وسائر المزامير ، ومنه العود ، فقد اختلف العلماء فيه وفيما جرى مجراه من الآلات المعروفة ذوات الأوتار . فالمشهور من المذاهب الأربعة أن الضرب به وسماعه حرام ، وذهبت طائفة إلى جوازه ، ونقل سماعه : فمن الصحابة ، عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وغيرهم رضي الله عنهم ؛ ومن التابعين ، عن خارجة بن زيد وعبد الرحمن بن حسان وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وابن أبي عتيق وأكثر فقهاء المدينة ؛ ونقل عن مالك سماعه وليس ذلك بالمعروف عند اصحابه

« وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في « عارضة الأحوذي شرح الترمذي » ـ لما تكلم على اباحة الغناء ـ : وان انضاف إلى ذلك عود فهو داخل في قول أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه : أمزمارة الشيطان في بيت رسول الله ، ﷺ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « دعهن فإنه يوم عيد » . وإن انضاف إلى ذلك الطنبور فلا يؤثر في التحريم ، فإنها كلها آلات تقوى

بها قلوب الضعفاء وتستروح النفوس بهـــا . والعود يسمى طنبوراً وهو المعروف في اللغة ، ومال إلى إباحته الاستاذ ابو منصور البغدادي ، ونقل الشيخ ابو اسحاق الشيرازي أنه كان مذهبه ومشهوراً عنه ـ حكاه ابن طاهر المقدسي عنه ، وكان قد عاصر الشيخ ؛ وحكاه عن أهل المدينة وادعى أنه لا خلاف بينهم فيه .

« وكان ابراهيم بن سعد من علماء المدينة يقول بإباحته ولا يحدث حديثاً حتى يضرب به . ولما قدم بغداد واجتمع بالخليفة هارون الرشيد ، قال له : حدثنا يا ابراهيم . قال : ائتوني بالعود يا أمير المؤمنين . قال : أتريد عود المجمر ؟ قال : لا ، عود الغناء . فأحضر له فضرب به وغنى ثم حدثه . وابراهيم بن سعد أحد شيوخ الشافعي ، وروى عنه البخاري ، وهو إمام مجتهد مشهور عدل ثقة مأمون ، ولما ضرب بالعود بين يدي هارون الرشيد قال : يا ابراهيم ، من قال بتحريم العود من علمائكم ؟ قال : من ربطه الله يا أمير المؤمنين . وذكر ابن عرفة في مختصره الفقهي عن ابراهيم بن سعد إباحة الغناء بالعود . ونقل الإمام المازري من أصحابنا المالكية عن ابن عبد الحكم أنه مكروه ، وحكى عن العز بن عبد السلام أنه مباح .

ثم اختلف الذين ذهبوا إلى تحريمه : هـــل هو كبيرة أو صغيرة ، والأصح الثاني . وحكى المازري في شرح التلقين عن ابن عبد الحكم أنه قال : إذا كان في عرس أو ضيع فلا ترد به الشهادة . قال الاستاذ شرف الدين بن الفارض رضي الله عنه :

ولا تك بالله عن اللهو معرضاً فهز الملاهي جد نفس مجدة

« وأما الرقص فاختلف فيه الفقهاء أيضاً ، فذهبت طائفة إلى الكراهة مطلقاً ، منهم القفال وقال الاستاذ أبو منصور : تكلف الرقص عن الإيقاع مكروه . وذهبت طائفة إلى إباحته مطلقـــاً . قال صاحب العمدة من

الشافعية : الغناء مباح أصله وكذا ضرب القصب والرقص وما أشبه ذلك . وقال إمـــام الحرمين : الرقص ليس بمحرم ، فإنه حركات عن استقامة واعوجاج ولكن كثيره يخل بالمروءة . وكذا قـال ابن العماد والسهروردي والرافعي ، واحتج عليه بما يقتضي إباحته وجزم الغزالي بإباحته وقال الحليمي في منهاجه : إذا لم يكن فيه تثن وتكسر فلا بأس به .

« وقال الإمام النووي في المنهاج : ويباح الرقص ما لم يكن بتكسر وتثن كهيئة مخنث ؛ والأمر مختلف باختلاف الأحوال والأماكن . وذهبت طائفـــة إلى التفرقة بين أرباب الأحوال وغيرهم ؛ فيجوز لأرباب الأحوال ويكره لغيرهم . وهـذا القول هو المرتضى وعليه أكثر الفقهاء المسوّغين لسماع الغناء ، وهو مذهب الصوفيـــة رضي الله عنهم اجمعين . واحتج من ذهب لإباحة الرقص بما روته عائشة رضي الله عنها كما في الصحيح ، من رقص الحبشة في المسجد يوم عيد ، وأن رسول الله ﷺ دعاها فوضعت رأسها على منكبه ، قالت : فجعلت انظر إليهم حتى كنت التي انصرف عن النظر ـ انتهى .. قلت : وهذه كناية عن طول مدة الرقص » .

« والمشهور عن الإمام عز الدين بن عبد السلام أنـــه كان يرقص في السماع ؛ ذكره غير واحد عنه في كتب طبقـات الشافعية كالأسنوي والسبكي وغيرهما من الأئمة الثقات ، ونقل ذلك عنـه ابن عطاء الله في « لطائف المنن » . ثم قال أبو المواهب : فمن حضر السماع بالدف والشبابة من أهل المشرق الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، حكاه غير واحد من العلماء في كتبهم وسئل عن الآلات كلها فقال : مباح .

« وحضر السماع الشيخ تاج الدين الفراري ، شيخ دمشق ومفتيهـا ، وحضره غير ما مرة . وحضر السماع الإمام الحافظ الورع المجتهد تقي الدين ابن دقيق العيد غير مرة ؛ وعُمل سماعٌ فحضره الشيخ تقي الدين المذكور ،

وكان المغني يغني والفقهاء والعدول حاضرون والفقراء يرقصون ؛ قال الأدفوي : فقيل للشيخ تقي الدين : ما تقول في هذا الأمر ؟ قال : لم يرد حديث صحيح على عـــدم جوازه ، وهذه مسألة اجتهادية ، فمن أدّاه اجتهاده إلى التحريم قال به ، ومن أداه اجتهاده إلى الجواز قال به .

« وحضر هذا السماع أيضاً سيدي علي الكردي ، نفعنا الله به ، وحصل للجماعة حال وغيبة عظيمة . ثم حضرت الصلاة فتقدم بعض الجماعـة للإمامة فقال الشيخ تقي الدين : حصل في نفسي شيء وقلت : لو إنه توضأ . فلما فرغت الصلاة قال الشيخ : ما غاب غيبة يحصل بها نقض الوضوء . وقيل للشيخ تقي الدين : ما تقول في السماع بالشبابة والدف ؟ قال : هو مباح . ثم عدد أبو المواهب جماعة من أئمة المغرب حضروا السماع ، منهم ابن عبد السلام وابن هارون ، شارحا ابن الحاجب . قال : وسمعت من غير واحد عن الشيخ الإمـام قاضي القضاة شمس الدين البساطي ، رحمه الله ، انه كان يرقص بالدف والشبابة ؛ واخبرني من شاهده وهو متعلق مع ولي الله الكبير سيدي علي وفا ، رضي الله عنه ، يرقصان عـلى الدف والشبابة ، وهذا هو المشهور عنه .

« وعُمل سماعٌ بالشام أيام وجود الناس بها ، وحضره كل عالم ومفتٍ كان بها حتى قيل : لو وقع عليهم سقفهم لم يبق بها عالم ولا مفتٍ . ومن له اتساع علمي وذوق ورقة طبع أدرك معنى السماع ، ومن حرم ذلك فهو محروم هالك ، وما يعقلها إلا العالمون . ثم قال : قال الامام عز الدين ابن عبد السلام : من ارتكب أمراً فيه خلاف لا يعزر عليه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « ادرأوا الحدود بالشبهات » . قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : لا يعزر على أمر اختلف العلماء فيه ، واختلاف العلماء رحمة في هذه الأمة . قال رسول الله ﷺ : « بعثت بالحنيفية السمحة » . وقال تعـــالى : « ما جعل عليكم في الدين من حرج » أي ضيق .

« قال الإمام بن عبد السلام : إن الله تبارك وتعالى لم يوجب على أحد أن يكون حنفياً ولا مالكياً ولا شافعياً ولا حنبلياً ، والواجب عليهم اتباع الكتاب المنزل والنبي المرسل ؛ ومن اقتدى بقول عالم فقد سقط عنه الملام والسلام . قال أبو المواهب : فلا تلتفت إلى السفلة الأصاغر وما هم عليه من عصبية الإنكار ، لا سيما على الأولياء الكبار – انتهى ملخص ما في رسالة ابي المواهب المالكي الشاذلي الوفائي .

« وأنت إذا تأملت ما تلوناه عليك مما قاله القشيري وما في مفاتيح الكنوز وغيرهما من نصوص أئمة الحنفية التي لا تخالف الشريعة ، مع ما علمت من كلام أهل العلم في أنقالهم وما نقله الشارح عن الشامل وما كتبه شيخنا البليدي وغير ذلك ، علمت أنه لا يمكن أن صوت هذه الآلات محرم بذاته . قال الغزالي في الإحياء . من ادعى ذلك فليحرم أصوات الأطيار الحسنة وغيرها ، إذ لا فرق بين الحيوان والجماد ، والكل من زينة الله التي أخرج لعباده والمستلذات . غاية الأمر أن ساداتنا الفقهاء التفتوا لغلبة الفساد وسد الذرائع ولذلك قورنت المعازف في حديث النهي والذم بالخمور ونحوها ، فهو حالة تحريمها ، وهو الوجه الذي جعلها منه الصدّيق مزمار الشيطان نظراً لشأنها الغالب . أما مجرد الفرح والسرور في غير أمر محرم فهو الوجه الذي قال به ﷺ : « دعهن فإنه يوم عيد » ، فإن ضمير (دعهن) كان سالماً من هذا الشأن الذي لاحظه الصدّيق ، فأفاده ﷺ مزيد علم ؛ ومن هنا ليس لأحد أن يقول : التعليل باللهو تعليل بالمظنة مع تحقق الماهية ، على أنه ليس كل لهو محرماً فإن الصيد لهو مكروه .

« فإن قلت : ما فعل على عهده ﷺ لم يبلغ هذا الغلو والتعمق في الأنغام .. قلت : كل شيء كان على عهده ﷺ زيد فيه تأنقاً ، حتى الملابس والطعام ، ولم يعد بالزيادة من الحرام . فلما كان أهل الله تعالى دائماً في عيد

صنيع الشهود لم ينهوا عن السماع ، بل أعلى من ذلك شهودهم آيات الحق الذي هو بالمرصاد على كل شيء شهيد ، وما هو الضارب والمضروب والسامع والمسموع ؟ إن هو إلا سر الحق سار في آفاق الكل ، وأنشدوا في ذلك :

حدث عن الوتر أيها الوتر — من فاته الخبر سره الخبر
هذه آثارنا تدل علينـــا — فانظروا بعدنا إلى الآثار

ومن كلام سيدي عمر بن الفارض :

تراه إن غاب عني كل جارحة — في كل معنى لطيف رائق بهج
في نغمة الناي والعود الرخيم إذا — تألفـــا بين ألحان من الهزج

« وممن رأيته يتواجد في السماع ويقوم ويرقص شيخنا العلامة العارف بالله السيد عبد الرحمن العيدروس رحمه الله ؛ وكان يقول : السماع كالمطر إذا نزل بأرض طيبة أنبتت طيباً ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً ، قد علم كل أناس مشربهم – انتهى باختصار كثير » .

انتهى كلام صاحب مختصر البرموني منقولا بحروفه .

قلت : وقد سئل الإمام السيوطي رحمه الله تعالى عن مثـــل مجالس الذكر المعروفة عندنا اليوم من اشتمالها على التواجد والميـلان والرقص ووجود السماع فيها ، وما إلى ذلك فأفتى بالجواز ، وأيده بنقول ونصوص . وقد ذكر ذلك في كتابه الذي سماه « الحاوي للفتاوي » . وها هو إليك بنصه ؛ قال :

« مسألة في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر ، ثم إن شخصاً من الجماعة قام من المجلس ذاكراً واستمر على ذلك لوارد حصـل له ، فهل له فعـل ذلك ، سواء كان باختياره أم لا ؟ وهل لأحد منعه وزجره عن ذلك ؟ الجواب : لا إنكار عليه في ذلك . وقد سئل عن هذا السؤال

بعينه شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني فأجاب بأنه لا إنكار عليه في ذلك وليس لمانع التعدي بمنعه ، ويلزم المتعدي بذلك التعزير . وسئل عنه العلامة برهان الدين الامياسي فأجاب بمثل ذلك وزاد : ان صاحب الحال مغلوب والمنكر محروم ، ما ذاق لذة التواجد ولا صفا المشروب ... إلى أن قال في آخر جوابه : وبالجملة ، فالسلامة في تسليم حال القوم .

« وأجاب أيضاً بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية ، كلهم كتبوا على هذا السؤال بالموافقة من غير مخالفة ، أقول : وكيف ينكر الذكر قائماً والقيام ذاكراً ، وقد قال الله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » ؟ .. وقالت عائشة رضي الله عنها : « كان النبي ﷺ يذكر الله في كل أحيانه » .

« وان انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه فلا إنكار عليهم في ذلك من لذات الشهود أو المواجيد . وقد روي في الحديث : رقص جعفر بن ابي طالب بين يدي النبي ﷺ لما قال له : « أشبهت خلقي وخلقي » ، وذلك من لذة هذا الخطاب ، ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ فكان هذا أصلاً في رقص الصوفية لما يذكرونه من لذات المواجيد . وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة ، منهم شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام » . — انتهى السيوطي ..

قلت : وقد نقل الشيخ عبد السلام العالم التاجوري ، في كتابه « فتح العليم » مجموعة من الاسئلة والأجوبة في هذا الموضوع عن عدد من الأئمة ، نقل ذلك من كتاب المعيار للوانشريسي . ونظراً لحاجة موضوعنا إلى أمثال هذه المسائل فإنني أسوق ذلك إليك على نحو ما ذكرها ولو كان فيها شيء من الطول ، حباً في بقاء عبارات الشيوخ على ما هي عليه ، وتبركاً بكلامهم ونصوصهم وعباراتهم .

قال رحمه الله تعالى ما نصه : ومـن المعيار للونشريسي . وسئل أبو سعيد بن لب عن الدف المزنج ، هل هو من المحرم أم لا ، فأجاب : الحكم في حضور الوليمة التي تكون على ما وصفتم جواز التخلف عنها . إلى أن قال : وأما سماع الطار بتلك الزنوج المعروفة ففيه اختلاف بالإباحة والكراهة والمنعة . لكن جرت عادة شيوخ العلماء وأئمة الفقهاء بحضور موضع ذلك وسماعه ترخصاً لمكان الاختلاف – انتهى من المعيار فراجع فيه حـكم الغناء وآلته . ثم قال : ومن كتاب الجامـع للونشريسي ما نصه : وسئل الفقيه العالم المفتي أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي عن مسألة من نمط ما تقدم ، سألهـا منه الفقيه القاضي أبو العباس أحمد ابن العجل الوزراوي .

نص السؤال :

« الحمد لله دائماً ، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمة وراحماً ، رضي الله عنكم وأرضاكم وحفظكم ووقاكم وأعانكم على مـا أولاكم جوابكم – رضي الله عنكم – في مسألة ، وهي أن عندنا جماعة لموضع منقطعين إلى العبادة ، من الصلاة والسلام وقراءة القرآن وتعليم أولاد المؤمنين والسعي في قضاء حوائجهم والأرامل والأيتام والمساكين ، والإصلاح بين المسلمين ، متعاونين على ذلك مداومين عليه ، وفيهم رجل له عليهم شرف العـلم ، معه منه حظ وافر مما يحتاج اليه في دينه من فقه وتصوف ، اتخـذه أصحابه شيخاً في ذلك قدوة وكلهم ظاهرو الخير صالحو الأحوال ، غير أنهم يجتمعون في المولد وشبهه للوعظ والتذكير ، وربمـا ينشد لهم منشد أشعاراً في مدح النبي ﷺ وفيما يناسب ذلك ، مما يحض عـلى الطاعة من غير اجتماع رجال ونساء في ذلك ، وطعن بعض الناس عليهم في ذلك وقال : هذه بدعة ومنكر . فطلب مني الجماعة المذكورة المشار اليها الكتب إليكم لتشيروا عليهم بمقتضى العلم في ذلك فيتبعون رأيكم وأجركم على الله ، والسلام

عليكم من مقبل أيديكم المعترف بأياديكم محبكم، أحمد بن عبد الله من أولاد العجل .. لطف الله به .

فأجاب [العبدوسي] :

الحمد لله وحده دائماً والله الموفق للصواب بمنه؛ إن أحوال الجماعة المذكورة ـ أدام الله تعالى استقامتهم وأحسن بطاعته معونتهم ـ أحوال حسنة مرضية شرعاً، فياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً . واجتماعهم على ما ذكر اجتماع على طاعة مستحبة تثمر خيرات من الخوف والرجاء والصبر والزهد، إلى غير ذلك من المقامات العلية والأحوال السنية، إلى غير ذلك . إلى أن قال : ولا يُحرّم من ذلك إلا ما نشأ عنه مفسدة أو مفاسد، من اختلاط الرجال والنساء ودنو بعضهم من بعض، أو نظر المحرم أو تحريك لعب محرم، إلى غير ذلك من آفات السماع التي ذكرها علماؤنا رضي الله عنهم . وما ذكرتم خيور محضة لا تشوبها آفة ولا تكدرها مفسدة . غير أنهم يؤمرون بتصحيح نياتهم وتخليص طوياتهم في ذلك، فإن خدع الشيطان وآفات النفس كثيرة لا يحيط بها إلا الله سبحانه . فيجتهد العبد في تصحيح نيته ما أمكن، ويعتمد على فضل الله سبحانه لا على عقله . إذ لولا فضله لم يكن عملاً أهلاً للقبول . وفي الحديث : أن رسول الله ﷺ كان يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه يفاخر أو ينافح عنه، ﷺ . وقد كان ﷺ ينقل اللبن في بنيان المسجد وهو يقول : هذا الجمال لا جمال خيبر ـ هذا بناء ربنا وأطهر . وقال أيضاً : اللهم إن العيش عيش الآخرة، فارحم الانصار والمهاجرة ـ خرّجه الصحيحان ـ ولما أنشده النابغة شعراً قال : لا يفضض الله فاك .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون الأشعار وهو يبتسم ﷺ . وروى عمر بن — وهنا بياض بالأصل —

عن أبيه ، قال النبي ﷺ قال : أنشد النبي ﷺ مائة قافية من قول أمية ابن أبي الصلت ، كل ذلك يقول هيه .. هيه إلى آخره . والأخبار والآثار في هذا المعنى كثيرة نصاً وإجراءً واستقراءً ، وفيما ذكرناه كفاية ولا التفات إلى طلب جاهل جلف قح لا يفهم مذهب مالك ولا غيره ويحمل الروايات على غير محملها .. والكلام مع مثل هذا غصة في القلب وتعطيل للزمان في غير فائدة عائدة على الانسان في دنياه واخراه ، وبالله تعالى التوفيق . وكتبه مسلماً عليكم وليكم في الله عبد الله العبدوسي .

انتهى جواب العبدوسي ..

ثم قال الشيخ عبد السلام العالم وقبله فيه أيضاً ما نصه : وسئل الشيخ الرحال أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بأبي البركات ابن الحاج ، عن زاوية الغرباء يجتمعون لهم فيها بقوتهم ويؤنسونهم بالمجالسة ، ويجتمعون على الذكر وإنشاد الأشعار ثم يبكون ويشطحون في فصول كثيرة ، فأجاب : الحمد لله المستعان على ما فيه رضاه ، إن كان الأمر على ما كان أعلاه ، فقد جرى الأمر بالعدوتين على المسامحة فيه ، وإن فرض أن يتخلل ذلك ما يتردد المجتهد في إجازته ورده فما يقترن فيه من الخشوع والصدقات وإرفاق ابن السبيل مكفر له ان شاء الله . وكتبه أبو البركات محمد بن ابراهيم بن الحاج ، رحمه الله .

وقيد عقبه بخط الاستاذ شيخ الجماعة أبي سعيد فرج بن لب ما نصه : وقفت على السؤال والجواب المقيد وقلت بمثله والله الموفق بفضله . قاله فرج بن لب حامداً الله مصلياً على رسوله ﷺ .

ثم قال : وسئل الأستاذ ابو سعيد بن لب عن جماعة من المسلمين يجتمعون في رباط على ضفة البحر في الليالي الفاضلة يقرؤون جزءاً من القرآن ويسمعون من كتب الوعظ والرقائق ما أمكن في الوقت ، ويذكرون

الله عز اسمه بأنواع من التهليل والتسبيح والتقديس ، ثم يقوم من بينهم قوّال يذكر شيئاً في مدح النبي ﷺ ، ويلقي من السماع ما يشوق النفوس إليه وتشتاق سماعه من صفات الصالحين ونعت المتقين وذكر آلاء الله ونعمائه ، ويشوقهم بذكر المنازل الحجازية والمعاهد النبوية فيتواجدون اشتياقاً لذلك فيأكلون ما حضر من الطعام لله سبحانه ، ويرددون الصلاة على النبي ﷺ ويبتهلون بالأدعية إلى الله تعالى بإصلاح أمورهم ، ويدعون للمسلمين وإمامهم ويفترقون على ذلك ... فهل يجوز اجتماعهم على ما ذكر ويباح لهم ، أو يمنعون من ذلك وينكر عليهم ؟ . ومن دعاهم من المحبين والمعتقدين إلى منزله بقصد التبرك فهل يجيبون دعوته ويجتمعون عنده على الوصف المذكور أم لا ؟ ..

فأجاب : وقفت على المكتوب الأعلى وذكر الله تعالى هي رياض الجنة كما في الحديث ، وعنه عليه الصلاة والسلام « ما جلس قوم مسلمون مجلساً يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » . وقد قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا » وقد قال تعالى : « والذاكرين الله والذاكرات » ويقول سبحانه فيما يرويه عنه رسوله ﷺ : « أنا مع عبدي ، إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » . ومصداقه في كتاب الله : « فاذكروني أذكركم » وقال العلماء : ما أمر الله بالإكثار من شيء مثل ما أمر به من الإكثار من ذكره والصدقة لوجهه ، فقال : « واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » . وقال في الصدقات : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » .

وأما الإنشادات الشعرية فإنما الشعر كلام حسن حسنه وقبيح قبيحه ، وقد قيل في شعراء الإسلام « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا » . وذلك أن حسان بن ثابت وعبد الله

ابن رواحة وكعب بن زهير وكعب بن مالك لما سمعوا قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وانهم يقولون ما لا يفعلون » .. بكوا عند سماعها فأنزل الله عقبها واستثناهم فيها . وقد أنشد الشعر بين يدي رسول الله ﷺ ورقت نفسه الكريمة وذرفت عيناه لأبيات أخت النظر مما كان قد طبع عليه من الرقة والرحمة ﷺ .

وأما التواجد عند السماع فهو في أصله آثار رقة النفس واضطرابها فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن قال تعالى : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » أي اضطربت رعباً ورهباً وعند اضطراب القلب يحصل اضطراب الجسم . قال تعالى : « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً » وقال تعالى : « ففروا إلى الله » ؛ فإنما التواجد رقة نفسية وهزة قلبية ونهضة روحانية وهذا هو التواجد عن وجد ، ولا يسمع فيه نكير من الشرع . ذكر السلمي في رقائقه عن بعض المشائخ أنه كان يستدل بهذه الآية التواجد وقت السماع والذكر « وربطنا على قلوبهم ، إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً » .

وكان يقول : إن القلوب مرتبطة بالملكوت حركتها أنوار الأذكار وما يرد عليها من فنون السماع ، ووراء هذا تواجد لا عن وجد فهو منهي لذم مخالفة ما ظهر لما بطن . وقد يقرب فيه الأمر عند القصد إلى استنهاض العزائم وإعمال الحركة في يقظة القلب النائم : يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ولكن شتان ما بينهما ، كما قال القائل في الواجد الباكي والخلي المتباكي :

رضا الأحباب مختص بواحد ... وآخر يدعي معه اشتراكا
إذا اشتبهت دموع في عيون ... تبين من بكى ممن تباكى

وأما من دعا طائفة إلى منزله فتجاب دعوته وله في ذلك قصد ونية ،

وهذا ما ظهر تقييـده في تلك المسائل وعلى مقتضى الظاهر والله يتولى السرائر وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى والسلام على من يقف عليه من كاتبه فرج بن لب – انتهى ..

ونذكر بهذه المناسبة ما نقله الشيخ عبد السلام العالم في كتابه « فتح العليم » عن وصية الشيخ ونصائحه لمريديه نبـذة تتعلق بآداب الأذكار وشروط الحضرة المعروفة فنقول : قال رحمه الله تعالى ، ناقلاً عن الوصية ما نصه : أما الذكر له آداب تلزم الذاكر قبـل الشروع في الذكر ، وآداب وهو في حالة الذكر ، وآداب بعد الذكر ؛ فأما التي تلزمه قبل الشروع فيه فهي التوبة وطرد النفس وتنظيف القلب مـن الغش والكبر والمنكر وشبهها ، لأن الظلمة والنور لا يجتمعان وترك العوائق والعلائق ومعرفة علم الابدان والأديان والملبس الحلال والمأكول الحلال وتطييب اللباس بطيب غير طيب النساء ان تيسر .

وأما التي في حالة الذكر – الاخلاص ، بأن لا يذكر رياء ولا سمعة ، وانما يذكر محبة وتعظيماً للمحبوب سبحانه وتعالى ، وتطييب المجلس لأجـل حضور الجن والملائكة ، والجلوس متربعاً إن كان وحده ، وان كان يذكر مع جماعة فكيف تيسر ، ووضع اليدين على الركبتين ان كان جالساً وان كان قائماً فيرسلهما مع الفخذين ما دام يعقـل . ومن غاب سقطت عنه الآداب ، وتغميض العينين عن المحسوسات ويتخيل الذاكر شيخه بين عينيه ويعتقد أنه يستمد منه ، وهو يستمد من النبي ﷺ ، وأن يذكر الله بالتعظيم . وأما التي بعد الفراغ من الذكر فهي الدوام على حضور الذكر في القلب إذا سكت ، متلقياً للوارد الذي يحصل بعد الفراغ من الذكر عادة وهو السكينة والوقاء ، والحضور والغيبة عما سوى المذكور . والغيبة بعد الفراغ من الذكر تسمى عند أهل الطريقة « النومة » – فافهموا ! والذكر إذا كان بآدابه وشروطه في محله مع أهله يحصل منه جلاء القلب مـا لا يحصل

بالمجاهدة ثلاثين سنة – فافهموا ! فعليكم بكثرته بلا عدد ، وهذه الآداب تلزم الذاكر الواعي الصاحي ، واما السكران مسلوب العقل فهو وما يرد عليه من الله تعالى ، فاتركوه بينه وبين ربه ، سواء نطق بالذكر بلحن أو نطق به كما ينبغي بلا لحن ، وسواء قال : الله الله ، أو قال : هو هو هو هو ، أو قال : أ أ أ ، أو قال : لا لا لا ، أو زعق كالعقاب أو صوت بغير حروف أو صرخ أو تخبط على وجه الأرض أو جرى أو اختبط لأعلى وأسفل ، فاتركوه ولا لكم عليه سبيل ، وخلوا بينه وبين ربه ، وإن شوش عليكم في الحلقة فأخرجوه إلى خارجها برفق ولين وأدب ، وعلامته أن يكون بعد الوارد ساكناً ساكتاً لا يخالف الشريعة إن صحا ، وهذه الآداب لا تلزم إلا الذاكر باللسان ، وأما الذاكر بالقلب فلا يلزمه منها شيء ، والتفكر بالقلب والعقل في مصنوعات الله تعالى هو سراج القلب فإذا سكن القلب منه بقي مظلماً ، وساعة من التذكر تعدل عبادة سنة . وهي هدية من الله تعالى .

وأما الحضرة ، ويقال لها عند أهل الطريقة « السماع » ، فإن لها آداب الذكر المتقدمة ويزاد فيها غير ذلك : وهي تغميض البصر وتحضير القلب بأن تفرغوا قلوبكم من كل مكروه وتعرفوا من تذكرونه ، وترك الوسوسة لأنها من الشيطان ، وترك الالتفات وترك الحركة ما دمتم تشعرون بأنفسكم ، وأن يخرج الذكر من أفواهكم بميزان واحد من غير خلاف للأصوات ، ومن خالف صوته صوت الآخرين فأسكتوه وعلموه الأدب برفق ، وإن لم يفهم فأخرجوه من الحلقة لئلا يشوش عليكم . وعدم دخول النساء للحضرة ، وإن دخلها النساء فهي حضرة الشيطان ، فاحتفظوا من النساء ومن الذكر معهن جهدكم . وطرد الخواطر كلها حتى لا يبقى في القلب إلا الله تعالى . ومن شروط حضرتنا أن تكون معزولة عن الناس الأرذلين والفساق وشاربين الخمر والنساء وتاركين الصلاة والظلمة . وان

تكون في موضع طاهر ، وأن تكون بعد أداء الفرض إذا كان في وقت صلاة . وأن تكون مع أهلها لأنها إذا كانت مع العامة في ضوء من غير ظلمة لا يظهر فيها شيء من الحضور في القلب إلا في قليل من الأوقات ، بل ولو ظهرت ثمرتها فإني أخاف على ضعفاء العقول من الرياء وشبهه ، فلا خير فيها مع العامة إلا اذا كانوا قليلين والحضرة في الظلمة فلا بأس بها ان شاء الله تعالى . ومن شروطها التواضع وتليين الجانب لمن يليك من الإخوان ، والاعتقاد في كل من تذكر معه أنه أفضل منك وإلا فلا تنال منها شيئاً .

وعدم الدخول لوسط الحلقة ؛ فإن في ذلك مضرة شديدة إلا لمن غاب عن المحسوسات أو كان نقيباً على الفقراء ودخل وسطها يسوي الحلقة ويحرضهم على الذكر . أو كان شيخاً عارفاً بالله وبالطريقة . فإن دخوله أيضاً لوسط الحلقة فيه صلاح لهم ؛ أو من اذن له الشيخ بالدخول . وإياكم ثم إياكم ثم إياكم والدخول لوسط الحلقة ! فإن ذلك يسلب من الأنوار سلباً لا توفيق بعده ، إلا من ذكرتهم : وهم النقيب ، والغائب السكران في حب الله ، والشيخ ، ومن أذن له الشيخ .

ومن شروطها أن تكون في موضع مظلم ، وأن لا تصفقوا فيها اختياراً ولا تصرخوا فيها اختياراً ولا تضربوا بأرجلكم الأرض اختياراً ولا تخرجوا منها إلا بإذن من الشيخ اختياراً . ومن خرج من الحضرة اختياراً بلا إذن من الشيخ ولا إذن من نقيب الحضرة فمثله مثل الذي رمى بنفسه من رأس جبل طوله ألفا ميل ، فما له إلا الهلاك وقلة النجاح . فحاذروا الخروج منها بلا إذن الشيخ أو النقيب . والنقيب هو الذي يقيمه الشيخ في موضعه ويرضى بكل ما يفعله ، لأنه ما خلفه في موضعه إلا بعد أن علمه أنه عارف للطريقة وشروطها ، وهو يقوم مقام الشيخ وتجب طاعته كما تجب طاعة الشيخ .. فافهموا ! فهذا حال طريقتنا العروسية وشيوخها ونقبائها ، نفعنا الله بهم

آمين . ولا تخرجوا من الحضرة إلا من عذر مثل المرض وشبهه .

ومن شروطها تطييب المجلس بالطيب لأجل حضور الجن والملائكة ، ورأس ثمرتها خروج الأكوان كلها من القلب جملة وتفصيلاً . لأنها ما شرعها أهل الطريقة إلا للفقراء المبتدئين لكي تخرج الأكوان من قلوبهم بسبب ذكرهم فيها لأن الذكر من أفواه كثيرة له تأثير قوي في القلب .. فافهموا ! وأما المنتهي في الطريقة فلا يحتاج إلى دخولها ، لأن قلبه في حضرة القدس دائماً ، وهي حضور القلب مع الله على الدوام ، ولا يغفل عن مولاه طرفة عين . فهذا حال المنتهي . ولا يدخل الحضرة إلا لكي ينفع الفقراء ، لأنهم إذا ذكروا مع صاحب هذا المقام خرجوا من الغفلة في الحين . ومثلهم مع المنتهي كمثل رجل دخل بيتاً فوجد فيه رجالاً قائمين ، فلما أن دخل البيت قال : الله الله الله ، بصوت قوي ، فاستيقظ كل من في البيت . فهذا حال المنتهي في الطريقة مع المبتدئين . فعليكم بالقرب من أهل الله تنتفعوا .

ومن شروطها ألا تدخلوها إلا متوضئين ، فإن لم يتيسر لكم الوضوء فلا بد من إزالة النجاسة من أجسامكم وأثوابكم وبقعة الحضرة . وخذوا حذركم من الحركة النفسانية في الحضرة ، وهي أن يتحرك الفقير ويهتز وقلبه محشو بالأكوان .. فافهموا ! فإن النفس لها طرب شديد عند اعتدال الأصوات ؛ فإذا مالت في الحضرة إلى استماع الأصوات فردوا قلوبكم للذي خلق الأصوات ، سبحانه وتعالى ، وخذوا حذركم من أن يغضب أحد على أحد في الحضرة ، فإنكم لا تنالون شيئاً . ومن شروطها فراغ البطن من الطعام إلا بقدر ما يسد عن الجوع المفرط الذي لا يقدر الإنسان معه على قيام وقعود . وكل أحد يعلم بحال نفسه ؛ وعليكم بالجوع وعليكم بالجوع وعليكم بالجوع ، لأن المأكول يصير نجساً في الجوف ، والنجس ظلمة ، والذكر نور ، والظلمة والنور لا يجتمعان في مكان واحد ...

فافهموا ! والجوع يقهر النفس والشيطان ، وفيه صحة للدين والجسد ، والشبع يقوي النفس ويقرب منكم الشيطان ، خصوصاً إذا كان طعام من حرام ، ففيه فساد الدين والجسد ، وفضل الصوم كثير عند الله تعالى .

وأما البنادير فلا تضربوها إلا بعد أن تظهر الحمرة ، ولا تضربوها إلا وانتم طاهرون من النجاسات كلها . وإذا فرغتم من الحضرة فلا تضربوها ولا تمكنوا النساء ولا الصغار فإن ذلك يضركم مع الله تعالى مضرة شديدة ، ولا أرضى ذلك ولا من يفعل ، ومن خالف لا يلوم إلا نفسه .. فافهموا ! إلى آخره ..

وقال في موضع آخر من الوصية الكبرى كما نقلت ذلك منها ما يناسب هذا الكلام ما نصه : وواظبوا الحضرة ولا تتركوهــــا ما دمتم أحياء . وتأدبوا معها غاية الأدب ولا تفعلوا فيها ما يفعله الجهال وأهل البدع . ولا ترقصوا فيها متعمدين . إخواني : من رقص فيها من غير جذب فهو من قلائل الأدب .. ومن صفق فيها متعمداً أو ركض فلعهدنا قـــد نقض . ومن اهتز فيها بغير حالة كشف الله حاله . ومن دخلها ، منجوساً بجنابة فبشره بالفراق من قرابته ، ومن تكلم في اثنائها من غير الذكر بالصوت فخبره بالهلاك والموت . إخواني ، حافظوا عليها ما استطعتم من المناكر التي يذمها الفقهاء ، والعوارض التي يكرهها الصوفية والعلماء .

إخواني ! تأدبوا معها وأحسنوها ؛ واخشعوا فيها كما تخشعون في الصلاة ، اللهم إلا اذا نزل بكم أمر غالب من وجد أو شوق أو ذوق أو حال أو جذب . فإذا أغمي على أحدكم في الحضرة فقد سقط عليه التكليف فسلموا له ، وإذا شق بكم من ضرب أو مزاحمة أو صراخ يفسد عليكم ذكركم أو صوت قوي يخلـط عليكم أو يشتتكم أو يضر بكم ضرراً قوياً فأخرجوه من الحلقة برفق ولين ، ولا تضربوه ولا تنازعوه ولا تهزأوا به

ولا تقبحوا عليه ، ولو غيَّر الاسم الأعظم ، ولو كان يقول : خا خا خا أو حا حا حا أو لا لا لا أو هـا ها ها أو كا كا كا أو فا فا فا ، وكل حرف من الحروف الهجائية .. فإذا لم يشق بكم ولا يضركم فلا تخرجوه من الحضرة إلى أن يشبع ، واجعلوه في وسطها وأحسنوا له الذكر وصوتوا فيه بالقوة إلى أن يلقى على الأرض أو يطيب . فإذا سقط على وجه الأرض فانقلوه بظرافة وتلقوه حين سقوطه على الأرض لئـلا يتضرر جسده . إخواني ! فأخرجوه من بينكم بأدب وظرافة ، وألقوه على الأرض النظيفة ، واطرحوه عليها وغطوه بالإزار الى أن يفيق ويرجع على ما هو به ويعيد له .

إخواني ! ومن أصابه الجنون فأخرجوه من الحضرة لئلا يتضرر ويهلك من كان معه في الحضرة . إخواني .. والجنون لا يخفى فهمه على أحد ، فمن أوصاف المجنون البخر والكلام القبيح وحديث الفساق والدعوة الكاذبة وقلة الحياء وظهور السيوف الممزوجة بالدم ويزعم ان ذلك الدم جهـاد في سبيل الله . ومن الجنون أيضاً أكل السمومات ولحس المناجل المحميات بالنار والضرب بالسيوف عن يمينه وعن شماله ، ويزعم أيضاً ان ذلك جهاد في الكفار . ومن الجنون أيضاً ضرب السكاكين في البطون ، ومن الجنون أيضاً أكل العقارب والحيات ، فهذا كله من الاستدراج وعمـل الشيطان ومخالفة السنة . – انتهى كلام مولانا عبد السلام في وصيته ... وانتهى كلام الشيخ عبد السلام العالم في كتابه « فتح العليم » ..

وقال سيدي عبد السلام نفسه في الوصية الكبرى ما نصه : إخواني ؛ وللحضرة شروط وأعـذار وحقائق وآداب وتداول . فمن شروطهـا الزيادة في الايمان ، ومن شروطها أن تكون خالية من النسوان ، ومن شروطها ترك الغيبة قبلها وبعدها ، ومن شروطها أن تكون في موضع طاهر من النجاسات والصواب ان تكون في مسجد أو نحوه . ومن شروطها أن لا يكون فيها رقص ولا تصفيق ولا صراخ ولا تمزيق الإزار ولا إساءة الأدب .

اخواني : ومن شروط الذاكرين فيها أن يدخلوها طاهرين متوضئين . ومن شروط الذاكرين فيها أن يتركوا الكلام في أثنائها إلا لحاجة ضرورية . ومن شروط الذاكرين فيها أن يذكروا فيها بخشوع ووقار ، ولا يغيرون الاسم الشريف ولا يلحنون فيه . ولا يكون في ذكرهم لحن ولا إدغام ولا تمطيط ، ويضبطون أنفسهم ما استطاعوا .

إخواني ! ولا تدخلوا في حضرتنا ما ليس فيها ، كاجتماع النساء والذاكرين معهن والتلذذ بأشعارهن . إخواني ! ومن آدابها اجتناب الرائحة المنتنة لأن الحضرة روضة من رياض الجنة أو مسجد من المساجد ، قال تعالى : « فهم في روضة يحبرون » جاء في التفسير : أنها الحضرة والسماع . وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة؟ قال : حلق الذكر الحديث » . وكل في مقامه يتكلم ، وهذا مقامنا ، والصواب معنا . إخواني ! ومن آداب الحضرة ترك الكراث والأزول والثوم والبصل عند دخولها . ومن حقائقها الاعتقاد فيها وحضور القلب والنية والابتداء بالقرآن والختم بالقرآن . ومن آدابها الإطعام فيها والصدقة بعد الذكر وقبله . وقال صفينا أبو رأس ، رضي الله عنه : يكون الإطعام والصدقة بعد الذكر وهو الأحسن .

اخواني ! فافهموا أن الحضرة في الحقيقة هي حضور القلب مع الله تعالى ، وأما في الاصطلاح فهي السماع ، ويعبرونه بالحضرة لحضور الإخوان واجتماعهم للذكر . إخواني : واعذار الحضرة التي تبيح التخلف عنها كأعذار الجمعة أو أشد منها ؛ ولا يتوهم أحد منكم أنها فرض عين أو فرض كفاية أو سنة من السنن المؤكدة ، وإنما هي أمر مستحب عندنا ، وجرى به الأمر والعمل عند الصدر الأول والسلف الصالح . ولا يذم منها شيء عند العلماء العاملين المنصفين الذين يخافون ربهم ويتبعون سنة نبيهم ﷺ .

وكان شيخنا أبو تليس ، رضي الله عنه ، يفعلها بجامع الأزهر ، وينشد

فيها بكلام شيخنا ابن عروس رضي الله عنه ، ولم ينكر عليه أحد من أهل مصر وجميع علمائها وربما يقرأون عليه في العلوم ويحضرون معه في الحضرة . وكان رضي الله عنه يقريهم في المعقول ، وقد أخبرني بذلك شيخنا ابو رأس رضي الله عنه ، وهو تلميذه ، ومن ابناء جنسه . وقد أخبرني أيضاً شيخنا أبو رأس – مخبراً عن نفسه – على مهاجرته بمدينة فاس بالجامع الكبير المعروف بالقرويين .. إلى أن قال : والحضرة في وسطه – في داخل المسجد – وعلماؤهم في وسطها ، ويذكرون ويتمايلون وعمائمهم ساقطة على مناكبهم . وفيهم الأئمة الأربعة : فالأول الشيخ عبد الرحمن الأنصاري المالكي ، والثاني الشيخ عبد الكريم بن جـــابر الحنفي ، والثالث الشيخ ابراهيم بن مروان الأندلسي الشافعي ، والرابع الشيخ محمد بن أحمد بن عمران الحنبلي . ولم أر في الناس مثلهم من الفصاحة وكثرة العلم والاتباع والتحفظ على الديانة ؛ وكان ذلك اليوم نهار الجمعة بعد الصلاة فأصابني حال عظيم حتى كاد عقلي أن يزهق ، فمكثت بالجامع المذكور خمسة أعوام إلى أن ختمت المختصر خمس ختمات ، وكذلك المعقول وغيره من العلوم الرقائق . ولم نفتر عن الاجتهاد في العلم من حين بلغت الجامع المذكور ، ولم تفارقني الحضرة في كل يوم جمعة إلى أن رجعت إلى دياري وهي القيروان .

إخواني ! واظبوها وحافظوا عليها كما تحافظون على الصـلاة والصلاة الوسطى . إخواني ! فالحضرة نور منثور ؛ وقد صرح إمامنا الدوكالي للفقراء والطلبة أن يدخلوها ، وأجازها وسلمها وأمرنا بها . وكان رحمه الله تعالى عنده سبعون طالباً يقرأون عليه في العلوم والأحكام ، وحين يسمعون الحضرة يدخلونها بأجمعهم إلا شيخنا الدوكالي لم يدخلها . وكان رحمه الله ينكرها أولاً ثم بعد ذلك سلـّمها وسلـّم لأهلها .

إخواني ! لا تفعلوا فيها منكراً ولا مكروهاً ؛ فإن كان فيها منكر من

المناكر فواجب على العلماء أن ينكروا عليكم وجوباً ، ويبقى انكارهم عليكم فرض عين وننصرهم عليكم . وأنا معهم سواء كنت حياً أو ميتاً ، والدين دين واحد . أيها الفقراء ؛ إخواني ! فلا تحدثوا في حضرتنا ما ليس فيها ، ولا تحدثوا في ديننا ما ليس منه ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . اخواني ! ولا تبتدعوا في حضرتنا ولا تعتقدوا أن الرقص والتصفيق من الدين ، ولا تفعلوا ما يفعله أهل البدع فإن كل محدثة بدعة ؛ ولا شك أن البدعة ضلالة وصاحبها في النار . اللهم إلا إن أقمتم الحضرة بشروطها وفعلتم ما أمرتكم به وما نهيتكم عنه ، فأنا معكم سواء كنت حياً أو ميتاً .

* * *

قلت : هذه هي الشروط التي ذكرها الشيخ رضي الله عنه في كلامه للحضرة التي تكون مقبولة ومرضية ومفيدة . ومع الأسف الشديد قل أن تتوافر في أهل زماننا اليوم ، وحضراتهم . وذكرني ما يشاهد من أهل زماننا في أذكارهم وحضراتهم وسماعهم ما وقفت عليه في كتاب مختصر البرموني ونسبه إلى أحد علماء المغرب المشاهير . ونظراً لانطباق أغلب ما جاء في هذا المقال ، وما ذكره من الأوصاف وما لفت إليه النظر من الملاحظات - نظراً لانطباقها على كثير من أهل زماننا في حضراتهم ، أحببت أن أنقل ذلك حرفياً ، والله يوفقنا وإياهم إلى أن نسير في طريق الصواب ، ويجنبنا الخطأ والزلل والشك والارتياب .

قال صاحب مختصر البرموني رحمه الله تعالى ما نصه :

تنبيه مهم : ومما ينبغي ذكره في هذا المقام مقالة العلامة الهمام الشيخ سيدي احمد الناصري في كتاب « الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى » لانطباق غالبها على ما هو جار عندنا ببعض الأماكن بقطر افريقية ، وذلك كاجتماع النساء والرجال وغير ذلك من المناكر عند زيارتهم أضرحة بعض

الأولياء أو وقت استعمال الحضرة المعروفة في هذا الزمان، التي قواعد الشريعة السمحاء تأباها، فينبغي تنبه إخواننا المسلمين لمقالته هذه، والعمل بمقتضاها وإليك ما قاله رحمه الله :

« (**تتمة مهمة**) لقد ظهر ببلاد المغرب وغيرها منذ أعصار متطاولة، لا سيما في المائة العاشرة وما بعدها، بدعة قبيحة وهي اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم أو تقدموهم ممن يشار إليهم بالولاية والخصوصية، ويخصونه بمزيد المحبة والتعظيم، ويتمسكون بخدمته والتقرب إليه قدراً زائداً على غيره من الشيوخ؛ بحيث يرتسم في خيال جلهم أن كل المشايخ أو جلهم دونه في المنزلة عند الله تعالى. ويقولون : نحن أتباع سيدي فلان وخدم الدار الفلانية. لا يحولون عن ذلك ولا يزولون، خلفاً عن سلف، وينادون باسمه ويستغيثون به ويفزعون في مهماتهم إليه. معتقدين أن التقرب إليه نافع والانحراف عنه قدر شبر ضار، مع أن النافع والضار هو الله وحده. وإذا ذكر لهم شيخ آخر او دعوا اليه حاصوا حيصة حمر الوحش من غير تبصر في أحواله : هل يستحق ذلك التعظيم أم لا، فصار الأمر عصبياً، وصارت الأمة بذلك طرائق قدد. ففي كل بلد أو قرية عدة طوائف. وهذا لم يكن معروفاً في سلف الأمة الذين هم القدوة لمن بعدها.

« وغرض الشارع إنما هو في الاجتماع وتمام الألفة واتحاد الوجهة، وقد قال الله تعالى لأهل الكتاب : « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » — الآية. وقد ذم قوماً فرقوا دينهم وكانوا شيعاً. وإنما الشأن في أهل الخصوصية والدين أن يكونوا عند العاقل المحتاط لدينه كأسنان المشط، بحيث يحبهم لله وفي الله ويستشفع بهم إلى الله. ويسأله تعالى أن يكرمه بما أكرمهم به من الخير والهدى والدين، وليحبهم حب التشرع لا حب التشيع،

ويتأدب معهم ولا يقدم على مفاضلتهم بالهوى والرجم بالغيب . فإن ذلك متوقف على الاطلاع على منزلتهم عند الله وذلك محجوب عنا .

« واذا نزلت به حاجة فليفزع في قضائها إلى مولاه الذي خلقه ورزقه ، مستشفعاً إليه بنبيه الذي هداه للإيمان على يده ، ثم بخواص الأمة الذين هم آباؤنا في الدين . فإن المطلوب من العبد أن يصرف وجهته وقصده في جميع أموره ويتعلق فيها بالله ، بحيث لا يطلبها إلا منه ، ولا يعتمد فيها إلا عليه ، قاطعاً النظر عن كل ما سواه ، اللهم إلا على سبيل التوسل والاستشفاع كما قلنا .

« هذا هو التوحيد الذي بعث الله به محمداً ﷺ ، واليه دعا وعليه قاتل ، وسواه شرك ومنابذة لما جاء به . إن هذا لهو القصص الحق ، وما من إله إلا الله ـ الآية .

« ثم استرسل هؤلاء في ضلالهم حتى صارت كل طائفة تجتمع في أوقات معلومة في مكان مخصوص أو غيره على بدعتهم التي يسمونها الحضرة . فما شئت من طست وطار وطبل ومزمار وغناء ورقص وخبط بالرجل وفحص . وربما أضافوا إلى ذلك ناراً وغيرها يشعلونها على سبيل الكرامة بزعمهم ، ويستغرقون في ذلك الزمن الطويل حتى يمضي الوقت والوقتان من أوقات الصلاة وداعي الفلاح ينادي على رؤوسهم وهم في حيرتهم يعمهون ، لا يرفعون به رأساً ولا يرون بما هم فيه من الضلال بأساً . ويعتقدون أن ما هم عليه من أفضل القرب إلى الله ؛ تعالى الله عن جهالتهم علواً كبيراً . ولا تجد في هذه المجامع الشيطانية غالباً إلا من بلغ الغاية في الجفاء والجهل ، ممن لا يحسن الفاتحة فضلاً عن غيرها ، مع ترك الصلاة طول عمره أو من في معناه .

« فما أحوج هؤلاء إلى محتسب بغيّر عليهم ما هم فيه من المنكر العظيم واللبس المقيم .

« وأعظم من هذا كله أنهم يفعلون تلك الحضرة في المساجد ؛ فإنهم يتخذون الزاوية باسم الشيخ ويجعلونها مسجداً للصلاة بالمحراب والمنار وغير ذلك ، ثم يعمرونها بهذه البدعة الشنيعة . فكم رأينا من عود ورباب ومزمار على أفحش الهيئات في محاريب الصلوات . ومن بدعهم الشنيعة ، محاكاتهم أضرحة الشيوخ لبيت الله الحرام من جعل الكسوة لها وتحديد الحرم على مسافة معلومة ، بحيث يكون من دخل تلك البقعة من أهل الجرائم آمناً ، وسوق الذبائح إليها على هيئة الهدايا ، واتخاذ الموسم كل عام . وهذا وامثاله لم يشرع إلا في حق الكعبة . ثم يقع في ذلك الموسم ولا سيما مواسم البادية من المناكر والمفاسد العظـام واختلاط الرجال بالنساء باديات متبرجات شأن أهل الإباحة وشأن قوم نوح في جاهليتهم ما تصم عنه الآذان ولا منكر ولا مغير للدين لا بل للحسب . فإنا لله وإنا اليه راجعون ، على غفلة الدين وغفلة أهله عنه ، ويالله وللمسلمين لهؤلاء الهمج الرعاع الذين سلبوا المروءة والحياء والغيرة والعقل والدين والإنسانية ، فليسوا في فطنة الشياطين ولا في سلامة صدور البهائم ولا في نخوة السباع فيغضبوا لدينهم ومروءتهم .

« ومن جهالتهم الفظيعة جمعهم بين اسم الله تعالى واسم الولي في مقامات التعظيم ، كالقسم والاستعظام وغيرهما. فإذا أقسموا قالوا: وحق الله وحق سيدي فلان . وإذا عزموا على أحد قالوا : دخلت عليك بالله وبسيدي فلان . وإذا عزموا على أحد قالوا : من يعطينا على الله وعلى سيدي فلان فيعطفون اسم العبد على اسم مولاه بالواو المقتضية التشريك والتسوية التامة في مقام قد حظر الشارع أن يتجاوزوا فيه اسم الله إلى غيره ؛ وهـذا هو صريح الشرك .

« ومن اختراعاتهم تسميتهم لبدعتهم بالحضرة ، كما قلنا ، أخذاً من اسم حضرة الله تعالى في اصطلاح الأئمة العارفين من الصوفية ، كأهـل رسالة القشيري ومن في معناهم . فأوهم هؤلاء بهذه التسمية أنهم يكونون في حالة انشغالهم بتلك البدعـــة في حضرة الله تعالى . ثم يذهبون فيسمون جنونهم وتخبطهم على تلك الطبول والمزامير بالحال ، أخذاً من الحال التي تعتري السالك إلى الله تعالى في حال ترقيه في درجات المعرفة والوصول . وهذا لعمر الله من أقبح الضلالات وأشنع الجهالات ؛ إلى غير هذا ، مما أغنى فيه العيان عن الخبر ، وعرفـــه الخاص والعام في حالتي الورد والصدر .

« ولسنا ننكر على أولياء الله وأهل الخصوصية منهم ، أو عـلى من يسلك سبيلهم على الوجه المقرر في كتب الأئمة المقتدى بهم منهم ، وإنما نشرح حال هؤلاء الجهلة الذين لم يأتوا الأمر من بابه ، ولا أخذوه عـن أربابه ، وإنما حالهم ما رأيت وما علمت ، وهذه نفثة مصدور ، صاحبها عند المنصف معذور . فنسأل الله العظيم المولى الكريم ، أن يحرك همة من له القدرة والتصرف إلى حسم هذه الضلالة وقطعها ، عسى أن يرحمنا ربنا ويجبر كسرنا ويكبت عدونا إذا نحن راجعنا ديننا وسنة نبينا « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من نوال » .

– انتهى .. وانتهى كلام مختصر البرموني .

قلت : ولقد صدق الشيخ الناصر في قوله إنها نفثة مصدور ، ولكنها كانت نفثة كبرى بالغ فيها إلى حد بعيد ، حيث سماهم مشركين ، وكررها عدة مرات ، وأعتقد أنهم لا يصلون إلى هذه المرتبة الخطيرة بمثل تصرفاتهم هذه ، لأن عقيدتهم سليمة مهما بدا منهم ما يخالف الشرع . وعلى العموم ، فهذه المصائب قد عمت بها البلوى في أغلب البـــلاد الإسلامية ، وها أنا

أسوق إليك بصورة مختصرة ما يجري في بلادنا ليبيا في هـــذا الوقت ، وهو عـام سبعة وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية ، بالنسبة لطوائف المتصوفة واحوالهم في الاذكار وحلقات السماع ، لتكون على علم أكثر تفصيلاً مما اشرت إليه سابقاً من ان أغلب ما في هذه المقالة ينطبق على أهل بلادنا اليوم ، فنقول وبالله التوفيق :

تنقسم جماعـات المتصوفة عندنا إلى طوائف : فمنهم طائفة تجتمع في بعض الليالي الأسبوعية في بيت أو زاوية خاصة بهـم ، ويذكرون الله تعالى بأنواع الأذكار التي اصطلح عليها شيوخهم : ويسمونه بالحزب أو الوظيفة أو الذكر أو غـــير ذلك ، ولا يضيفون اليه شيئاً من الآلات والمنكرات التي عرفت عند غيرهم . ولا شك أن تصرف هؤلاء مطلوب وفيه الأجر الكثير والثواب الجزيل كما عرفنا سابقاً .

وطائفة تفعل مثلما سبق أولاً ، ثم تضيف إليه بعض الآلات الخفيفة ، كالطار والطبلة والمزمار ، ويكون بنفس محـل الاذكار السابقة . وطائفة تتوسع في ذلك وتجعل السماع أو الحضرة بالآلات هي المقصودة لذاتها . فتارة يذكرون قبلها وتارة يقصدونها أولاً وقبل كل شيء ولا يقتصرون في إقامتها على محل أذكارهم ، وهي الزاوية ، بل يجيبون من دعاهم – وما اكثر من يدعوهم في مناسبات شتى : كأن يولد له مولود أو يسكن بيتاً جديداً أو يدخل بامرأة ، أو غير ذلك من المناسبات – . وهنا تضاف إليها ألوان من المفاسد ، فتقام الحضرة عادة أمـام البيت أو في ساحته الداخلية ، وتارة تختلط الرجال بالنساء ، وفي الأكثر ينظر النساء من أعلى البيت أو جهة مقابلة لجهة تجمع الرجال . كما يضاف إليها مفاسد أخرى بالإضافة إلى ضرب المزمار ، وما يسمى عندنا (بالغيظة) يضاف إليها ما يسمى بالجديب ، وهو لون من الرقص إلا أنه يعتمد على تحريك الرأس والأكتاف يميناً وشمالاً بكيفية مخصوصة . ويصاحب ذلك صراخ وخبط

وتصفيق ، وغير ذلك من الأمور والخزعبلات التي لا داعي إليها في الحقيقة .

ويضاف إليها في بعض الأحيان أن يدخل وسط الحلقة بعض المتفرجين ويضطجعون على وجوههم قصد التبرك بأن يدوسهم هؤلاء ـ ويأتيهم بعض اولئك المجانين وليسوا بالمجاذيب ، ويشرع في جسمهم بيديه والمشي عليهم برجليه على اكتافهم مرة وعلى ظهورهم مرة وعلى إليتيهم وعجائزهم مرة أخرى ، وهم خليط من الغلمان والرجال ، ولا يخفى ما في ذلك . وفي بعض الأحيان يزيدون الطين بلة ، فيدخل بعض هؤلاء المجاذيب للساحة أو الحجرة المقابلة التي تكتظ عادة بالنساء المتفرجات ، الحافلات المطيبات ، وهن يزغردن وينادين : إليّ يا سيدي الشيخ . أنا أنا يا سيدي الشيخ ، نريد (وليد) نريد كذا نريد كذا . . فيشرع هذا الشيطان يجس هذه ويجس هذه . . في حالة منكرة يندى لها جبين الإنسانية ، ولا حول ولا قوة الا بالله . .

وبعضهم إذا قلت الأمطار في بعض السنوات يخرجون لزيارة بعض الأولياء أو القبائل يتنقلون من بلد إلى بلد ومن قرية الى أخرى ، ويكلفون الناس تكاليف شاقة ويعتقدون ان ذلك يجلب المطر ويكون سبباً لرضا الرب عليهم ، وياليتهم أرضوا ربهم بعدم هذه المشاق والأتعاب والتكاليف . وبعضهم عندما يشتد ضرب الآلات وإنشاد الاشعار والقصائد وترتفع الاصوات ، يدّعي أنه اصابته حالة غير طبيعية ، وتبدو عليه علامات يعرفونها هم ، فيصعد على أثرها إلى نخلة ويفرع جريدها وشوكها في حالة عجيبة ؛ ويقولون إن ذلك كرامة ! وبعضهم يضرب السكاكين في بطنه أو رقبته ، وبعضهم يضرب رأسه بالقدوم وبعضهم يأكل السم وبعضهم يبلع المسامير وبعضهم يلعق المناجل المحمية .

إلى غير ذلك من الخزعبلات التي يدعون أنها كرامات لهم ، ويبررون ذلك بأن هذا يجوز إذا أريد اختبارهم ، وأن الشيخ جعل لذلك أوراداً

خاصة . ومنهم طوائف يخرجون يوم مولد الرسول الأعظم أو بعـده في شهر ربيع الأول من كل سنة ويمرون بأغلب شوارع المدينة في هيئة غريبة تتكون من مجموعة من الشباب غالباً ، يضربون الطبـلات الصغيرة المسماة (بالباز) وآلة نحاسية معها لترتيب النغمات التي يتغنون بها ؛ وهذه تكون في المقدمة ، ثم مجموعة أخرى تليهم وهم الذين ينشدون الأشعار ويرددون الكلمات بنغمات خاصة ؛ ثم تليهم مجموعة ثالثة ، وهم الذين يضربون الدفوف المتنوعة والزمارة أو الغيطة وفوق رؤوسهم خيمة كبيرة تشير إلى زاويتهم حيث كتبت عليها عبارات خاصة . ثم يحيط بهم ويتبعهم المئات والآلاف من الجماهير في بعض الأحيان من المتفرجين والمتفرجات .

ومما لا شك فيه أن هذا من لوازمه اختلاط الرجال والنساء وازدحامهم والتصاقهم لا سيما في الشوارع الضيقة . ويضيفون إلى هذه المساوىء مصيبة أخرى : هي انهم تخرج إليهم النساء من كل الشرفات التي يمرون مـن تحتها ، ويرششن عليهم ماء الزهر ويزغردن ويفرحن بهم غاية الفرح . وهم يديرون أعينهم يمين شمال ، فوق تحت ، للنظر إلى تلك النسوة هنا وهناك ، وكثيراً ما يبتدئون هذه الجولة صباحاً فينتهون منها بين المغرب والعشاء ، وتمضي أوقات الصلاة ولا من يشعر بها أو يلتفت إليها وهم هائمون في ذلك لا يستطيع أحد أن يصدهم عنها مهما قال . ومهما وعظ أو نصح ، فإنهم يقولون : هذه عوائدنا ، لا بد أن نفعلها مهما كانت الظروف .

ومما يؤسف له ان الاستعمار الايطالي البغيض ، الذي ابتليت به بلادنا مدة طويلة ، كان يشجع هذا اللون من اللهو واللعب ، ويمد الشيوخ والإخوان بشيء من المال ليشتروا به بعض الملابس والآلات ، لأنه عرف ان هـذا يبعدهم عن دينهم وعن العمل من أجل وطنهم ومستقبلهم ، فشغلهم به عن أي اجتماع آخر فيه نفع ديني أو دنيوي . ولكن الأمر بعد الاستقلال وتحرير البلاد تغير نوعاً ما وخفت آثار هذه الألوان لانصراف الشباب

مع الأسف إلى ما هو أسوأ وأقبح ؛ انصرفوا إلى الأفلام والمسارح والملاعب والملاهي على اختلاف أنواعها . ولكن كل أحد من الناس يعلم أن هذا الذي انصرفوا اليه ليس من الدين في شيء ، بل هو مخالف له في كثير من الأحيان ، بخلاف ما كانوا يعتقدون في تلك الحضرات أنها من صميم الدين والعبادة لله تعالى .

والذي يحز في النفس هو سكوت كثير من العلماء على هذه الأمور ، بل بعضهم يشاركهم ويحبذ لهم هذه الأعمال ترضية للعامة أو خوفاً منهم أو طمعاً فيهم . أما الذي يتصدى للإنكار عليهم ومحاولة إرجاعهم إلى جادة الصواب فويل له من ألسنتهم البذيئة وإشاعاتهم المغرضة وأيديهم الفاتكة في بعض الأحيان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وانا لله وانا اليه راجعون .

المبحث السادس
في الكرامات وخوارق العادات
التي ظهرت على يدي الشيخ، رضي الله عنه

الفصل الأول : في تعريف الكرامة .

من المقرر المعروف أن الأمر الذي يكون خارقاً للعادة ويأتي على خلاف ما عهد بين الناس وقوعه ينقسم إلى ستة أقسام ، كما أشار له بعضهم بقوله :

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة ... بمعجزة إن من نبي لنا ظهر
وإن جاء منه قبل وصف نبوءة ... فالارهاص سمه تتبع القوم في الأثر
وإن جاء يوماً من وليٍ فإنه ... كرامة في التحقيق عند ذوي النظر
وإن كان من بعض العوام صدوره ... بكونه حقاً بالمعونة واشتهر
ومن فاسق إن كان وفق مراده ... يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
وإلا فيدعى بالإهانة عندهم ... وقد تمت الأقسام عند الذي اختبر

فالكرامة إذن هي ما يظهر على يد الأولياء والصالحين من خوارق العادات مما لا تجري به عادة الناس ومتعارفهم في حياتهم . قال الشيخ صاحب مختصر البرموني ما نصه :

قال العلامة سعد الدين رحمه الله في شرح العقائد النسفية : كرامة الولي ظهور أمر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوءة. فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً ، وما يكون مقروناً بدعوى النبوءة يكون معجزة .

الفصل الثاني : في الدليل على ثبوت الكرامة ووقوعها .

وقال المصدر السابق ، نقلاً عن الإمام سعد الدين : والدليل على حقية الكرامة ما تواتر عن كثير من الصحابة ومن بعدهم بحيث لايمكن إنكاره ، خصوصاً الأمر المشترك وهي مطلق خارق للعادة ، وإن كانت التفاصيل آحاداً . وأيضاً الكتاب ناطق بظهورها من مريم ومن صاحب سليمان عليه السلام : يزيد الشيخ السعد الإشارة إلى قوله تعالى في شأن مريم « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ، قال يا مريم أنّى لك هذا . قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .. وقوله تعالى في شأن صاحب سليمان : « وقال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي » .. ثم قال : وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز :

وأثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها انبذن كلامه

هذا وقد تظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولي ، من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة كإتيان صاحب سليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف مع بعد المسافة . وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة إليها ، كما في حق مريم . فإنه قال تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » ـ الآية . والمشي على الماء ، كما نقل عن كثير من الأولياء ، وفي الهواء كما نقل عن جعفر بن ابي طالب

ولقمان السرقسي وغيرهما . وكلام الجماد والعجماء واندفاع المتوجه من البلاء وكفاية المهم من الأعداء . أما كلام الجماد فكما روي أنه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما قصعة فسبحت ، وسمعا تسبيحها . وأما كلام العجماء فكتكليم الكلب لأصحاب الكهف . وكما روي أن النبي ﷺ قال : « بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها إذ التفتت البقرة إليه وقالت : انا لم أخلق لهذا ؛ إنما خلقت للحرث . فقال الناس : سبحان الله ، بقرة تتكلم ! فقال النبي ﷺ : آمنت بها » . قلت : وهـذا الحديث رواه الإمام البخاري ، كما في الهامش على مختصر البرموني .

ثم قال : وغير ذلك من الأشياء ، مثل رؤية عمر رضي الله عنه وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند . حتى أنه قال لأمير جيشه : يا سارية ، الجبل ! تحذيراً له من وراء الجبل لمكر العدو هناك وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة . وكشرب خالد رضي الله عنه السم من غير تضرر به ، وكجريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه . وأمثال هذا أكثر من أن تحصى . ويكون ظهور خوارق العادات من الأولياء أو الولي الذي هو آحاد الأمة معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من امته :

والكرامات منهمو معجزات نالهـا من نوالك الأولياء

لأنه يظهر بتلك الكرامة أنه ولي . ولن يكون ولياً إلا أن يكون محقاً في ديانته ، وديانته ، الإقرار باللسان والتصديق بالقلب برسالة رسوله مع الطاعة في أوامره ونواهيه ، حتى لو ادعى هذا الولي الاستقلال لنفسه وعدم المتابعة لم يكن ولياً ولم يظهر ذلك على يده .

انتهى كلام السعد – وانتهى كلام صاحب مختصر البرموني .

قلت : وبعد أن ثبت لديك أن الكرامة جائزة وواقعة وواردة عن

الكثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، ودلائلها واضحة من الكتاب والسنة ، والعقول السليمة تؤيدها وتقبلها ، لأن ذلك كله من تصرفات الإله القوي القادر ، الذي يفعل في ملكه ما يشاء ولا يعجزه شيء سبحانه .. بعد هذا لا تستغرب ما أنقله إليك من القصص والوقائع العجيبة التي كانت على يدي مولانا الشيخ عبد السلام الأسمر ، وما تلك الأمور الخارقة للعادة إلا من جنس ما ثبت بالقرآن والحديث ووقائع السابقين ، ومقامه – رضي الله عنه - ومرتبته التي وصل إليها لا يستبعد معها أن يكرمه الله بمثل هذه الكرامات والأمور العجيبة ؛ فاعتقد ولا تنتقد ، وسلم يا أخي هذه الأمور لأهلها ، وقل معي : إن الله يكرم من يشاء بما يشاء وكيف يشاء ، سبحانه وتعالى .

الفصل الثالث : في بيان بعض كراماته رضي الله عنه .

لمولانا عبد السلام الأسمر كرامات كثيرة لا يمكن أن يستوعبها هذا التقييد . ولنقتصر على نقل بعضها ، وهو ما ذكره هو نفسه في كتاب « الأنوار السنية » وما ذكره صاحب مختصر البرموني وصاحب النور النائر وصاحب فتح العليم فنقول وبالله التوفيق :

فمما أكرمه الله به من خوارق العادات ما ذكره الشيخ سالم السنهوري في كتابه « النور النائر » قال : ولما أقبل علينا في طلعته للحج بعد الرجوع وصحبتنا إياه قفلنا معه الى بلده طرابلس ، وقد احتبس عن أهل طرابلس المطر فخرجوا بنية الاستسقاء مراراً فلم ير أثر الإجابة ، حتى أتينا المصلى بطرابلس وخرج الصبيان من المكاتب واستسقينا فلم نر أثراً للإجابة . فاجتمع على الشيخ أهل طرابلس وطلبوا منه المطر . فتوضأ ثم صلى ركعتين وقال : إلهي وسيدي ومولاي ؛ أغث عبادك ! فإني اقسمت عليك

بحبك لي ، يا كريم ، أن تسقي خلقك من خزائن رحمتك التي لا تنفد . فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كأفواه القرب . ولم نخرج من المصلى إلا ونحن نخوض في الماء . ثم قال : توبوا أيها الناس ، فإن المعصية تزيل النعمة وترفع عنكم المطر ... الى آخره .

وقال صاحب فتح العليم ما نصه : ومن ذلك ما سمعته من ثقات متعددين وذكروا أنه خارق اشتهر عن الشيخ رضي الله عنه . وذلك أنه بعد مفارقته للشيخ سيدي عبد الواحد الدوكالي ـ على ما مر ـ جاء لوالدته في بلد الفواتير ، وهي مغربية من بلد درعا على ما سمعت ، فمكث معها في خص من جريد يعبد ربه خامل الذكر . فلما أن أراد الله إظهاره ونفع من أراد نفعه به وضر من أراد ضره له ، جاء ثلاثة أركاب من المغرب الأقصى وفيها ثلاثة مشايخ من أكابر الأولياء ، فاستهدى الشيخ إليهم بنور بصيرته ، وجاءهم مغتنماً بعض شيء من خدمتهم على عادته من المسارعة الى خدمة أحباب الله وأوليائه ، فقدّر أن سبقوا الركب وحدهم والشيخ في أطماره يمشي وراءهم لعله أن ينال شيئاً من خدمتهم . ونزلوا في كدية فبادر الشيخ لمسك أعنة خيولهم . فلما انفردوا في ظنهم ، وأخفى الله عنهم الشعور بالشيخ قال بعضهم لبعض : لا نفارق هذا الموضع حتى يظهر كل واحد منا خارقاً . فمد كل واحد منهم يده وأتى بفاكهة غريبة في وقتها ومحلها . ثم لما أرادوا الركوب إذا بالرجل ماسك خيولهم بإزائهم فتحققوا أنه شاهد ما صدر منهم .

فقالوا له : ما أطلعك الله علينا إلا ومعك شيء من اسراره ؛ وألزموه ألا يفارق موضعه حتى يظهر خارقاً مثلهم . فامتنع وجعل يحقر نفسه ويظهر غاية التبري . يقول : انا خديم ضعيف .. من أين لي بهذا ؟ وهم لا يزدادون فيه إلا حرصاً .

فلمـــا أن أكثروا قال لهم : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ غمضوا أعينكم ! فلما أغمضوها فإذا هم في وسط بحر عظيم متلاطم الأمواج ، وقد جاءهم الموج فيه من كل مكان ، وهم على كدية تراب صغيرة كل موجة تسقط منها شطراً حتى لم يبق إلا ما هم عليه . فتشبثوا بالشيخ يضجون له ، ويسألونه برسول الله ﷺ أن ينقذهم مما هم فيه من هول ذلك البحر . فلما أن عاينوا الهلاك وظنوا انهم أحيط بهم ، قال لهم : غمضوا أعينكم ! فغمضوها ، فإذا هم عند خيولهم في الموضع الذي كانوا فيه . فلما أن شاهدوا منه ما هالهم ، وعلموا أنه البحر الذي لا يبارى ، والسابق الذي لا يجارى ، ردوا أركابهم على أواخرها وقالوا : لا بد من الإقامه عند هذا السيد ، ولا ينبغي لرجل أن يحج قبل أن يزوره في موضعه . فلم يشعر أهل البلاد إلا والأركاب الثلاثة قد رجعت ، فيسألون عن سبب رجوعهـــا ، فقيل إنها رجعت مع عبد السلام بن سليم . فاستهزأوا منه لاحتقارهم إياه .

فأقامت الأركاب عند الشيخ قرب خص والدته ، ثلاثة أيام وليس عنـــد الشيخ رضي الله عنه إلا شيء قليل من الدقيق في رقعة ، وشيء كذلك من الشعير في رونية ، وشيء من الزيت في كوز . فأطعمهم من ذلك الدقيق وذلك الزيت وأطعم دوابهم من ذلك الشعير ثلاثة أيام ، ولم يترك أحداً من أهل البلد يعينه إلا بصنعة الطعام . فجمع الفيتوريات ويخرج من ذلك الدقيق القدر الكافي ، فإذا صنع صب عليه من ذلك الزيت وأخرجه لهم . وبقي هكذا يطعم جميع أهل الركب ويجدون لذه زائدة ببركته مدة ثلاثة أيام ، رضي الله عنه . فمن هذه الواقعة ظهر أمره وشاع ذكره ، ولم يزل والحمد لله في ازدياد حتى عم جميع البوادي والبلاد ، وكثر حينئذ حاسدوه ، إذ كل ذي نعمة محسود الخ ..

ثم قال في موضع آخر : من ذلك أنه كان – يعني سيدي عبد السلام –

ذات يوم واقفاً مع جماعة ، فبينما هم كذلك إذ مد الشيخ يده نحو المغرب ثم ضمها وكمه أسود . فنظر الفقراء بعضهم إلى بعض متعجبين . ثم سأله واحد منهم بالله عن سبب تغير كمه فقال له : امرأة بالمغرب الأقصى سقط قدر لها عن النار ، فقالت : يا رجال الله ! فرددته لها في موضعه ، فوقع في كمي ما رأيته من الغبار .

ومن ذلك أن فقراء تاورغاء ، وكانوا في زمن الشيخ نحو الخمسمائة أو أزيد ، جاءوا متوجهين لزيارته فأدركهم حر القيلولة ، فقالوا في طرف البلد تحت نخيل صغير فيه فراخ كثيرة . فقلعوا منه بقصد أخذ جماره ما شاءوا ، لأن في قلعه صلاحاً للنخلة ، وقصوا من جريده أسوكة استاكوا بها ، وقدموا على الشيخ وهي في أيديهم . فلما صافحوه كلهم ووقفوا أمامه وهو في فم خلوته قال لهم : ما هذه الأعواد التي بأيديكم ؟ فقالوا : نستاك بها . فقال : أوليس عندكم أسوكة أراك ؟ فقالوا : لا . فدخل الخلوة وأغلق بابها ومكث يسيراً ثم خرج عليهم وبيده حزمة عظيمة من قضبان الأراك الأخضر بورقه ، ورماها بينهم وقال : دونكم ! فجعل الفقراء يزدحمون عليه يتخاطفونه وهو واقف يبتسم . فالله أعلم أنه لم يمكث إلا مقدار قلع الأراك . انتهى .. ولم يبلغني أن الأراك يوجد دون مصر ، وإنما يوجد بأرض الحجاز وما قاربها والله تعالى اعلم — انتهى .

ثم قال صاحب فتح العليم : ومن هذا المعنى — الذي هو طي الأرض — ما تكرر سماعي له ؛ وهو أن والدة الشيخ رمدت ذات مرة فقالت له : يا عبد السلام ، لا أسامحك إلا أن تأتي لي بشيء من ماء زمزم أغسل به عيني لتشفى . فلما صلى العشاء أمر سيدي خليفة الشويشين — وكان صاحب خدمته — أن يسرج الفرس « سعيدة » . فأخذ إبريقاً وركبها وسار معه سيدي خليفة آخذا بركابه ساعة ، ثم قال : اركب ورائي يا خليفة ؛

فركب وسارا هنيهة . قال سيدي خليفة : فما شعرت وإذا بنا بأرض غير أرضنا ، بين جبال شمخ ثم سرنا قليلاً وإذا نحن بباب المسجد الحرام ، فتركنا الفرس خارجه ودخلنا وطفنا البيت ومكثنا ما شاء الله ثم ملأ الشيخ الإبريق من زمزم وركب الفرس وركبت وراءه ساعة ، وإذا بيوزليتين قبل أن ينام الفقراء . وكان سيدي خليفة قد أخذ ملء يده من حصبان تلك البقاع العطرة ، فلما رآه الحجاج عرفوه ؛ وبنفس ما غسلت والدة الشيخ من ذلك الماء المبارك وجهها برئت . انتهى .. عبد السلام العالم .

وقال صاحب مختصر البرموني ما نصه :

قال في « النور النائر » ، بعد أن تعرض لكرامات الشيخ : وللشيخ خوارق كثيرة رأيناها ، فمنها : كان يشير على النار فتخمد وتبرد ، وعلى المطر فيصب ، وعلى الريح فتسكن لوقتها ، وعلى الماء الأجاج فيصير عذباً ، وعلى الرحى فتطحن من غير واسطة ؛ وكان يبرىء الأكمه والأبرص ، ويشبع الكثير بالقليل من الطعام ، وأحيا الله الموتى على يده . قال في الأصل : إن كراماته كثيرة لا تستقصى ، خصوصاً في طرابلس وإفريقية إلى المغرب الأقصى : فكان يشير على الدف فيضرب نفسه بنفسه بدون واسطة ؛ وكانت له سبحتان ، واحدة بيده والأخرى معلقة بوتد ؛ فإذا سبح بالتي في يده تسبح التي في الوتد حبة من غير واسطة ، كما رأيت ذلك مراراً ومنها كلامه في المهد ، وحفظه لأصحابه حيث ما كانوا ، وحضوره في الشدائد ، وانفجار الماء من الحجر ، والإتيان بالأسرى ، ومكالمته الطيور ومحادثتهم واجتماعه بملك الموت ؛ وخضوع طوائف كثيرة من الجن اليه وتعظيمهم إياه ، ورؤيته للنبي ، ﷺ ، مناماً ويقظة وغير ذلك . ثم نقل من أنواع تلك الكرامات ما يقرب من ثمانين كرامة ، منها ما شاهده بنفسه ومنها ما نقله عن بعض الثقات . إلى آخره ..

قلت : ثم قال صاحب مختصر البرموني بعد كلام ما نصه نقلاً عن صاحب الأصل وهو الشيخ البرموني قال : فمن كراماته كان يحدث الصبيان في المكتب ويقول للواحد منهم : لقد أكل أهلك كذا وكذا . ثم يتبين ان ذلك وقع ، ومن كراماته أنه وقعت مني زلة فاستحييت أن أقابل الشيخ وغبت عنه أياماً . فلما فقدني خرج يبحث عني . فبينما أنا بزقاق أمشي وإذا بالشيخ ، فرعت عن طريقه إلى طريق آخر ، فعرضني من قدام وحصرني في مضيق لم أقدر فيه على الفرار منه ، ولما قرب مني قال : يابرموني ، لما عرفتني وعرفتك علمت أنك بشر غير معصوم . فالمراد من العبد إذا أذنب التوبة والاعتراف بالذنب ، ثم حملني معه لخلوته ووعظني بأشياء كثيرة من كلام القوم ، وتاب الله عليّ .

ومنها ما أخبر به سيدي العاقب بن هقيت تلميذ الشيخ الناصر قال : توجهت لزيارة الشيخ من طرابلس ومكثت عنده أياماً . وكنا ذات يوم مقيمين عنده بأرض الفواتير فلم نشعر بالشيخ إلا وهو قائم على حال مخالف لعادته ، وهو يبكي ويقول : العين تدمع والقلب يخشع .. ويحوقل ويسترجع . فقلنا له : ما يبكيك ؟ فقال : أبكي على فراق أخيكم أحمد بن عبد الحميد اليربوعي ، توفي الآن بالزاوية الغربية . فكشف الغيب أنه مات في تلك الساعة ، وبعد إخباره بذلك جعل يقول :

يا عين صب الدمع سياح في الخدود طوفان

وذكر المقطعة بكمالها .

ومن كراماته ما أخبر به سيدي ابراهيم الطرابلسي : أن والده كان مجاوراً للشيخ بمسجد الناقة أيام مكثه به . قال : بينما الوالد كان ذات ليلة في المسجد سحراً والشيخ في خلوته ينادي : يا فلان ، اخرج ؛ فخرج .

فقال له : عظم الله لنا ولك الأجر في أستاذنا الدوكالي . توفي . فظن أن أحداً من الناس أخبره . فلما أصبح الصباح جعل يتجسس على ذلك فلم يجد لذلك خبراً . وبعد ثلاثة أيام جاء الخبر بأنه مات في تلك الساعة .

ومن كراماته ما أخبر به الشيخ محمد السملقي ، قال : جئت للشيخ أواسط شهر مارس ، بقصد الاستسقاء لزرع حصل به العطش ، قال : فندهت به ، ثم أخبرته . فلم يتم كلامه إلا والشيخ أصابه حال عظيم وأنشد يقول :

زرعك يا خليلي الآن يروى بالأمطار
وعلى الله يتقوى وتفوح أسرار الباري

قال : فلم يتم كلامه حتى ظهر السحاب ونزل المطر الذي عم مشارق الأرض ومغاربها . ثم قال : ومن كراماته حضوره في الشدائد . قال في الأصل : ومن كذب فليجرب بأن يتوجه إليه في شدائده بصدق وهمة ، على نحو ما نص عليه في نصائحه : من ابتدائه برفعه إلى الله ، ثم إلى رسول الله ، ﷺ ، ثم للشيخ ولعباد الله الصالحين ؛ فإنه تحصل له من ذلك الكرامات التي يراها مشاهدة .

قال : ومما شاهدته بعيني عند التوسل به ، هو أنني كنت متوجهاً ذات يوم من مصراته ليوزليتن نسوق جملاً وعليه زيت . وكان بالطريق لص قتال ، ولم يكن لي به علم سابقاً فلما توسطت الطريق وإذا به راكباً فرساً يقول لي : حط السلب واترك الجمل لئلا تموت . وحين أيقنت بالهلاك توجهت لناحية الشيخ وناديته على نحو ما نص . وعندما قرب مني وجه إلي البندقة ، فلما أطلقها انفتلت عليه ورجعت رصاصتها عليه فمات وسلمت منه .

ومنها : اني كنت ذاهباً من طرابلس إلى الزاوية الغربية ، وكانت إذ

ذلك أيام أسواق العيد ، وكان لي محرمة بها دنانير أمـــانة فسقطت ولم اتفقدها الا بالزواية . ولما اشتد يأسي توسلت ومضيت على حالي مشرّقاً ، فما اتممت عشر خطوات إلا وأنا بكلام الشيخ من الهواء : يا برموني ، اذهب مشرّقاً مع الطريق أنت فيها ، فإنك تجد دراهمك . فسرت كما أمرني . فلما جاوزت موضع الشيخ سيدي محمد بن قمري بنحو ميلين ، وإذا بطائر قدر النسر أبيض على قارعة الطريق ، فلما قربت منه غاب عني فوجدتها بمكانه ، فأخذتهـا ورجعت . ولله أن يكرم بعض عباده بما يشاء من كراماته . فسكت ولم يزد على ذلك . .

فانظر كيف يبلغ الإنكار بصاحبه ، وقد يكون من أهل العلم والمعرفة ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . . اللهـــم ارزقنا الاعتقاد الصحيح في أهل الله ، وانفعنا بهم يارب العالمين . .

ثم قال صاحب المختصر : قال في الأصل : ومن كراماته ما حدثني به الشيخ محمد بن علي اليوزليتني ، وكان من أعظم أصحاب الشيخ ، وله تأليف في مناقبه ، قال : كان للشيخ سبحة موضوعة في محل من داره . ولما وقع بصري عليها قلت في نفسي : نأخذها حتى نجد غيرها . فلما دنوت منها لذلك القصد وجدتها تمثلت افعى لها أزيز ؛ فخفت منها وفررت إلى الشيخ وأخبرته بمـــا وقع . فتبسم وقال : ارجع فخذها ! فرجعت فأخذتها من موضعها . انتهى . .

قال : وفي الاصل : ومن كراماته رؤيته النبي ، ﷺ ، واجتماعه به في النوم واليقظة ، حتى قال رحمه الله تعالى : منذ بلغت درجة القطبانية وأنا أرى رسول الله ، ﷺ ، في النوم واليقظـة كل يوم وليلة . وله في ذلك أشعار عديدة تحدثاً بالنعمة . قال : وكنت إذا اجتمعت برسول الله ، ﷺ ،

في نوم أو يقظـــة فأكثر ما يخاطبني به : يا ولدي ؛ حتى قال لي ذات يوم : أنت ولدي حقيقة . انتهى ما نقلته من مختصر البرموني .

قلت : ومن كراماته ما قصه عن نفسه بنفسه في كتابه الذي أسماه « الأنوار السنية » . قال رضي الله عنه : وقد أردت أن أتحدث بالنعم التي أنعم الله بها عليّ فأقول : لما أخذت ميراثي من رسول الله ﷺ ، مكنت من العلوم اللدنية ومن معرفة الأسماء ؛ فلو ان الجن والإنس يكتبون عني إلى يوم القيامة لكلوا وملوا . وإني قد أظهرني الله على جميع الكائنات وعلى الرمال واسم كل ذرة والنبات وأسمائه وأعماره والحيوانات وأعمارها وأنسابها أي أصولها من السمك والوحوش والطير والحشرات وسائر الدواب . وقد انكشف لي ملكوت السماوات والأرض والجنة والنار ، ومـا فيهن ظاهراً وباطناً ؛ وأنزل الله بدعائي المطر واحياء الموتى باذن الله ، وأجرى على يدي جميع ما أكرم به عباده الصالحين . وإني لو حضرت الحلاّج الذي هو الحسين بن منصور حين عثر لأخذت بيده وأنقذته مما هو فيه . لأن اهل زمانه ظلموه ولم يخافوا الله فيه . والله لو حضرته نعرف كيف نأخذ بيده ؛ وأنا لكل من عثر به جواده من أصحابي وفقرائي . انتهى .

وقال بعد كلام ما نصه : ومما أنعم الله به عليّ لما حدث لي الوارد ، وهو الحال القوي الذي لم أجـد منه راحة حتى لم يكفني فيه ذكري وذكر غيري ، قيل : يا عابد السلام ، لا تجزع مما نزل بك من الوارد القوي ، فادعني أستجب لك . فقلت : يا رب ! رضيت بمـا نزل بي منك . ودعوته بدعاء يطول ذكره وقلت فيه : أغثني بدواء واردي ؛ واذا بالنـداء من الهواء : يا عابد السلام ، خذ دواء واردك الرباني . فشيعت بصري إلى السماء ، وأنا أقول : سبحان الملك القدوس وكرّرتها ، واذا بدف عظيم هابط عليّ من السماء مرتج من نور ، فتلقيته وجعلت نضربه لنستريـح بسماعه حين

هيجان الحال واحراق الوجد ، فكان في سماعه دواء واردي . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ..

ومما أنعم الله به عليّ في الصغر في ايام قراءتي على عمي أحمد ، لقد تسألني الطلبة عن المسألة لا يكون عندي لها جواب ، فأرى الجواب سطراً أمامي في الحائط أو الحصير أو في الدواة ، هذا في الصغر قبل أن أبلغ الحلم . . الى آخره .

قلت : وقد ذكر الإمام الشيخ البرموني في كتابه من جملة كراماته ما نصه : وحدثني الأخ في الله ،الصالح سيدي محمد بن محمد الصغير التاجوري – كان من أجلّ أصحاب الشيخ – قال : جاء الشيخ الفقيه العالم سيدي محمد بن محمد الحطاب ، من مصر الى تاجوراء بقصد زيارة والده بزاويته المعروفة به ، فسمع بالشيخ الذي هو مولانا عبد السلام رضي الله عنه وأحواله ، فجاء بمسجد الناقة بداخل مدينة طرابس ، فلما اجتمع مع الشيخ ، قال له منكراً عليه : يا عبد السلام ، ذكر لنا أنك تلم الفقراء وتقول معهم بلفظ الجلالة ، فهذا ذكر غير مشكور ، لأنه بدعة لم تنقل عن السلف ، وان الذاكر به لا أجر له . فقال له الشيخ : وعمّن نقلت ذلك ؟ فقـــال : نقلته من جواب للعز بن عبد السلام . فقال : يا محمد بن محمد ، دعني في حالي ، فهذه ساعة فيها ذكر ربي . فلما سمع من الشيخ ذلك تحركت نفسه وامتلأ غيظاً وغضباً ، وأظهر الصولة وقال : ما هذا جواب وما هذه طريقة الصالحين . فقال له الشيخ : انته عمـا أنت تقول ، وإلا أطيرك بعلمك المحطب الذي أفنيت عمرك في تحطيبه ، ولم تدرك له حقيقة . ودفعه دفعة فلم يشعر بنفسه إلا وهو في جزيرة واسعة لم يعلم لها طولاً ولا عرضاً ؛ فأقبل يلوم نفسه ويعاتبها وهو ذاهل العقل غائب عن الصواب ويقول : مالي ومعارضة أولياء الله . . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وصار يبكي ويستغيث ويبتهل إلى الله تعالى ؛ فبينما هو كذلك إذ حضر له رجل ذو هيبة ووقار ، فسلم

عليه فرد عليه السلام . وقام وجعل يقبل رجليه ، فقال له : ما قضيتك ؟ فأخبره بما وقع له مع مولانا عبد السلام .

فقال له : لقد وقعت في أمر عظيم وخطر جسيم . أتدري كم بينك وبين بلادك طرابلس الغرب ؟ فقال : لا ، والله . فقال : مسيرة سبعين سنة . فازداد همه وغمه وضاق عليه الأمر ولجأ الى الله تعالى في السر والجهر ، بعد الحوقلة والاسترجاع والتوبة والإقلاع . ثم أقبل على الرجل وهو يقول : أرشدني يرحمك الله . فقال له : لا تخف ، سيهون الله عليك فما يكون إلا خيراً ان شاء الله تعالى . قال : وكيف ذلك يا سيدي ، يرحمك الله ؟ قال : فأخذه بيده وأراه قبة عظيمة شديدة البياض على بعد ، وقال له : أتنظر هذه القبة ؟ فقال : نعم . فأمره بالذهاب إليها ، والجلوس بداخلها ، فإنه مسجد يأتيه الشيخ سيدي عبد السلام كل يوم لصلاة الظهر والعصر ، فإذا أراد الصلاة فصلّ معه ذينك الوقتين ، واذا اراد الانصراف فتشبث به وتعلق بأذياله وتعلق بين يديه ، واسأله بالله في العفو ، وقبّل يديه ورجليه ، واكشف رأسه وتذلل وتأدب لله تعالى ، وقل له : أنا استغفر الله وأتوب إليه ، ولا أعود لما صدر مني . فإذا رأى منك ذلك فإنه يقبل عليك ويعيدكم إلى موضعك إن شاء الله تعالى .

قال سيدي محمد الصغير التاجوري المذكور : وكان الذي ذكر له ذلك هو الخضر عليه السلام ، فامتثل سيدي محمد بن محمد الحطاب ما أمره به ، ومشى الى ناحية القبة وذكر اليها بوضوء وجلس ينتظر قدوم الجماعة ، فما كان إلا يسير وإذا هم قد أقبلوا من كل جانب .

ثم أقيمت الصلاة فتقدم سيدي عبد السلام رضي الله عنه ونفعنا به آمين . قال : وصلى بهم . فلما انقضت الصلاة تعلق سيدي محمد بن محمد الحطاب بأذيال سيدي عبد السلام وكشف رأسه وجعل يقبل يديه

ورجليه ، ويبكي ويستغفر الله ويعتذر من جنايته وأنصف من نفسه . قال : فأقبل عليه الشيخ الذي هو مولانا عبد السلام ، قدس الله سره آمين ، وقال له : أترجع مما كنت فيه ولا تعود إلى مثل ما كان منك من الإنكار على المنتسبين لله ؟ فقال : نعم ؛ السمع والطاعة يا سيدي . فقال له الشيخ : فما سلف عفونا فيه . ثم أمره أن يغمض عينيه ؛ فلما غمضهما دفعه الشيخ دفعة لطيفة وقال : اذهب إلى بلدك تاجوراء ، فإن عيالك في انتظارك . قال : فلم يشعر سيدي محمد بن محمد الحطاب بنفسه إلا وهو واقف بباب زاوية أبيه . فأقام في بيته مدة لم يخرج منه ولم يظهر لأحد لما جرى له من المشقة في هذه الواقعة بينه وبين مولانا عبد السلام قدس الله سره آمين . وأخذ عنه التلقين وخدمه مدة وقصد الحج لبيت الله الحرام ، وهاجر بها أي بمكة ، ولم يزل بها إلى أن مات ودفن هناك . إلى آخره ..

انتهى كلام الشيخ البرموني .

قلت : وهذه الكرامة في هذه القصة لا يستسيغها كثير من أبناء القرن العشرين لأن عقولهم الصغيرة وأفكارهم المحدودة لم تصل الى درجة تؤهلها إلى إدراك مثل هذه الغرائب والعجائب . أما الراسخون في العلم ، أما الذين شرح الله صدورهم لفهم اسرار الله في عباده ، أما الذين علموا ان لله القدرة الكاملة يفعل في ملكه ما يشاء ، أما الذين وصلوا بنور الله إلى معرفة مقامات الأولياء ومراتب الصالحين ومنازل أهل الله المقربين ، أما هؤلاء وأولئك ممن أنار الله بصائرهم وفتح أمام عقولهم آفاقاً من النور والحكمة ، فيتقبلون ذلك وأكثر منه بصدر رحب ونفوس مطمئنة وقلوب مؤمنة مصدقة بأن لله في خلقه شئوناً وأن لله خرق العوائد وأنه على كل شيء قدير . اللهم ارزقنا الإيمان الكامل .. ونوّر بصائرنا بنور العلم والحق واليقين .. وانفعنا بأسرار الله في أوليائه ، واجعلنا من أتباعهم ومريديهم والمنتفعين بهم في الدنيا والآخرة ؛ وباعد بيننا وبين النقد النفساني

والاعتراض والإنكار الفاسد الناشىء عن اتبـــاع الهوى وحب الظهور والرياء والسمعة واجعل جميع اعمالنا خالصة لوجهك الكريم ، برحمتك يا رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه إلى يوم الدين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المبحث السابع

في الكلام على بعض قصائده ومقطعاته ، وذكر نبذ منها

يمكن للدارس لشخصية مولانا عبد السلام الأسمر ، رضي الله عنه ، أن يتبين مكانته اللغوية ومقدرته البيانية والعلمية بصفة عامة مما يقرأه له من نصائح وتوجيهات ووصايا وإرشادات ، وما كتبه من تأليف وما نقل عنه من عبارات وجمل ، تدل بوضوح على أنه يحتل مكانة مرموقة في كل الفنون العلمية والعربية ، ومن بين تلك الفنون والعلوم فن الشعر وعلم الأوزان العربية المصطلح عليها .

ولا شك أن ما وجد ، من بعض قصائده يمثل بصورة واضحة مكانته الشعرية . ونظراً لأن الشيخ رحمه الله يخاطب مختلف طبقات الناس ، الذين منهم من يستطيع أن يفهم المقصود من الشعر العربي الموزون المقفى ومنهم من لا يقوى على فهم ذلك ، نراه يتنوع في أشعاره وتغلب عليه حالة عدم التقيد بالأوزان المشهورة في الشعر العربي ، لأن الأغلبية الساحقة من الناس يفهمون من الأوزان التي لا تخضع لقانون خاص ، والتي يجري عليها الزجالون والمنشدون أكثر وأكثر . ومن هنا أكثر الشيخ رضي الله عنه في مقطعاته من سلوكه لهذه الطريقة التي فضلها على الأولى ، لا لعجز وضعف لساني وقصور لغوي ولكن لأن الغرض فهم المعاني ، والعمل بما

يسمع من نصائح وتوجيهات ، فجاء أغلب مقطعاته على الأوزان التي لا تخضع لما عرف في العروض والقوافي المصطلح عليها بين الناس .

وتستطيع أن تتبين ما قلته لك بوضوح من النبذ التي ننقلها إليك من قصائده ومقطعاته ، فتحكم بنفسك على هذه الحقيقة وتكون معي فيما ذهبت إليه من تعليلها . قال الشيخ سالم السنهوري في كتابه « النور النائر » ما نصه : اعلم ، يرحمك الله ، أن هذا الشيخ له نظم شائع على طريق الرجز وغيره ، وموشحات ظريفة سبك فيها أسرار أهل الطريق ، وله عدة نصائح شرعية ووصايا لأصحابه ، وله مقطعات مهيجة لطاعة الله ورسوله ، منها ما هو على موازين العروض العربية المشهورة عند النحاة ومنها ما كان على موازين ابن الفارض وموازين الششتري وموازين الشيخ يوسف الجعراني وغيره من المشايخ . قال الحفيدي في ترجمة كتابه المشهور « بالبحر الكبير ، في جمع مناقب صاحب البندير » بعد كلام كثير : إن للشيخ الذي هو سيدي عبد السلام مقطعات كثيرة لا يحصي عددها إلا الذي خلقه ؛ فإن له على موازين العروض العربية سبعمائة قصيدة ، وعلى لغة العرب المنحرفة اربعمائة مقطعة ، وعلى موازين الحسن الششتري ثمانمائة مقطعة ، وعلى موازين الشيخ يوسف الجعراني خمسمائة قصيدة ، وأما التي على عرف البلد الملحونة فلا يحصيها إلا الله عز وجل ؛ وقد فقد الأكثر من كلامه ومقطعاته في يوم قتل سيدي عمران بعد وفاة الشيخ بمدة نحو الخمسة عشر عاماً أو أكثر — الشك مني — ؛ لأن لما قتله يحيى بن عبد الغني الزرهوني ، الشهير بالشقي ، الذي يزعم أنه الإمام المهدي وقومه الذين هم نحو العشرة آلاف ونهبهم الزاوية وما حولها ، فعلى دعواه الكاذبة قيل له : لا يستقيم لك الحكم على مدينة طرابلس وقراها حتى تقتل عمران ، فقتله ، وأخذ ما بالزاوية وما حولها من الكتب والأموال ، لأن الزاوية وجيرانها كانوا في غاية القوة : ففي ذلك اليوم فقدت مقطعات الشيخ ومناقبه حتى قال الحفيدي : لم يبق من ذلك إلا

ما تحيلنا عليه ، وأنا اذ ذاك بمصر ، قدمت إلى زيارة الوالدين ، فلما سمعت بذلك قدمت إلى طرابلس وزرت من كان بها مشهوراً بالصلاح ، ومكثت بها مدة ووجدت فيها جماعة فضلاء من تلاميذ الشيخ . إلى آخره .. وذكر عدداً منهم .. إلى أن يقول : وقد أخبرني بما وقع من يحيى الزرهوني لا نجحه الله ولا سدد .. انتهى .

قلت : وقد أفادنا الشيخ سالم السنهوري ، رحمه الله ، بنقله السابق ، أن الشيخ الحفيدي من تلاميذ الشيخ الذين عاصروه وكتبوا في سيرته وطريقته ، وعنوان كتابه يشعر بعظمته ، وغرابة تسميته تدل على أنه اودعه الكثير والكثير مما نحن في حاجة إلى معرفته من مناقب الشيخ وأحواله . فالعنوان كما ترى هو «البحر الكبير في جمع مناقب صاحب البندير » ونحن لم نطلع على شيء مما في هذا الكتاب سوى ما ذكره الشيخ سالم هذا ، ولا عرفنا من هو الشيخ الحفيدي ولم نعثر على شيء مما يتعلق به لا في البرموني ولا في مختصره ولا في كتاب « فتح العليم » ؛ ولعلهم لم يذكروه لشهرته أو لعدم وقوفهم عليه والتمكن منه لفقده أو لغير ذلك . والمهم أنه يتبين لنا أن الذين كتبوا في سيرة الشيخ ومناقبه كثيرون ، منهم من عرفنا ومنهم من لم نعرف ، ولعل هؤلاء أكثر بكثير من الأولين ، والله أعلم .

وقال الشيخ سالم السنهوري في موضع آخر من كتابه : وله – يعني سيدي عبد السلام – مقطعات في الوعظ والتذكير والنفر من الدنيا ومدح رسول الله ، ﷺ ، وغير ذلك كالتوسل بالمشايخ والدعاء على من ظلمه وأساء معه الأدب كآل حامد وغيرهم . فمن كلامه رحمه الله تعالى .. إلى آخره ؛ وذكر مقطعة من مقطعاته .

نموذج من قصائده العربية العروضية :

نقل سيدي سالم السنهوري في كتاب « النور النائر » الكثير من قصائده ،

ونقتصر على القطعتين الآتيتين لإعطاء صورة صحيحة على مقدرة الشيخ في هذا الميدان وإن كان يوجد في بعض الأبيـات نقص كلمات تصير البيت لا يستقيم وزنه ، فعله تصحيف من الناسخ والناقل . قال رحمه الله : فمن كلامه رحمه الله :

يا رب صل على محمد وعلى آله الفضلاء وأصحابه الكمل
يقول عبد السلام بن الولي الفاضل أعني سليم ونجـل السادة الفضل
إني محدثكم بما جرى يقظة بعـين رأسي رأيت سيد الرسل
قد حل في خلوتي يمدني مدداً وفي أثناء حضرتي يهتز بالحلل
زين جميـل بهيٌ لا نظير له كأنه البدر أو كالشمس في الحمل
يغار غصن النقى من حسن قامته
ويختفي البدر تحت الغيم من خجل
حلو المراشف يستشفي العليل به فكم شفى برحيق الثغر من علل
الله أكبر ما أحلى شمائله قد زاد حسناً وزيناً غاية الأمل
بدا كبدر الدجى تجـلى محاسنه يا حسنه من مليح بالجمال حلي
انا المتيم في من قد سما وعلا فخراً على سائر الأملاك والرسل
هو النبي الذي ما مثله أحد وهو المبرّأ من نقص ومن زلل
وهو الشفيع غداً من حر نار لظى والناس كلهم منها على وجل
صلى عليه الإله الفرض ما طلعت شمس وما ناح قمريٌ على طلل

ثم قال : وانشد رضي الله عنه :

وقفت بالذل في أبواب عزكمُ مستشفعاً بذنوبي عندكم بكمُ
أعفّر الخدّ ذلاً في التراب عسى أن تقبلوني وترضوا عن عبيدكمُ
فإن رضيتم فيا سعدي ويا شرفي وإن ابيتم فمن أرجوه غيركمُ ؟
لأن أبلغ عيني طيب رايتها إن طالب السمع يوماً غير ذكركمُ

إن متّ في حبكم شوقاً فيا شرفي ... ويا سروري بموتي فيكمُ بكمُ
أنا المقر بذنبي فاصفحوا كرماً ... فبانكساري وذلي قد أتيتكمُ
نسيت كل طريق كنت أعرفها ... إلا طريقاً تؤديني لحبكمُ
لا تطردوني فإني قد عرفت بكم ... وصرت بين الورى أُدعى بعبدكمُ

.. انتهى

وقال صاحب مختصر البرموني ما نصه :

اعلم أن لمولانا عبد السلام مقطعات كثيرة في الوعظ والتذكير والتنفير من الدنيا ومدح رسول الله ﷺ ، والتوسل به وبالأنبياء عليهم الصلاة السلام وبالأولياء ، نفعنا الله بهم ، وغير ذلك ، كالدعاء على من ظلمه. وقد ذكرنا في أثناء الكتاب شيئاً من ذلك وأردنا هنا أن نذكر شيئاً من ذلك تبركاً بكلامه وزيادة للفائدة . وقد قال العلامة شمس الدين اللقاني : لا بأس بكلام الصالحين وينتفع به ولو كان ملحوناً لأن سرهم ممزوج مع كلامهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين . وفي الخبر (إنما الاعمال بالنيات) إلى آخره ..

نموذج من مقطعاته التي لا تخضع للموازين المعروفة :

أحب أن أذكر لك شيئاً من هذه المقطعات التي ذكرها بكمالها صاحب مختصر البرموني . وطلباً للاختصار وتبركاً بآثار الصالحين نقتصر على بيتين او ثلاثة من كل قطعة نشير إليها في هذا التقييد ، والله الموفق . فمن كلامه ، رضي الله عنه ، في مقطعته التي تسمى « بسلسلة الفروع » وهي طويلة جداً ـ نحو الثمانمائة بيت ـ :

يا مهون الاسباب ... العفو يا ربي

عبدك عاصي كذاب   لا تغير قلبي
يا طيب الانفاس   بالدواء داويني

إلى آخره ..

ومن كلامه رضي الله عنه :

اصدع يا دف وتكلم   لسالم السنهوري
جاء بجماعة متحزم   بفتاوى للفيتوري
فقال الدف محرم   على القول المشهورِ

إلى آخره ..

ومن كلامه رضي الله عنه :

حماد سألتك بالرحمن وآل عمران   بالله ما تدير تغتر
باري نفسك والشيطان رآه خوان   من يتبعه ما ينال الخير
خليتني بايت سهران دمعي غدران   من مقلتي محدر تحدير

إلى آخره ..

ومن كلامه رضي الله عنه :

الأمر لله الرحمن قولوا لعمران   لا بد ما يقتل بعدي
ويظل دمعك يا عمران يجري غدران
ما لاه ياليعت كبدي
من عبرتك قلبي دهشان مثل السكران
والدمع يسكب عن خدي

إلى آخره ..

ومن كلامه رضي الله عنه :

ننصح في المريد أن يبغي كلامي
يعمل عزم جديد يربع وينال النجامي
إذا جوه محاسيد ينادي يا عبد السلام
لأني عليه بعيد .. آخف من رمش اليام
ربي علي شهيد الواحـــد محي العظام
ما نخلي المريد حتى في يوم الزحـام

إلى آخره ..

ومن كلامه رضي الله عنه :

يا قمرة الليل اضوي عليّ   من نور جدي خير البرية
يا قمرة الليل ماذا جرى لي   وأنا مكدر بين الرجال
ساحل الأحامد نكروا أحوالي
النـــار تشعل فيهم قوية

إلى آخره ..

ومن كلامه رضي الله عنه :

يا سيدي ممشاد هيا دينوري   دبر يا صداد وقوي لي نوري
دبر لي قولي ما بين الأسياد   يحضركل ولي ويرسم لي الميعاد
لين يبقي طبلي يسمع كل بلاد   من فاس إلىبغداد براً وبحوري

إلى آخره ..

ونكتفي بهذا القدر من قصائده ومقطعاته الكثيرة ، نفعنا الله بأسراره في الدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المبحث الثامن

في مقتطفات من وصاياه ونصائحه لمريديه وأتباعه في مختلف البلاد

من المعروف أن أي إنسان تستطيع ان تتصور مقداره ومكانته العلمية والأدبية والصوفية من بين ثنايا كلماته ، ومن بين الأسطر التي يسطرها في أي موضوع من المواضيع التي تقرأ عنه وتنسب اليه . وكذلك يمكنك وأنت تتتبع تلك الجمل والمواضيع المختلفة أن تدرس ناحيته الروحية ومنزلته في التقوى والخوف من الله والوقوف عند حدوده وأوامره ونواهيه . ومن هنا يجدر بنا ونحن ندرس هذه الشخصية العظيمة ، شخصية مولانا « عبد السلام الاسمر » ، أن نورد شيئاً من نصائحه وتوجيهاته وإرشاداته ووصاياه لإخوانه ومريديه ، في داخل البلاد وخارجها ، من وجد في وقته ومن جاء بعد رحيله . وهي وصايا ونصائح تدل على مكانته العلمية الكبرى ومنزلته في التقوى والخشية لله تعالى ، وتصوّر ما كان يكنه نحو إخوانه ومريديه ، وما يريده منهم ويطالبهم به . والواقع فإن هذه الوصايا والنصائح حرية بأن تدرس باباً باباً ، لا من الإخوان والمريدين فحسب بل من كل طالب ومطلع ، لأنها تمثل روح الإسلام الصحيح ولب التعاليم الدينية والأحكام الشرعية ، لا سيما في مواضع الوعظ والإرشاد وتوجيه

المسلمين لصالح الأعمال، مع اليسر والسهولة في الفهم واتباع اللغة واللهجة الميسورة والألفاظ المتداولة التي لا تكلف السامع والقارىء إلا قليلاً من الاهتمام والإعداد فيجدها مفهومة لديه بأدنى التفاتة نفسية وعقلية، لأنها مملوءة بروحانية صاحبها وأسراره، وإرادة الخير للناس منها.

ومن أجل هذه الاعتبارات، وتبركاً بكلام الشيخ، رضي الله عنه، نورد جملاً ومقتطفات من هذه النصائح والوصايا والتوجيهات، لعل الله ينفع بها من يطالعها ويسمعها ويطلع عليها، وأن ينفعنا بحسن نيتنا من إيرادها وذكرها، والله يتولانا ويتولى أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نبذة من وصيته الكبرى:

قال رضي الله عنه: أوصيكم أيها الإخوان، يا أهل الحضرة والطيران، فعليكم بالتوحيد وحفظ العلوم واتباع السنة والقرآن. وعليكم بتعليم أولادكم وأزواجكم ومماليككم عقائد الإيمان. فمن لم يعرف العقائد فليس بعارف. إخواني: فعليكم بالنظر حين التكليف ومعرفة الدليل والبرهان، وما يجب في حق الله وما يستحيل وما يجوز. إخواني؛ فعليكم بمعرفة الصفات وأضدادها، وما يندرج تحتهن وما يجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يجوز وما يستحيل، وفي حق الملائكة عليهم الصلاة والسلام.

وعليكم بترك الناس جانباً وبالعزلة إلا عند الضرورة. فلا بد من الصمت على الخوض في الكلام معهم إلا لحاجة ضرورية. وإياكم وصحبة الأرذال والفساق المجاهرين بالمعاصي وفاسدي الاعتقاد، فهؤلاء يجب عليكم هجرانهم.

وعليكم بالمحبة في الفواتير وتعظيمهم وزيارتهم والتواضع لهم . فهم منا وأنا منهم . والله ثم والله ، لا ينكر عليهم أحد إلا وهبط بإذن الله ولو عبد الله عبادة شيخنا ابراهيم بن أدهم . والله ثم والله ، لا يتعمدهم ظالم بظلمه إلا وأهبطه الله وعجل بهلاكه ، يتأكد هذا في حق ذريته . وفقراء فمن لم يواصلهم من ذريتي وفقرائي فالله حسيبه .

إخواني ، وعليكم بالنصيحة للذرية ، ومن لم يقبل النصيحة فلا خير فيه ولا في قربه ولا في معرفته . وقد يتأكد في حقكم نصيحتهم وأن تنصحوهم لوجه الله ، أي أولادي كأولادكم ومن هو معاشر لكم . ويتأكد أيضاً في حقهم نصيحتكم ومحبتكم ، ومن لم يتأدب منهم معكم أو مع الفقراء فقد أخطأ طريقي الحق والصواب ، ولا ينتفع مني بشيء من الأشياء .

اخواني ، وعليكم بمحبة أصحاب الفقه ، فامدحوهم وعظموهم ، لأنهم حملة الشرع العزيز ، فحاذروهم ولا تخالطوهم ، لأن انفسهم غالبة عليهم ، ولا يخلصون من النفس حتى يسلكوا مذهب أهل التصوف ، رضي الله عنهم .

إخواني ، وإياكم ومخالطة أهل الدنيا ، الذين ليس لهم همة ، إلا هي . ولا يحل لكم أن تتملقوا لهم ؛ وإذا قصدتموهم لأجل حاجة ضرورية قد بانت لكم عندهم ووصلتم الى أبوابهم فانووا أنكم قاصدون وجه الكريم ، لأنه هو المقصود .

اخواني ، وكذلك لا يحل لكم مخالطة الظلمة والجبابرة ، ولا تعينوهم بأموالكم ولا بأنفسكم . وعليكم بذكر الله في كل فعل من الأفعال ، وعليكم بتقوى الله ما استطعتم . وكونوا صادقين مصدقين ومحبين ، ولا تكونوا مبغضين مذمومين واتبعوا السنة والإخلاص ، واحكموا بالشريعة بين الناس ، واجتنبوا الزور والأدناس . وكونوا رجالاً وإخواناً على سرر

متقابلين ، وتأدبوا مع مشائخكم غاية الأدب ، الذين تقرأون عليهم العلم ، ولا تعنتوا عليهم ؛ واعرفوا بحقهم وتفضيلهم وتكريمهم وتصديقهم فيما يقولون لكم ، واصدقوا معهم وأحبوا لهم ما تحبون لأنفسكم ، فإنكم تنالون إرثهم الذي ورثوه ظاهراً وباطناً ، وهو العلم والولاية والبركة .

إخواني ، ومن علمّه الله علماً فليعمل به ، ومن لم يعمل بعلمه فهو أشر من الجاهل . ومن جهل منكم فليسأل عما فرض الله عليه ، فلا عذر للجاهل في عدم السؤال . قال ، عز من قائل : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » . وإياكم أن تكونوا غافلين عن الذكر والسؤال ، فإنه لا ينال العلم مستحٍ ولا متكبر ، فمن لم يزاحم الرجال ويصبر على الجوع والعطش وحر الشمس وقرصة النملة فكيف يصبر على حر النـــار ولسع العقارب التي كالبغال والحيات التي كالنخيل .

إخواني ، وعليكم بالعفو عمن ظلمكم وتعدى عليكم ، فاعفوا واصفحوا الصفح الجليل . قال عليه الصلاة والسلام : « من أراد الخلود في الجنة فليعف عمن ظلمه وليطعم من حرمه » .

إخواني ، ولا تمقتوا أحداً من خلق الله ولا تظلموا رجلاً من عباد الله ، ومن جميع الخلائق كلهم ، ولو كان يهـــودياً أو نصرانياً . قال عليه الصلاة والسلام : « من ظلم ذمياً فأنا خصيمه يوم القيامة » .

إخواني ، ولا تهجروا الكلام على بعضكم بعضاً ، ولا تتباغضوا ولا تتحاسدوا فيما بينكم من عبادة او علم أو دين أو لباس أو غير ذلك . وكونوا عباد الله اخواناً ، ولا تكونوا أعـداء ، وإياكم ونظرة الخزي ونظرة البغض ، وإياكم ونظرة العداوة ونظرة القهر والغضب ، عافانا الله وإيا كم من ذلك .

إخواني ، فاعرفوا قيمة الأخوة وقيمة المعرفة ، ولا تتحايلوا على نفقات عيالكم الأقربين ، ولا تجادلوا بالنفوس المغوية ولا تتعصبوا بحمية الجاهلية .

ولا تستهزئوا على أحد من جميع خلق الله ، لأن الخلق كلهم عيال الله . ولا تكونوا من الهمازين واللمازين ؛ قال تعالى : « ويل لكل همزة لمزة » .

إخواني ، وإياكم والأسحار ، فإنها كفر وردة ، وكذلك عقد الرجل عن امرأته واستعمال الفراق بين المرأة وزوجها ، ويحرم التجريئة والتماريخ والمحبة في غير طاعة الله .

إخواني ، ومن الباطل : الخط والتقازة والكهانة والجدول والطلسمات والعزائم المعميات الذي لا تفهمونه . قال صفينا أبو رأس ، رضي الله عنه : ليس منا كهان ولا قران . فقلنا له : ما القران ؟ قال : القران هو الذي يتهاون على الصلاة ويجمعها في غير أوقاتها ، وقال أيضاً : وليس منا دندان . قلنا له : ما الدندان ؟ قال : الدندان هو الذي ينقل الأخبار من قبيلة إلى قبيلة ، وقال ايضاً : وليس منا من ينقل الثعابين ولا من يأكل العقارب والسمومات ؛ إلى أن قال ، رضي الله عنه : وليس منا من يطلب بالطار ويرقص بأبواب الديار ، إلى أن يجتمع عليه النساء والصغار ، فمن فعل شيئاً من ذلك فليس منا ولا من أهل طريقتنا . فوالله ثم والله ، لا يموت إلا بالشر والفقر ، وربما يموت على غير الهدى والعياذ بالله . قلت : والصواب أن يضرب بالعصي ويمزق بنديره ولو كان من الفواتير ، لكن مع الاعتقاد فيه من حيث انتسابه إلى الله وإلينا .

إخواني ، إياكم وأكل أموال الناس بغير طيب نفس ، وإياكم والأكل بالشفاعة أو بالدين أو بالتعفير في الطرقات المخوفات . وكذلك لا يجوز الأكل بالغصب أو التجبر كالسيف والتخويف والضرب والقهر أو بالأصدقاء أو بالتحشم وسيف الحياة . وكذلك لا يجوز لكم الأكل بالشكر والمدح في القبائل ، كقوله فلان جيد أوفلان شجاع أو يلبس أفخر الثياب ، أو فلان صنديد أو فلان جميل أو فلان يفعل كذا وكذا ويترك كذا وكذا . الله الله ، فليس هذا من شأن الفقراء العروسيين .

إخواني ، وإياكم والسحتة وهي الرشوة في الحكم . قال عليه الصلاة والسلام : « كل لحم نبت بالسحت فالنار أولى به » . وقال عليه الصلاة والسلام : « لعن الله الراشي والمرتشي » ؛ واللعنة في الحقيقة هي البعد والطرد من رحمة الله تعالى . وإياكم وأخذ البراطيل والشحمة . قال إمامنا الدوكالي ، رضي الله عنه : ليس منا من أخذ البراطيل والشحمة ؛ واطال في ذلك ، الى أن قال : الفرار منه كل الفرار . وفي تفسير شيخنا أبي رأس ، رحمه الله : البراطيل والشحمة الاكتراء على الشهادة المزورة الباطل .

إخواني ، ولا يحل لأحد منكم أن يتعمد سماع الباطل كالملاهي المحرمة ، فمنها الزكرة ونحوها ؛ ولا يجوز الرقص عليها من غير تواجد ولا حالة ، إلا البندير ، لأنه أمر خفيف . وقد أنكره شيخنا الدوكالي في أول بدايتنا ، وزجرني على شأنه ، وقد ضربني وألقاني في السجن وأخرجني الإله سبحانه وتعالى من السجن ، ولا سلمه لي الشيخ المذكور إلا بعد هول ومشقة . وهو أمر مختلف فيه . ولو لم يسلمه لي لم أضربه ولم أقربه ولو أموت بالهيام ؛ وأمر قدره الله عليّ والحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .

إخواني ، وعليكم بالتسمية في كل عمل تعملونه ، فإذا أكلتم أو شربتم أو قمتم أو لبستم ثوباً أو دخلتم بيتاً أو خرجتم منه أو ركبتم دابة أو جلستم أو توضأتم أو قرأتم أو كتبتم فقولوا : باسم الله ، في بداية كل فعل تفعلونه ، وعند نهايته فقولوا : الحمد لله .

إخواني ، وعليكم بتعليم أولادكم ومماليككم القراءة والكتابة وعقائد الإيمان والفرائض والسنة المؤكدة والفضائل والمندوبات والاعمال الصالحات ، وعلموهم التحذير من المحرمات والمكروهات ، فإن لهم عليكم حقاً ، وكذلك أصدقاءكم وخدامكم فأكرموهم وعلموهم الأدب والأحكام الشرعية وكل ما يلزمهم مع الله تعالى

إخواني ، وعلموا أزواجكم وبناتكم وخدامكم فرائض الغسل وفرائض الوضوء وفرائض التيمم وكلّ ما يجب عليهم فعلموهم إياه . علموهم كلّ ما يحتاجونه منكم في أمر دينهم لأن لهم عليكم حقاً شرعياً ، وكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ، فافهموا . .

إخواني ، وعليكم بحفظ الجيران والإحسان إليهم ، وإن كان عندهم شيء من الحوائج في الأسواق من بيع وشراء ونحوه وخافوا على أنفسهم من الغرماء أو الظلمة أو الجبابرة فاقضوا لهم حوائجهم . وإن كان عندكم شيء من الحوائج أو المأكول أو المشروب فأعطوهم منه ولا تمسكوا عليهم شيئاً من الحوائج الدنيوية والأخروية . ومن مرض منهم فزوروه ولا تؤاخذوهم إذا أساءوا منكم الأدب ، واسمحوا لهم ، وكذلك تعاملون بتلك الخصال كل من وقعت لكم معه معاشرة أو مهاجرة في سفر أو حضر .

وعليكم بحفظ الحريم جهدكم ، فلا تؤمنوا على حريمكم ومالكم إلا من جربتموه ألف مرة أنه يخاف الله ويتقيه ، ومن خالف فلا يلوم إلا نفسه ، لأن هذا الزمان زمان فساد وخيانة ، ولا خير فيه وهو أقبح مما مضى من الأزمنة منذ علمنا واوجدنا الله الى الآن . ولا يأتي زمان إلا والذي بعده أشر منه .

وعليكم بالتواضع للوالدين والأدب معهم غاية الأدب ، ولا تعصوهم في شيء من الاشياء ولو كانوا عصاة ، إلا أن يأمروكم بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وكذلك إذا كانوا كفاراً فلا بد من التواضع لهم والإبرار إليهم وكفرُهم على أنفسهم ، بهذا أمركم الله ورسوله ، ﷺ .

إخواني ، وعليكم بصلة الرحم وزيارتهم ، فإن صلتهم وزيارتهم تزيد في العمر ثواباً عظيماً سواء كانوا حيين أو ميتين .

إخواني ، وإياكم وشرب الدخان . ليس منا من شربه من فم أو انفس وهو عشبة منتنة الرائحة خسيسة فلا تقربوها ولا تشربوها ولو اباحها الشرع . وكان شيخنا الدوكالي ينكرها مطلقاً ، ويهجر المدمنين عليها ويزجر ويغلظ عليهم فيها ويشدد على أهلها ؛ وكذلك شيخنا أبو رأس ينكرها مطلقاً وينكر على أهلها إلى أن قال : يجب هجرانهم ؛ وقد أباح تجارتها وعقاقيرها وأوانيها لمن يبيعها ويشتريها لغيرنا ، وأما العروسيين لا يحل لفقير منهم أن يتجر فيها .

إخواني ، وإياكم أن تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم إلا أن تستأذنوا من أهلها . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » .

إخواني ، ولا يحل لأحد منكم أن يتجسس على المتكتمين ولو كانوا من اعدائه قطعاً . قال شيخنا الدوكالي ، رضي الله عنه : لا تسمعوا كلام المتكلمين ولا تجسسوا عليهم ، فإن ذلك حرام وعلامة الشقاء . وقال عليه الصلاة والسلام : « اجتنبوا التجسس والغيبة فإن ذلك من أفعال أهل النار » . وقال تعالى : « ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً » .

إخواني ، وكلّ ما لا يعنيكم في دينكم ولا في دنياكم فاتركوه ، فاتركوه. قال عليه الصلاةوالسلام: « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ».
إخواني ، وإذا لفظتم مع الناس بشيء فأعطوه لهم ، وإذا وعدتم فأوفوا بالوعد ، وإذا عاهدتم فأوفوا بالعهد ، لأن المؤمن من حقيقته إذا عاهد لم يخالف ، وإذا حلفتم فلاتحنثوا ، وإذا أئتمنتم فلا تخونوا ، وإذا تكلمتم مع أحد من الناس فقولوا الحق ، وإذا بعتم سلعة فلا تحرموا فيها بالزيادة من رؤوسكم ، وقولوا الحق واصدقوا وبينوا عيبها ان كان فيها ما يكره ، فإن ذلك واجب عليكم . إخواني ، فلا تكذبوا في بيعكم وشرائكم ولا

تربوا ولا تربوا . قال الله تعالى : « وأحل الله البيع وحرّم الربا » . إخواني ، ولا تزنوا ولا تزنوا ولا تقربوا الزنا فإنه حرام في مذاهب أهل العلم كتاباً وسنة وإجماعاً ، وإن الزاني لا حجة له عندنا . قال تعالى : « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة .. الآية » . إخواني ، وإياكم وشرب الخمر ، فإنها ذريعة البهتان وداعية للهوى والفش والشيطان ؛ إخواني ، فشاربها سفيه فاسق مجنون معكوس منافق لا خير فيه ولا في صحبته . إخواني ، وإياكم أن تتهاونوا وتتراخوا على الصلاة المفروضة عليكم وصلّوها في أوقاتها وأتقنوها بركوعها وسجودها وفرائضها وسننها ومستحباتها ، واعرفوا مكروهاتها ومبطلاتها ؛ قال عليه الصلاة والسلام : « هي عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين » .

إخواني ، وإياكم أن تتركوا فرض الكفاية كصلاة الجنازة والذكر عليها والدعاء لها والمشي خلفها ؛ قال إمامنا الدوكالي ، رضي الله عنه : وإذا مات لكم ميت فاحضروا جنازته بأجمعكم ولا يتخلف عليه منكم أحد ، وأتوا إليه بجيرانكم وأحبابكم وأصحابكم وأولادكم ، ولا يبقى عروسي إلا وحضر ، وأكثروا له الناس ، والبسوا حين الصلاة عليه أحسن اللباس ، وكذلك حين دفنه ، واذكروا على جنازته بأجمعكم حين رفعه وحمله إلى القبر ، ولا يتخلف منكم أحد ولا بد من مخبر يخبركم اذا مات أحد من الفقراء ، والصواب أن الأكابر منكم هم المخبرون كشاوش الحضرة أو النقيب ؛ إخواني ، وحين ترفعونه إلى الجبانة لا تفتروا على الذكر به إلى أن تدفنوه ؛ واذكروا عليه بكلمتي الشهادة ، أو بكل ذكر كان جهراً أو بالصلاة على النبي ﷺ ونحوها ، كقصائد البصيري ؛ وقد كان شيخنا الوسلاتي يمشي خلفها ويذكر عليها بصوته ، ولم أعلم في ذلك نهياً .

إخواني ، ولا تنقلوا جنائزكم إلى القبر وأنتم ساكتون ، فإن ذلك من

أفعال الجهال وأهل القتام ، فاحرصوا على الإفهام . قال صفينا أبو رأس ، رضي الله عنه : ارفعوا أصواتكم بالذكر عند نقل الجنازة وفي الأعياد على لسان واحد وبالمناوبة . فهذا قد كان في عهد مشائخنا السالفين العروسيين . إلى أن قال : وانووا ثواب الذكر للميت ، وما من ميت ذكروا عليه عند حملهم له إلى الجبانة إلا وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولو كانت مثل زبد البحر . إخواني ، وإذا اجتمعتم بالليل فاقرأوا عليه سبعين ألفاً لا إله إلا الله واهدوا ثواب ذلك للميت لحديث : « من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة واهدى ثوابها للميت كانت فداءه من النار » . وإذا اردتم الخير والبركة والخروج من الخلاف فزيدوه القرآن بتمامه ولو كان من المختلف فيه ، على قول من يقول : إنه يكفي لا إله إلا الله ، واهدوا ثوابها للميت . وقال صفينا أبو رأس ، رضي الله عنه : من قال الله الله سبعين ألف مرة وأهدى ثوابها للميت كانت فداءه من النار .

إخواني ؛ ولا نص من الشرع في تحريم مطلق الذكر على الجنائز وفي الأعياد وغيرها ، سواء إن كان سراً أو جهراً ، جماعة أو أفراداً ؛ وما نسبوه لإمامنا مالك في الجمع به فذاك لعدم اطلاعهم على أقوال المشائخ وعدم فعل السلف لذلك ، وقد جوزه الأئمة الصوفية وحملوا الكراهة على الندب ، وهو أمر رغب فيه بالاستحباب . وقد بحثوا في دليل القائل بكراهيته فوجدوه غير مصرح به اتباعاً لأهل المدينة وفعل السلف به . إخواني ، وقد ينبغي أن يكون الذكر على الهيئة الاجتماعية ، لما ورد فيها من الفضل والترغيب فعلى العاقل أن يعمل بها تصديقاً للأحاديث وسداً للذريعة ؛ وقد سلمه إمامنا مالك وغيره ، وأندبه مطلقاً على الجنائز والأعياد وغيرها كالوظائف والأحزاب والدعاء وذلك صورة واحدة . وإذا تعرضكم فيه بعض المنكرين القاصرين فجاوبوهم بما يظهر لكم من الفهم ، فإن قبلوا منكم فزيدوهم وإن لم يقبلوا منكم فاتركوهم وأعرضوا

عنهم ، قبلوا أو لا ، فالله الله الله ، ليس منا من أنكر ذكر الجنائز والأعياد وغيرها بالهيئة الاجتماعية على ما ذكرناه .

وقال صفينا أبو رأس ، رضي الله عنه : ليس منا من تهاون وتراخى عن مطلق الذكر والفرائض والسنن والنوافل كلها ، فشأننا الذكر والفكر. إلى ان قال : من عرف هؤلاء الفقراء العروسية وخالفهم في شيء مما يتحققونه ، نزع الله تعالى منه نور الإيمان . قلت : مراده بنور الإيمان نور إيمان ذلك الكلام ، لا نور سائر أنواع الإيمان ، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

اخواني ، ولا تفعلوا ما يفعله الجهال من السروج المرصعات بالذهب والفضة ، ومن الركب المغشيات والمموهات .

إخواني ، وإياكم لباس الأسود والأحمر وإياكم ولباس الأسود والأحمر . قال شيخنا الدوكالي : عليكم بلباس الأبيض دون غيره ، ولو كان قديماً مجروداً قليل الثمن ، فالصواب أن تغسلوه وتنظفوه بالجبش أو الغاسول او الصابون او الشب الأبيض . إلى ان قال : والفقير العروسي المنسوب إلينا يكون في النظافة مثل الحمام الأبيض ولو كانت أثوابه رديئة فلا بد من تنظيفها من الأوساخ على الدوام ، فهذا شأننا وشأن مشايخنا ؛ وقد تواترت الأخبار ان مشائخنا العروسيين ليس فيهم من لبس الأسود من شيخ إلى شيخ إلى سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فعليكم بالأبيض واتركوا الأسود كله ولو أباحه الشرع . ولا شك ان الأبيض هو الأفضل وقد وردت به الأحاديث .

إخواني ، وإياكم أن تفعلوا العرس بشيء من المحرمات ، مثل الغناء والزغاريت والصراخ والرقص والمزامير والرباب والشبابة والزكرة والفحل

والطبل ، فهذا كله لا يجوز في العرس ولا في غيره ولا تنصتوا لأصواتها فإنها من الشيطان ، لعنه الله ، وتجمع جنوده كما يجمع المؤذن جماعة المسلمين للصلاة ، فافهموا .

وأما اجتماع النساء والرجال في العرض بأن ينظر بعضهم إلى بعض ، ويستمع صوت بعضهم بعضاً ، فهذا من أكبر فساد الدين ، والعروسي لا يرضى شيئاً من ذلك ولا يفعل شيئاً من كل ما حذرتكم عليه في العرس ، فمن فعل شيئاً في العرس مما ذكرته لكم فهو بريء منا ونحن بريئون منه ، ومن تاب تاب الله عليه .

إخواني ، وإذا أصيب أحدكم بمصيبة فليقل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وليشرب الماء البارد . إخواني ، وإذا مات لكم ميت فاصبروا على الشدائد وارضوا بما قدره الله عليكم واصبروا ان الله مع الصابرين . فاللبيب منكم من لبس الشدائد كالدرع ، ولا تفعلوا ما يفعله الجهال من قطع الدخان من المحل والحزن وترك الطيب وترك اللباس الحسن وضرب الخدود وتجريحها بالأصابع والاظفار ، وخبط الصدور وتخميشها ، والصراخ والنياحة والنداء والنديب ونقر الطبل ، ويسميه أهل بلدنا الطار ؛ ولا يجوز الحلق ولا الدلق ولا الصلق ولا الزلق وتقريض الازار وتكتيح الرمل والرماد ولبس الهدوم وتشريك الأثواب والسراويل وتقطيع بدود الخيل ، وحلق الشعر من الرجال والنساء والخيل . إخواني ، ومن مات له ميت فليبادر له بالصدقة ، فإن الصدقة دافعة للبلاء وجالبة لرحمة الله .

إخواني ، فعليكم بالمداومة على الذكر وتلاوة القرآن ، وعليكم بحفظ البردة ، وعليكم بمحبة شيخها وهو الإمام البوصيري ، رضي الله عنه ، وهو من تلامذة بعض شيوخنا السالفين وعليكم بمحبة الشيخ الزروق وبزيارته

والاقتداء به ، وهو من أقران شيخنا الدوكالي ومن أجلّ أحبابه ومن أهل عصره ، وكان رفيقاً له بجامع الأزهر وجاراً وخِلاّ ، ويأكلان معاً في العشاء والغداء إلى أن وصلا إلى طرابلس ، وكان لا يفارق شيخنا الدوكالي ببلد مسلاتة ، ويأتي اليه من بلد مصراتة على فرس حمراء وبيده رمح ، وهو رجل قصير جميل الصورة . وكان من المحبين لنـــا ومن المسلمين لنا في هـــذه الطريق وكان يقرأ على شيخنا الدوكالي في علم الأصول والتصوف .

إخواني ، وأصل هذه الطريقة التواضع والصدق والمحبـــة ، والصبر والإنصاف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . إخواني ، أحسنوا لأصحابكم وجيرانكم وانصحوهم وامروهم أن يدخلوا معكم في الطريقة العروسية ، وأرشدوهم وعلموهم الفرائض والسنن ، فإن لم يقبلوا منكم فاتركوهم يهديهم الله . وقد كررنا لكم في هذهالوصية بعض المسائل لأجل التقييد ، فهذا كله تنبيه لكم .

وأما النساء العروسيات فبلغوهن مني السلام ، مع أزواجهن وإخوانهن وآبائهن وأبنائهن أو بني إخوانهن ونحوهم ؛ وقولوا لهن : قال لكن الفقير ، عبد السلام بن سليم الأسمر الفيتوري الحازمي اليوزليتني : اغضضن أبصاركن عن جميع المحارم ، واكففن أسماعكن عن جميع المآثم ، واحفظن فروجكن ما استطعتن واجتنبن جميع الجرائم ، وأطعن أزواجكن وإذا دعوكن إلى الفراش فلا تعصينهم ، ولا تؤذين جيرانكن واحفظن بيوتكن من الرجال والنساء الفاسقات ، ولا يحل لكن أن تُدخلن بيوتكن الرجال الذين ليسوا محارمكن ، الذين لا يحل لكن جلوسهم ولا كلامهم ، إلاّ البعل والأب والأخ والخال ونحوهم . وإياكن والظفر المضغوط بالخيوط ونحوها ، إلا الخيط والخيطان ، وإياكن وكثرة القطاطي والدلائل والعقائص والملازير

والتمائم والنيطار ، التي من النحاس أو الفضة ، وهو شيء كالبلح ، والخراريط ، فهذا كله فاتركنه لئـــلا يفسد عليكن الوضوء والغسل ونحوه ، لأن كل شعرة تحتها جنابة ؛ فمن فعل منكن شيئاً من هذه الخصال فالغسل باطل والوضوء باطل .

وإياكن والزغاريد والغناء ورفع الصوت كله ، ولو بذكر الله ؛ وإياكن والصراخ والنواح والنديب والترجيع بالبكاء والتشجيع بالنداء فهذا كله حرام عليكن . قال عليه الصلاة والسلام : « لعن الله امرأة يسمع صوتها الرجال ولو بذكر الله » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أربعة يكبهم الله يوم القيامة على وجوههم في النار : امرأة عاصية لزوجها وامرأة تؤذي جيرانها ، وامرأة لا تحفظ بيتها من الرجال والنساء الفاسقات ، وامرأة نائحة على الميتين » . وفي الخـــبر الصحيح ، أنه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة رضي الله عنها : « احفظي بيتك فإن النساء يوم القيامة أكثرهن حطباً للنار . فقالت له : من أي شيء ؟ فقــال : لا يصبرن في الشدة ولا يشكرن في الرخاء - الحديث . الى أن قال : يا عائشة ، الله تبارك وتعالى أوجب حق الرجال على النساء أن يطعنهم في جميع أمورهم ؛ يا عائشة ، ما من امرأة خرجت من بيتها من غير إذن زوجها إلا لعنتها ملائكة السماوات والأرض وكل شيء تمر عليه حتى ترجع ؛ يا عائشة ، مـــا من امرأة قالت لزوجها : ما رأيت منك خيراً قط - إلا احبط الله عملها ، وما من امرأة نظرت إلى وجهها بوجهة عبوس إلا لعنها كل نجم في السماء ؛ يا عائشة ، ما من امرأة كلفت زوجها في نفقة لا يطيقها لم تنلها رحمة ربي ، وليس لهـــا في شفاعتي نصيب ، وما من امرأة قالت لزوجها : أراحني الله منك لم تشم رائحة الجنة » .

إخواني ، فأقرئوهن مني السلام ، وقولوا لهن : واياكن والحزن على الميت وترك اللباس الحسن والطيب والتكحيل بالأثمـد ، وإياكن وحلق الرأس

وحرقه بالنار إذا مات لكن أحد ، فهذا كله حرام عليكن . فالصبر الصبر ، وعليكن مني التحية ، ايتها النسوة العروسيات .

تنبيه : ولا يجوز لكم النظر الى الأجنبية ، إخواني ، فإن النظر اليها سهم من سهام إبليس مسموم . إخواني ، فزاحموا الجمال الجرب المطليات بالقطران ولا تزاحموا النسوة في الطريق .

تنبيه أيضاً : إخواني ، غضوا أبصاركم ؛ فإن غض البصر يورث محبة الله تعالى .

تنبيه ايضاً : إخواني ، فخذوا حذركم من النسوان ؛ ومخالطتهن والنظر إليهن ومكالمتهن والذكر معهن من أكبر الفتنة والمهلكة . إخواني ، فروا من النسوان تنجوا من الأحزان . قال أستاذنا الدوكالي ، رضي الله عنه : النظرة الأولى فتنة والنظرة الثانية زنية .

تنبيه : إخواني ، تفقهوا في الدين وتصوفوا . اخواني ، فيلزم الصوفية ثلاثة أشياء : الأول حفظ سره ، الثاني أداء فرضه ، الثالث صيانة فقره . قال شيخنا أبو رأس ، رضي الله عنه : فقد بني التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء : أولها السخاء ، وهو لابراهيم عليه السلام ؛ الثاني الرضا ، وهو لاسحقاق عليه السلام ؛ الثالث العزلة ، وهي ليحيى عليه السلام ؛ الرابع الصبر ، وهو لأيوب عليه السلام ؛ الخامس الإشارة ، وهي لزكريا عليه السلام ؛ [. . .] ؛ والسابع السياحة ، وهي لعيسى عليه السلام ؛ الثامن الفقر ، وهو لحبيبنا وسيدنا محمد ﷺ .

إخواني ، اعلموا ، رحمكم الله ، ان التصوف هو تصفية القلب من الأدناس الذميمة ، واجتناب الغيبة والنميمة ، ومفارقة أخلاق الطبيعة ،

وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدعاوى النفسانية ، ومنازلة صفات الروحانية ،والتعلق بعلوم الحقيقة ، والنصح لجميع الأمة ، واتباع النبي ﷺ ، في الشريعة .

وسئل شيخنا أبو رأس ، رضي الله عنه ، عن الصوفية والمتصوفة ،ما الفرق بينهما ؟ فقال : الصوفي من اختاره الله لنفسه فصافاه من غير تكلف ، والمتصوف هو المتكلف بنفسه المظهر لزهده مع كون رغبته في الدنيا . إخواني ، من استوى عنده المدح والذم فهو من الزاهدين ، ومن حافظ على الفرائض في أوقاتها فهو من العابدين ، ومن ترك الخلائق وعبادتهم فهو من الصالحين . إخواني ، من علامة السعادة على الفقير تيسير الطاعة عليه وموافقته للسنة في أفعاله واقواله ومحبته لأهل الصلاح وحفظ أخلاقه مع إخوانه ومداومته على الحضرة وصلاة الجماعة ؛ فمن كانت فيه هذه الخصال فهو من أهل الجنة .

إخواني ، وعليكم بالزيارة ما دمتم أحياء تمشون على وجه الأرض: الله الله في زيارة أحبابكم ومواليكم وإخوانكم . فمن تكبّر منكم عن زيارة إخوانه الطلبة فقد تلف وانسلب . والله والله ، من ترك الزيارة لا تفلح أشجاره ولا تنجح له تجارة ولا زال في البلاء والخسارة . والله والله من حاد عن زيارة الإخوان خذله الشيطان ، ومن تكبر عن زيارة الأبرار صار من الفجار ، ومن ألهته عن الزيارة عياله فقد انكشف حاله واتبع شيطانه وضلاله . ومن ألهته عن الزيارة اسبابه فقد خسر آدابه ، ومن ألهته عن الزيارة دنياه لقد خاب معناه ومن نسي الله نساه . ومن قسا قلبه عن الزيارة بطلب رزقه لقد ضيع حق الله وحقه . ومن ألهته عن الزيارة محبة امرأته لقد ضاعت بركاته وكثرت سيئاته .

إخواني ، فعليكم بالزيارة فعليكم بالزيارة فعليكم بالزيارة . والزائر مثل من يفتش عن ضالة لا يدري علها أين توجدو كذلك تكونون في الأدب مع من تزورونه ، لأنكم

لا تدرون من المقبول الذي يقبلكم الله بسبب قدومكم اليه . إخواني ، وإذا زرتم فزوروا زيارة لا يتضرر منها أحد بسبب قوتكم وقوت دوابكم ومبيتكم . ولا تنزلوا إلا عند من تعلمون أنه يرضى بكلفتكم وكلفة دوابكم إن كانت عندكم دواب ؛ واختبروا عياله هل يرضون بكم أم لا ، والقرينة تدل على الحال . ومن أضر بالناس في زيارته فلا تصح له منها إلا العلة وفساد النية وسلب الأنوار السنية ، والعياذ بالله .

وربما يخرج الزائر وقلبه مملوء بالأنوار فيرجع وقلبه محشو بالأغيار ، وهو في غضب الجبار ، فاحذروا الهلاك في الزيارة غاية الاحذار . وأما من راح إلى الزيارة بالجد والاجتهاد ، والتسليم والتواضع والرقة ورفع زاده معه إن تيسر له ، وإلا رضي بما يرزقه الله تعالى ، والمشي على رجله إن قدر على المشي وإلا ركب ولا تضر دابته أحداً وخرج بإذن شيخه إن كان له شيخ ، وإلا فبعد الاستخارة النبوية وزار بالأدب وطريق السنة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وزار من كانت بركته ظاهرة كالشمس أو مشكوكاً فيه ، ولا يتكبر على أحد لأنه كفتاش الضالة . فافهموا ..

فإذا خرج بهذه الشروط المذكورة رجع وهو موضوع الأوزار وقلبه محشو بالأنوار وهو في رضاء الغفار . فعليكم بالزيارة ما دام خروجكم لا يؤدّيكم إلى محرم أو مكروه من كل جانب ، فافهموا . كمثل من يخرج إلى الزيارة مع عدم رضاء والده أو شيخه أو يضر بعياله ، ولم يترك لهم ما يكفيهم ولا من يتكفل بهم . فافهموا .

والزيارة لا يتركها الا مغرور تابع هواء نفسه وتابع للشيطان . ولا يقول لكم : اتركوا الزيارة ، إلا زنديق يظهر الحق ويخفي الباطل ، أو شيطان من الشياطين ، حفظنا الله وإياكم مما ينهانا عن طاعته ، ورزقنا الله من يدلنا عليها آمين . وعليكم بزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، واذا زرتموها فسلموا

على أهلها ، فافهموا ، وادعوا لهم بالرحمة والمغفرة والأدعية المأثورة عن النبي ، ﷺ ، كقوله : اللهم ، رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا بك مؤمنة ، أدخل عليها روحاً منك وسلاماً مني ؛ وكذلك صورة الإخلاص وآية الكرسي على الهيئة المنصوصة ، وكذلك قراءة الفاتحة وغيرها مما ورد عن النبي ، ﷺ .

وقال صفينا أبو رأس ، رضي الله عنه : اذا زرتم المشايخ الميتين فتأدبوا ، وابتدئوهم بالسلام قبل الأدعية ، ولا تعفسوا على قبورهم بأرجلكم ، ولا تغوصوا عليها بأقدامكم ولا تستندوا عليها بظهوركم ولا بأجنابكم ، ولا تتكلموا بإزاء قبورهم بالكلام القبيح فإنهم يسمعونه ، ولا تعاشروهم إلاّ بالأدب في حال حياتهم وبعد مماتهم ، ولا شك أنهم أحياء في قبورهم ويتصرفون في الدارين في جميع الأمور كلها .

ولا خلاف أن الولي يعرف الزائر ، وإذا سلم عليه رد عليه السلام ، وإذا ذكر الله على قبره ذكر معه ولا سيما إذا ذكر لا إله إلاّ الله ، فإنه يقوم ويجلس متربعاً في قبره ويذكر مع الزائر بأي ذكر كان . قال شيخنا الدوكالي ، رضي الله عنه : ولا شك أن الولي إذا أقبلت على قبره وسلمت عليه عرفك ورد عليك السلام مطلقاً ، سواء إن كنت من بلاده أو غيرها ، فإن الأولياء لا موت لهم ، وإنما موتهم انتقال الأجسام من دار الدنيا إلى دار الآخرة كما هو معلوم بالمشاهدة عند أهل الله من الأولياء والعلماء ، رضي الله عنهم . إلى ان قال : والمستحب في زيارة القبور طراً من مقابر الإسلام أن يقف الزائر مستدبر القبلة ووجهه للميت وأن يسلم عليه ولا يمسح القبور ولا يمسها ولا يقبله ، فإن ذلك مكروه وإساءة أدب مع صاحب القبور . وفي الحديث الصحيح : إن تقبيل القبور من أفعال النصارى .

قال بعض المشايخ : إذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد وإن حصل مدد للزائر بعد الموت أو قضاء حاجة فهو من الله تعالى — على يد

القطب صاحب الوقت - يعطي الزائر من المدد على قدر مقام المزور . وقال بعضهم : المزور في الحقيقة هو الصفات لا الذوات ، فإنها تبلى وتفنى والصفات باقية . وهذه الأقوال لا يسلمها إمامنا أبو رأس ، رضي الله عنه ، وأجاب عنها بأجوبة صحيحة ، إلى أن قال : والذي نعرفه انا ، فمن الأولياء من ينفع مريديه بعد موته أكثر مما ينفعهم في حياته . ولا شك ولا ريب أن الأولياء الأكابر أحياء في قبورهم بعد مذاقة حرارة الموت ومعلوم أن الأولياء حيون بأجرامهم بالصفات والذوات ، كما هو منصوص عند الجمهور أهل الظاهر وجمهور أهل الباطن وعمن وراءهم في اليقظة لا في المنام أعياناً بالمشاهدة ، وقد تكلم معهم في النهار وكلموه .

إخواني ، ولا تقهروا السائل والمسكين واليتيم والغريب والأعمى والأبرص والأجذم والمريض والأشل والأعرج . إخواني ، فلا تنهروهم ولا تضربوهم ولا تنازعوهم ، فإذا قصدوكم وطلبوا منكم المعاش فلا تطردوهم وأعطوهم مما عندكم من القليل والكثير . قال استاذنا الدوكالي ، رضي الله عنه : ردوا السائل ولو بشق تمرة . وكان رضي الله عنه يوصينا عن ضيف المغرب ، وهو السائل إذا جن الظلام إلى أن قال ، رحمه الله : أعطوهم من القليل والكثير ، إلى أن بكى ساعة ثم قال : لا تطردوه ! لا تطردوه عن أبوابكم ، وربما ذلك الشيخ الخضر عليه السلام ، وقد ذكر أهل الصلاح أنه يأتي بعض المرات ينظر في أحوال الناس من خير أو شر .

إخواني ، وعليكم بمحبة أهل العلم العاملين به ، فهم ورثة الأنبياء عليهم السلام ، وهم مثل الذي رفع أعلام الناس يتبعونه وهم أصحاب النور في الدنيا والآخرة . ومنهم يخرج الحق ويدفع الباطل ومحبتهم واجبة عليكم ، فتأدبوا معهم غاية الأدب واطلبوا منهم أن يدعوا لكم لأنهم هم العارفون بالله تعالى وبالأدب كله .

وإذا عارضوكم بشيء من الفتاوي في الحضرة والبنادير فلا تؤاخذوهم لأنهم معذورون والشرع العزيز يأمرهم بذلك ؛ وخلوا بيني وبينهم سواء إن كنت أنا حياً أو ميتاً . أما من قصده امتثالاً لما ظهر له من الشرع فلا بأس عليه ، إلا أن يخرج عن الحق فيخاف على نفسه من الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله بسبب خروجه على الحق معنا . وأما من قصده التعنيت عليكم فخلوا بيني وبينه أيضاً سواء إن كنت حياً أو ميتاً ، فلا بد من هلاكه ، ولا بفقد علمه وعقله دون موته ، وربما يموت كافراً والعياذ بالله من ذلك . إخواني ، والله ثم والله ، من عنت على الفقراء المنتسبين إلى الله تعالى والينا فينسلب عقله وعلمه ودينه ، لأنه عرض نفسه إلى الهلاك بسبب رده علينا تعنيتاً .

والعلماء — رضي الله عنهم ورثة الأنبياء ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يأمرون بحض النفس ولا يردون على أحد تعنيتاً وإنما يأمرون وينهون امتثالاً لما أمره الله تعالى . حاصله ، لا بد من التسليم لكل معارض لكم سواء إن كان فقيهاً عالماً أو ظالماً جاهلاً أو عاصياً مجاهراً بالمعاصي الكبائر أو كيف كان ، فسلموا له واتركوه ، وأعلموني بما فعل لكم إن كنت حياً ، وإن كنت ميتاً فتوجهوا لناحيتي ونادوني وخلوا بيني وبين المعارض لكم ...



إلى آخر ما جاء في الوصية الكبرى وهي طويلة جداً ، وفيها من العلوم والمعارف والإشارات والرموز والرسوم الصوفية ما لا يستطيع الكثير من الناس تدبره ، لا سيما الذي لم يعرف اصطلاحات الصوفية ولا ما يقصدون بكثير من عباراتهم وإشاراتهم ، أعرضنا عنه وتركناه طلباً للاختصار واكتفاء بما تقدم ، والله الموفق ..

نبذ من نصائحه لمريديه :

فمن ذلك ما كتبه لأصحابه الذين هم بتمبكتو وهم سيدي أحمد بن أحمد ابن أقيت وجماعته وهو : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . من العبد الفقير لله ، عبد السلام بن سليم الفيتوري إلى الأحباب الأنجاب جعلهم الله من أهل السنة والكتاب . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فهذه نصيحة مني إليكم وهي :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم . اعلموا رحمكم الله ، أن أحق شيء للتقديم في النصيحة الوصية بتقوى الله واتباع سنة رسول الله ﷺ ، فأوصيكم أيها الفقراء المنتسبين إلينا وإلى طريقتنا العروسية بأن لا تكونوا مغشين ولا موهين ولا مبدلين ولا مغيرين ولا معاندين ولا مجادلين ولا منازعين ولا معنتين ولا مخالفين ولا مخوفين ؛ فأول ما يجب عليكم تصحيح إيمانكم ثم معرفة ما يصلح لكم من فرض العين كالطهارة والوضوء والصلاة ونحو ذلك .

وتعلموا النحو فإنه زين الكلام وجمال المنطق وقوام اللسان ؛ وهو علم من أشرف العلوم يزيد المرء بعمله فهماً وفضلاً ويكبره عند العلماء ، ولا يتم اللفظ أو الشعر إلا به . وفي الحديث « أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن » ؛ واعلموا أن من اعتنى به مع حصول فرض العين إلى ان اقتصر على بعضه وعلم منه ما يصلح به لسانه واجتنب التوغل فيه فحسن . ولا ينبغي للنحوي أن يرى نفسه فوق غيره تكبراً ، ولا يحل له أن يستهزىء بكلام الغير إذ قارنه اللحن لأن الجل من الناس برابر وأعجام . ومنهم من لا يقرأ ولا يكتب . وقد قال بعضهم : إذا فهمت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ .

ولا ينبغي التعمق في المنطق ، وقد حرمه الشيخ النووي وجماعته والمشهور جوازه لمن كمل عقله ، وذلك مذهب الجمهور. وقال شيخنا : علم المنطق علم شريف يحتاج إليه في كل شيء ، فمن لم يتوغل في النحو والمنطق لا ثقة لي بعمله لأن من لا يذكرها لا يجوز له القدوم على التصانيف وقراءة الأحاديث والتفاسير. وقد ورد الكلام في فضل العربية والحث عليه ، قال عليه الصلاة والسلام : « رحم الله امرءاً أصلح من لسانه » ؛ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة ». وقال شعبة : « إذا كان المحدث لا يعرف النحو فهو كالحمار تكون على رأسه مخلاة فيها شعير ». وقال الشافعي رحمه الله : « ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس ». وقال بعضهم : « زين الرجال النحو وزين النساء الشحم » وسبب وضع النحو أن اعرابياً قدم في زمن عمر فقال : من يقرئني مما أنزل الله على محمد ؟ فأقرأه رجل « براءة » ، فقال : إن الله بريء من المشركين ورسولِه ، بالجر. فقال الأعرابي : وقد برىء الله من رسوله ، إن يكن الله بريئاً من رسوله فلأبرأ منه. فبلغ عمر مقالُ الأعرابي ، فدعاه ، فقال : يا اعرابي ، أتبرؤ من رسول الله ﷺ ؟ فقص عليه القصة. فقال عمر : ليس هكذا يا اعرابي. قال : فكيف هو يا أمير المؤمنين ؟ فقال : « الله بريء من المشركين ورسولُه » بالضم ، فقال الأعرابي : وأنا والله أبرؤ مما برىء الله ورسولُه منه. فأمر عمر أن لا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود الدؤلي فوضع النحو.

وقد اتفق العلماء على أن النحو محتاج إليه كل فن من فنون العلم ، أما التفسير فلا يجوز لأحد أن يتكلم في كتاب الله تعالى حتى يكون ملماً بالنحو ، فإنه عربي ولا تعرف مقاصده إلا بمعرفة قواعد العربية. وأما الحديث فقال ابن الصلاح : ينبغي للمحدث أن لا يروي حديثه بقراءة

لحان ، وقال الأصمعي : إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخـــل في قول النبي ، ﷺ : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، لأنه لم يكن يلحن ، فمهما رويت ولحنت فيه فقد كذبت عليه . وقد ذكروا لعلم النحو تفاسير ومن أحسنها قول بن بابشات : هو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله سبحانـــه والكلام الفصيح ؛ والغرض من النحو معرفة صواب الكلام وخطئه وفهم معاني كتاب الله عز وجل وفوائده ؛ فإنه لا ينبغي لأحد أن يدخل في علم من العلوم حتى يعرف الغرض الذي لأجله ليكون على بصيرة فيما دخل عليه . قال بعض الشيوخ : العلوم ثلاثة ، علم نضج وما احترق ، وهو علم النحو والأصول ؛ وعلم لا نضج ولا احترق ، وهو علم البيان والتفسير ؛ وعلم نضج واحترق ، وهو علم الفقه الحديث .

وأوصيكم بالحرص على طلب العلم النافع قراءةً ومطالعةً ومذاكرةً ، لأن علم الدين أفضل ما يكتسبه العبد من المناقب السنية . ففي الحديث : « قليل العمل مع العلم كثير ، وكثير العمل مع الجهل قليل – بحسب التوبة والقبول » . وقال النبي ﷺ ، حين ذكر عنده رجلان أحدهما عابد جاهل والآخر عالم : « فضل العالم العامل على العابد غير العالم كفضلي على أدناكم » ، ثم أتى بالأدلة الكثيرة على فضل العلم والتعليم .

وقال رحمه الله تعالى :

وأوصيكم بحفظ القرآن والإكثار من تلاوته إن أمكنكم حفظه ، لأنه من السنة الشريفة . ولتكن قراءتكم له مع التدبر والترتيب والتفهم لمعانيه ، ومن السنة أن يحفظه العبد بحيث يقرأه عن ظهر قلبه بدون النظر إلى المصحف ، أي يأخذه عن شيخ ماهر به ، فإذا تمهر فيـــه إلى أن يبلغ الغاية القصوى يقرأه كيف شاء ؛ خلافاً لمن قال : قراءة القرآن

في النسخة أكثر ثواباً ممن يقرأه بدون النظر إليه . وفي الحديث : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة » .

والمراد بالمهارة في الحديث جودة اللفظ وإخراج كل حرف من مخرجه وجودة الحفظ ، وهو المناسب هاهنا ، وأن يراد به كلاهما – . ثم أفاض في شرح هذا الحديث بما هو معروف في أمثاله ، إلى أن قال :

إخواني ، اقرأوا القرآن واستظهروه فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن . قال بعض الشيوخ : طلبنا خمساً فوجدناها في خمس : طلبنا القوة فوجدناها في صلاة الضحى ، وطلبنا ضوء القبور فوجدناه في صلاة الليل ، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن ، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة ، وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة . وأوصيكم أن تبادروا بصبيانكم إلى المكتب ليتعلموا القرآن وليختلط بلحومهم ودمائهم ، لأن قراءة الصغير كالنقش في الحجر وقراءة الكبير كالنقش في الرمل . ولا يجوز للمؤدب أن يعلم الصبيان في المسجد القرآن ، فإن فاعل ذلك يأثم ، وكذلك التأديب فيه للصنائع لا يُسوَّغ ، ففي الحديث : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم » .

وقد أطال ، رضي الله عنه في الحث على تلاوة القرآن والاعتناء به ثم قال :

إخواني ، اختاروا لأنفسكم وأولادكم الزوجات الطيبات ذوات الحسب والنسب ، وإياكم وتزويج الشهبرة واللهبرة والنهبرة والهيدرة واللفوت . أما الشهبرة فالزرقاء ، وأما اللهبرة فالطويلة الهزيلة ، وأما النهبرة فالعجوز المدبرة ، وأما الهيدرة فالقصيرة القبيحة ، وأما اللفوت فذات الولد من غيرك . وإياكم وخضراء الدمن فإنها تلد مثل أصلها ، وخضراء الدمن هي امرأةٌ

أمها قبيحة الفعل والنسب ، ويعبر عنها أنها مثل شجرة نبتت من مزبلة . وفي الحديث قال عثمان بن عفان : « انكحوا النساء على آبائهن وإخوانهن ، فإني لم أر في ولد أبي بكر أشبه عنه بهذا لإمامة – أسماء بنت سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه » . وفي حديث أبي عمر بن العلا قال : قال رجل : لا أتزوج امرأة حتى أنظر ولدي منها . قيل له : وكيف ذلك ؟ قال ، أنظر إلى أبيها وأخيها فإنها تجيء بأحدهما .

إخواني ، وإياكم واتباع علم الكمياء والكنوز ، والجداول والتبريج ، والفال وتقليب القلوب وطب الأكوه واللعب بالنرد والشطرنج : كل ذلك من الباطل ، وقد نهانا عن ذلك أهل الطريقة العروسية ، غاية النهي . ومن الباطل أيضاً علم العزائم والأسحار ، وربما يكون كفراً أعاذنا الله من ذلك . والعروسي لا يفعل شيئاً من المحرمات ولا المكروهات ولا يقتدي بجاهل لا يعرف العلم ولا اهله ، وأن لا يتعلم إلا من عالم ناصح نقي الجيب قليل الغيب عدل في الدين كريم العرض شريف النسب كبير السن . وإياكم والجلوس مع ثمانية أصناف من غير ضرورة وهم : كذاب – وقتات – ومغتاب – وتارك الصلاة – ومدمن خمر – وزان – ولواط – وعاق والديه – ومتكبر – وربما يجب هجرانهم لأن الطبع يسري كما في الحديث :

قال صلى الله عليه وسلم : « من جلس مع ثمانية أصناف زاده الله ثمانية أشياء : فمن جلس مع الأمراء زاده الله الكبر وقساوة القلب ، ومن جلس مع الأغنياء زاده الله الحرص في الدنيا ، ومن جلس مع الفقراء زاده الله الشكر والرضا بما قسم له ، والعزلة أحسن ، ومن جلس مع الصبيان زاده الله لهواً ولعباً ، ومن جلس مع النساء زاده الله شهوة وجهلاً ، ومن جلس مع الصالحين زاده الله رغبة في الطاعة ، ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع ، ومن جلس مع الفساق زاده الله الذنب والتسويف » – انتهى . ما أردنا نقله من هذه النصيحة .

وقال رضي الله عنه من ضمن نصحه لأتباعه بمدينة تونس : وعليكم بالأياس مما في أيدي الناس وبقطع الطمع فيه والاستشراف الى ما في أيديهم . وإن أهدى أحد من المسلمين إليكم معروفاً فاقبلوا منه واشكروه وادعوا له واصرفوه في حاجتكم ، فإن لم يكن لكم حاجة إليه فتصدقوا به ، وإذا أسدي إليكم شيء من وجهه ليس بطيب فردوه . وعليكم بالتوكل على الله والثقة بضمانه والطمأنينة بكفالته وكفايته ، والاستعانة به في كل أمر والاعتماد عليه في كل حاجة وإنزال جميع الحوائج بفناء كرمه وجوده . وعليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس فإنها عماد الدين ، وهي من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، ومن المحافظة عليها أن تصلىَّ أول وقتها وفي الجماعة ما أمكن ، ومن المحافظة عليها حضور القلب فيها وخشوعه ؛ وقبيح بالمصلي أن يكون جسده بين يدي ربه وقلبه متردد في أودية الدنيا .

وعليكم بالملازمة لجميع أورادكم التي كنتم تواظبون عليها في الحضر والسفر ، فلا تتساهلوا بترك شيء منها في السفر ؛ وما تعذر فعله منها بسبب السفر فاقضوه عند التمكن إن كان مما يقضى وإلا فقد خفف الله عن المسافر . وفي الحديث : « إن المؤمن إذا سافر أو مرض يأمر الله ملائكة يكتبون له مثل ما كان يعمل مقيماً وصحيحاً » . وهذا فضل من الله ورحمة وتخفيف ، فله الحمد ما أرحمه بعباده وألطفه . وعليكم بالإكثار من الذكر في كل حين ، وبملازمة الطهارة الباطنة وهي خلو القلب من الغل والحسد والغش لأحد من المسلمين ، وبملازمة الطهارة من الحدث والنجس . وقد أوصى الله إلى موسى : إذا أصابتك مصيبة وأنت على غير طهارة فلا تلومن إلا نفسك .

وواظبوا على أذكار الصباح والمساء فإنها حصن من الشيطان وحرز من الشر ؛ وحافظوا على أذكار السفر وما يقال عند الركوب والنزول ودخول

البلد ، إلى غير ذلك من الأذكار ..

وعليكم بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة بكل مسلم وحسن المصاحبة والمعاشرة مع من صحبتموه وبالسعي في مهماته كسعيكم لأنفسكم وبالحرص على إدخال السرور على قلبه وبالنصح له وهدايته إلى ما ينفعه في آخرته ودنياه . ولا يمنعكم الحياء من ذلك فشر الحياء حياء يمنع من العمل بالخير والدعوة إليه انما هو جبن سماه الشيطان باسم الحياء ترويجاً على ضعفاء الإيمان .

وعليكم بالتواضع ، وهو ان ينظر الإنسان إلى غيره من أهل الإيمان بعين الإجلال والتعظيم ، وإلى نفسه بعين الاحتقار والاستصغار ؛ وبالإخلاص ، وهو أن يريد الإنسان بكل خير يعمله وكل شر يتركه وجه الله وثوابه ، فمن أراد مع وجه الله منزلة عند الناس أو مدحاً أو مالاً فهو رياء ، والرياء محبط للعمل ومبطل للثواب .

وقال رضي الله عنه في آخرها ما نصه :

خاتمة : ينبغي للفقير أن لا يؤخر غسل الجنابة فإنه يكثر الوسواس ويمكن الخوف من النفس ويقلل البركة من الحركات واعلموا أن الأكل مع الجنابة والكلام في الخـــلاء يورث الصمم ، والبول في المستحم يورث الوسواس والبول في الماء الراكد يورث النسيان ، وأكل سؤر الفار والتفاح الحامض وكنس البيت بالخرقة وأكل الكزبرة الخضراء والمشي على قشور البيض وقراءة كتابة القبور والنظر إلى المصلوب والمشي بـين المقطورين وطرح القمل على الطريق وإدمان النظر إلى البحر ، كل ذلك يورث النسيان والفقر . ضفاء شعر الشارب لا ينبغي بل ربما يورث الفقر ، ويقال إن طول شعر الشارب منزلة الشيطان قال النبي ، ﷺ : « احفوا الشوارب وعفوا عن اللحى » . وجاء : أن من مشط لحيته قائماً مات جائعاً ولو كان ثلث

الأرض ملكه . وجاء عن النبي ﷺ ، أن من مشط بمشط مكسر أو كتب بقلم منعقد فتح الله له سبعين باباً من الفقر . ويقال إن تقليم الأظفار بالأسنان لا ينبغي ، كما في الحديث . ولا يشتري أحدكم شيئاً من ظالم أو سارق أو غال من الخلول وهي الخيانة في مال الغنيمة ، ويجتنب المكاسب الخبيثة . واعلموا أن الخبيث ما يكره لرداءته وخسته ويستعمل للحرام أيضاً من حيث كراهية الشرع واسترداؤه . والمراد ها هنا ما هو أعم منهما نحو كسف الحجام بالشرط وعن مخيطة الخراز وتقطيع اللحم وبيع الدخان وطبخ الفول لمن يبيعه للذراري والنسوان والإماء من غير إذن أوليائهم ، إلى غير ذلك .

ونهى العلماء عن القبض على عود السواك والسواك في الخلاء ، وطول شعر العانة والتعميم قاعداً والتسرول قائماًوالنوم عرياناً وفرط النوم وحرق قشر البصل والثوم ونومة الضحى وكثرة الضحك والقهقهة والكذب والضحك في المقابر واللعب في الحمام ونظرة العورة ووجه الميت وغصب البكر والزنا وعمل الذنوب وكثرة السهر مع التعب : كل ذلك لا خير في فعله ، والشريعة تجري مجراها . وتكره الصلاة على النبي ﷺ ، في مواضع على ما كرهه ابن القاسم ، رضي الله عنه ، قال : تكره عند الذبح وعند العطاس وعند الجماع والعثر والتعجب واشتهار البيع وقضاء الحاجة والحمام والأكل ومواضع الأقذار . واعلموا ان المداومة على المكروه تؤدي بصاحبها إلى الحرام ، وحب الدنيا يؤدي إلى رأس كل خطيئة . قيل لإمام سلسلتنا ابراهيم بن أدهم ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ فقال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

★ ★ ★

قلت : ثم ذكر عدداً من النصائح ، وهو نصيحة لمريده الصالح القدوة سيدي راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي ، ونصيحة لفقرائه الذين هم بغريان ، ونصيحة لمريده سيدي سعيد بن عبد الحميد الغدامسي ونصيحة لمريده سيدي عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني ونصيحة لمريده سيدي محمد بن عبد الكريم الشاذلي ونصيحة لمريده سيدي عبد الحميد بن علي العوسجي ونصيحة لجماعة من طرابلس الغرب ونصيحة لجماعة من أصحابه بالسوس الأقصى وكل هذه النصائح تفيض بالعلوم والمعارف والتوجيهات والإرشادات التي تأخذ بأيدي الفقراء إلى الطريق السوي والصراط المستقيم ، فجازاه الله عن الفقراء والإسلام والتصوف خير الجزاء .

المبحث التاسع

في مؤلفاته، ومؤلفات غيره في شأنه

علم مما قصصناه سابقاً عن الشيخ البرموني والشيخ السنهوري وغيرهما أن يحيى الزرهوني المشهور بيحيى الشقي تعدى على زاوية الشيخ ونهب ما فيها من الكتب والأرزاق، وأن أغلب المؤلفات ضاع ولم يبق إلا ما تحيلوا عليه، كما يقول الشيخ الحفيدي، ومن هنا بقي ما ينسب إلى الشيخ من تآليف، ووقفنا عليها محصوراً فيما يأتي :

١ – كتاب الأنوار السنية، وهو رسالة صغيرة للشيخ نفسه بيَّن فيها، رضي الله عنه، سلسلة سنده في الطريقة، كما بين بعض النعم التي انعم الله بها عليه، وذكر بعض الأدعية التي كان يدعو بها وكيف نزل به الوارد وما حصل له من الأمور العظيمة عنده؛ إلى غير ذلك من المعاني التي تجل عن إدراكنا وأفهامنا .

٢ – الوصية الكبرى : للشيخ – وهي مطبوعة ومتداولة نسبياً وتشتمل على توجيهات وإرشادات عظيمة حرية بأن تدرس للطلاب وتتبع بالكراسة لما احتوته من تعاليم ومواعظ وأحكام .

٣ – الوصية الصغرى : وهي على نمط الوصية الكبرى ، وقد ذكرها بكمالها صاحب مختصر البرموني .

٤ – نصيحة وجهها لأتباعه بتمبكتو .

٥ – نصيحة لأتباعه بمدينة تونس .

٦ – نصيحة لمريده الصالح القدوة سيدي راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي .

٧ – نصيحة لفقرائه بغريان .

٨ – نصيحة لمريده سيدي سعيد بن عبد الحميد الغدامسي .

٩ – نصيحة لمريده سيدي عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني .

١٠ – نصيحة لمريده سيدي محمد بن عبد الكريم الشاذلي .

١١ – نصيحة لمريده سيدي عبد الحميد العوسجي .

١٢ – نصيحة لجماعة من طرابلس الغرب .

١٣ – نصيحة لجماعة من أصحابه بالسوس الأقصى .

١٤ – الأحزاب الأربعة التي قدمنا شيئاً من كل واحد منها ، وهي تفيض علوماً ومعارف وحكماً وأسراراً وأدعية وتسابيح تدل على مكانة الشيخ ، رضي الله عنه .

أما ما لم نقف عليه من مؤلفاته فيكفينا فيه ما كتبه الإمام البرموني ، مما يدل على أنه شيء كثير ولكنه ضاع مع الأسف الشديد . قال الشيخ البرموني ، رحمه الله تعالى ، في هذا الشأن ما نصه :

« فأول ما أملى علينا التحفة القدسية في أول شهر محرم إحدى وسبعين وتسعمائة ، وقال : اسمها « التحفة القدسية لمن أراد الدخول في الطريقة العروسية » قدس الله سره ، ثم النصيحة الكبرى ، وقال اسمها « نصيحة المريدين في سر الأولياء والصالحين » . وأملى علينا نصيحة اخرى تسمى بالوسطى ، في عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة . وأملى علينا أربع نصائح في عام أربعة وسبعين وتسعمائة ، وقال : هذه نصائح التقريب في حق الفقراء والنقيب . وأملى علينا غير ذلك رسائل عديدة ينصح فيها للفقراء ، إلى غير ذلك . وقد كان له أربعون كاتباً معتنون ومتجردون لكتب كلامه ، منهم سبعة لا يفارقونه إلا وقت نوم أو طهر ، وقد كتبوا من مقطعاته وكلامه النثر في التصوف وغيره شيئاً كثيراً لا يمكن حصره ؛ وآخر ما أملاه علينا : كتاب العظمة في التحدث بالنعمة ، ورسالة تسمى : بالأنوار السنية في اسانيد الطريقة العروسية ، وفي التحدث بالنعم التي أنعم الله بها عليه . وأما ما كتبه بخط يده من التآليف والنصائح فهو أمر لا يحصى . وقد انتقل كثيره في يوم قتل المغاربة لسيدي عمران الذين رئيسهم يحيى الزرهوني ونهبهم الزاوية ، فلم يوجد من ذلك شيء إلا ما تحيلنا عليه وطلبناه في البلدان بعد توزيعه » .

مؤلفات العلماء في شأنه ، رضي الله عنه :

فمما وقفنا عليه وقرأناه من التآليف التي كتبت في حياة مولانا عبد السلام ما يأتي :

١ - كتاب النور النائر للإمام الشيخ سالم السنهوري .

٢ - كتاب فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم للشيخ عبد السلام العالم التاجوري .

٣ ـ تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر الذي يعد اختصاراً لكتاب الشيخ البرموني. وقد اختصره الشيخ الفاضل محمد بن محمد بن عمر مخلوف التونسي.

٤ ـ كتاب الشيخ البرموني الذي اختصره الشيخ مخلوف، وقد وقفت على الجزء الثاني منه ونقلت منه كثيراً مما كتبته في هذا التقييم. ولا زالت هذه الكتب كلها مخطوطات إلا مختصر البرموني، فإنه مطبوع ومتداول.

أما ما لم نقف عليه وذكره لنا الغير فمنها ما ذكره هؤلاء وأشاروا إليه أنه يوجد للشيخ المكي ـ تلميذ الشيخ ـ كتابان: الكبير والصغير، لأنهم يقولون: قال الشيخ المكي في كبيره كذا .. وفي صغيره كذا .. كما نقل لنا بعض هؤلاء الذين اطلعنا على كتبهم ما يستفاد منه ان هناك كتاباً ألفه شيخ يدعى بالحفيدي وسماه «البحر الكبير في مناقب صاحب البندير»، وقد نقلوا لنا منه بعض العبارات كما يعرف من كتابتنا في تقييدنا هذا في غير هذا الموضوع. ومما يذكر أن للإمام البرموني كتاباً آخر يسمى بالبرموني الكبير، وهو مخطوط، ويقال إنه يوجد عند بعض الناس في ليبيا وفي تونس وفي مصر. وقد اطلع عليه من اخبرني بذلك ولم نقف عليه إلى الآن.

وقد ذكر صاحب مختصر البرموني فائدة قال فيها:

«وقفت على كتابة تضمنت أسماء الكتب المؤلفة في ترجمة مولانا عبد السلام بن سليم وأسماء مؤلفيها، وها أنا ذا اذكرها لك لتعلم علو مرتبة هذا الشيخ، نفعنا الله به، وهي:

١ ـ مجموع كبير في أربعة أجزاء في الكامل كل جزء فيه أربعون كراسة

لمؤلفه الشيخ كريم الدين البرموني صاحب روضة الأزهــار الذي تصدينا لاختصاره .

٢ – النور النائر للشيخ سيدي سالم السنهوري .

٣ – ومجموع فيه ثلاثون كراساً في الكامل ، للشيخ سيدي عبد الرحمن المكي ، وله آخر وسط سماه الكبريت الأحمر وآخر صغير .

٤ – مجموعات لسيدي عمر بن جحا .

٥ – ومجموع في جزءين لسيدي عبد الرحمن الفيتوري » . انتهى ...

هذا ، وقد ترجم مولانا عبد السلام ترجمـــة مختصرة خاطفة بعض المؤرخين الليبيين كالشيخ أحمد النائب والشيخ طاهر الزاوي والشيخ محمد ابن مسعود وغيرهم ، ولعلهم لم يجدوا مصادر يعتمدون عليها في الإفاضة في ترجمته ، أو تركوا ذلك طلباً للاختصار أو لشهرة الشيخ أو لغير ذلك من الاعتبارات . وعلى العموم فلا بد أن هناك كتباً أخرى كتبها تلاميذه ومريدوه وأولاده ، ولكنها ضاعت لأسباب كثيرة كما هو شأن كثير من الكتب التي لم تحظ بالعناية والاهتمام من أهلها ، لا سيما وقد توالت على الوطن الليبي نكبات ونكسات من الحكم التركي إلى الاستعمار الايطالي الذي ألجأ الناس إلى الهجرة ومغادرة بيوتهم وبلادهم والتشرد إلى الصحارى أو البلدان الأخرى ، مما أدى إلى حرق كثير من المؤلفات والمخطوطات وتضييعها وهلاكها والقضاء عليها ، لا سيما والمستعمرون يعتبرون ذلك من أهم أسباب القطيعة والحيلولة بين الشعب الليبي العربي المسلم وتراثه وماضيه المجيد ، والأمر لله وحــده وله في خلقه شؤون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

المبحث العاشر

في الإنكار على طريقته
وما آل أمر المنكرين عليه بعد

من المعروف قديماً وحديثاً أن الله تعالى يبتلي طائفة الأولياء والصالحين في كل عصر وفي كل مصر ببعض الناس، لأسرار أرادها سبحانه، فيتسلطون عليهم وينكرون طرقهم ورسومهم، ويحاولون بشق الطرق أن يباعدوا بينهم وبين الناس. وأغلب هؤلاء المعترضين المنتقدين يفعلون ذلك حسداً لأولئك السادة واتباعاً لأهوائهم ونفوسهم، ورغبة في الشهرة وحب الظهور، ولكن الله دائماً يغار على أصفيائه وأوليائه فينصرهم على أولئك ويجعل كيد الماكرين في نحورهم. وبما أن مولانا عبد السلام، رضي الله عنه، لم يسلم من هذا اللون من الناس ومن المنكرين ممن ألهمه الله الصواب فرجع إلى جادة الطريق بعد أن تبين له الحق وأصبح من التلاميذ والأتباع النافعين المنتفعين، ومنهم من أصر على عناده وإنكاره، حتى بعد أن تبين له الحق، مكابرة ولم يرد الله به خيراً فاستمر على ذلك حتى أهلكه الله وانتقم منه انتصاراً لشرعه ودينه وتأييداً لأوليائه وأهل محبته: من أجل ذلك نريد أن نذكر شيئاً من ذلك هنا، ليكون قارىء هذا الكتاب على بصيرة في هذا الموضوع، فنقول:

الفصل الاول : في الانكار على اهل الله .

قال مولانا عبد السلام ، قدس سره ، في الوصية الكبرى مـــا نصه :

إخواني ، ولا تلتفتوا لأهل الإنكار ولا تشتغلوا منهم ولا من إنكارهم ، لأن الإنكار قديم ولم يبلغكم من أهل الإنكار ما بلغنا أبداً . إخواني ، ولا يزال ينكر علينا مبارك وأصحابه إلى أن اخرجونا مـن الساحل ويزليتن وجلينا إلى القلعة ، ومكثنا فيها سبع سنوات ولا رجعنـــا إلى الأحامد ويزليتين إلا بعد هول ومشقة ، ولا يدوم إلا وجه الله تعالى الدائم . ثم مات الفقيه مبارك ، رحمة الله عليه ، ثم مات زيد بن عبد المغيث ومات همام ومات العلام بن سليمان الغيثي ومات قفة الريش ، اللهم ارحمهم وتجاوز عنهم وسامحهم مني ؛ اللهم اغفر لهم ذنوبهم وتب عليهم يا تواب يا تواب .

إخواني ، وإياكم والإنكار على كرامات الأولياء ودرجاتهم وعلو قدرهم ومناقبهم الزكية ومراتبهم العلية وأحوالهم السنية ، وإياكم وذمهم وسبهم وشتمهم فإن لحومهم سم قاتل وهم على أقدام الرسل عليهم الصلاة والسلام وخليفتهم ، وإياكم وكلام الجاهلين في الأولياء والعلمـاء ففي الناس فريق معتقد مصدق وفريق منتقد ومكذب ، كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ فأما المكذب لهم والمنكر عليهم فمطرود عن حضرتهم لا يزيده ذلك إلا بعداً ، ولا شك أن من أنكر على الأولياء وأنكر وجودهم وكرامتهم فهو ليس بمؤمن وليس بعالم ، وقد نطق بذلك الكتاب العزيز وهو قوله تعالى : « ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » . وقوله تعـــالى : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

اخواني ، فالعجب العجيب ممن ينكر كرامات الأولياء والصالحين . وقد جاء في الآيات الكريمات والأحـاديث الصحيحات المشهورات حتى

بلغت في الكثرة مبلغاً يخرج عن الحصر ؛ قال شيخنا الدوكالي ، رضي الله عنه : والناس في إنكار الكرامات على أقسام ، فمنهم من ينكرها مطلقاً ، وهم أهـــل مذهب معروفون وهم المجسمة ونحوهم ، ومنهم من يصدق بكرامات من مضى من الأولياء ويكذب بكرامات أهل عصره .. إلى أن قال رحمه الله : كبني إسرائيل على زعمهم صدقوا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد وأصحابه .

إخواني ، فمن لم يسلم بأحد معين لا ينتفع بأحد أبداً . نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة . إلى ان قال استاذنا رحمه الله : الإنكار فرع من النفاق . قلت : وذلك لأن المنافقين لو لم ينكروا على محمد ﷺ ، لآمنوا ظاهراً وباطناً . يا عجباه ، يا عجباه ! كيف ينسب إليهم السحر والاستدراج وعمل الشيطان والصفات المذمومة ؟ فإن قيل هذه الكرامات تشبه السحر ، فالجواب : ان الفرق بين الكرامة والسحر أن السحر يظهر على يدي الفسقة والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة ، والأولياء ، رضي الله عنهم ، فإنما وصلوا إلى ذلك بكثرة اجتهادهم واتباعهم للسنة وأخذهم بالأحوط وتحفظهم على الديانة حتى بلغوا بها الدرجـــة العليا . إخواني ، والمنكرون لو رأوا أحداً من الأوليـاء يطير في الهواء لقالوا هذا سحر واستخدام للجن والشياطين . ولا شك أن من حرم التوفيق كذب بالولي حساً ومعنى ، فكيف حال هذا وتصديقه بالمغيبات التي أمر الله بها وهي الإيمان .. فربما زلت به القدم فخسر الدارين ، لأنه لو أنكر المحسوسات فبالتحقيق إنكاره المغيبات . إخواني ، مـــن ينكر الصالحين وينكر كرامتهم ووجودهم فانبذوه وأعرضوا عنه ولا تسلموا كلامه ، ولا شك ان الأولياء وعدتهم مرسومة وكراماتهم معلومة وطريقتهم مفهومة وأكثرهم مجاذيب .. إلى آخره .

وقال الشيخ سالم السنهوري في كتابه « النور النائر » في شأن ما يصدر من الفقراء ما نصه :

قال شيخنا الناصر : وأما الفقراء فمن لم يكن منهم فـــلا ينبغي له حضورهم واستماع كلامهم في الاجتماعات ؛ فإذا رأى واحداً منهم يرقص أو يهتز من غير رياء أو تكلف ، أو قام باختيار من غير اظهار ينتقدهم ، فإذا انتقدهم هلك .

والمجاذيب ترياق سر ، فالفرار منهم أولاً ؛ وأما من أراد حضورهم والدخول في طريقهم فليساعدهم فيما يقع منهم كسقوط عمائمهم وأزرهم وتمنطقهم بمآزرهم في حال سكرهم . ولا بد من صفاء النية معهم لأن هذه الأمور من حسن المحبة ، كما حكى الغزالي وغيره من المتصوفـة إذ المخالفة توحش . ولكل قوم رسم ، ولا بد من مخالطة الناس بأخلاقهم ، كما ورد في الخبر ، لا سيما إذا كانت أخلاقاً فيها حسن العشرة والمجامـلة وتطييب القلب بالمساعدة ، إلى أن يقول :

ولا بد للناظر في تقييدي هذا أن يسلم للطائفة العروسية ولا يعارضهم بإنكار ، فإن لحومهم سم قاتل دون سائر الطوائف . لأن الشيخ سيدي عبد السلام ، رحمه الله ونفع به ، كان يقول : من اعترض على فقرائي من بعدي بالنفس والهواء إن شاء الله يموت يهودياً أو نصرانيـاً . قلت : إن كان مرادهم الإنكار على الاجتماع فالاجتماع لا يوصف ببدعة ولو مع شد الآلة والشبابة ، على قول من قال بجوازهما من الصوفية وغيرهم . إلى أن يقول : أيها المنكر على هذه الطائفة الذين قعدوا بنيانهم على أساس عظيم ، والله ورسوله وحبله فإني أخاف عليك علة تقطعك عن الله تعالى بسبب إنكارك على هذه الطائفة ، فسلم لهم واترك المجازفة لئلا تبارز مـــلاك بالمحاربة . وأي شيء أعظم من محاربة الله عز وجل ، لخبر قدسي

« من عادى ولياً فقد بارزني بالمحاربة » ، وهؤلاء الطائفة التي تنكر عليها علماء وأولياء ، وكل أرباب البصائر متفقون على التسليم لها ؛ لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، إنا لله وإنا إليه راجعون والسلام ..

— انتهى كلام الشيخ السنهوري ..

الفصل الثاني : في بيان من انكر عليه وما آل امره اليه .

قال الشيخ عبد السلام العالم في كتابه « فتح العليم » ، في شأن من أهلكهم الله على يد الشيخ من المنكرين عليه ما نصه :

منهم حماد شيخ من شيوخ تاورغاء ، كان محباً للشيخ معتقداً له في حياته ، وكان قد علت حجته واشتهر صيته وتمهدت بلاده ورأى من العز ما لم يره غيره ، فلما أن مات الشيخ كره لأولاده مجيئهم فجاءه الشيخ في المنام وقال له القطعة المشهورة وهي التي يقول فيها :

اياك يا حماد اقرع وانكمش على الأولاد

الى آخره ..

وفيها كلام كبير من وعظه والثناء على الأولاد . فلما ان استيقظ من نومه نسي كلام الشيخ ، ثم بعد ساعة أدخل يده بجيب قميصه فإذا فيه مكتوب لم يكن يعلمه فيه ؛ فأخرجه وقرأه فإذا فيه جميع ما قاله الشيخ مناماً ، فكف عن ذرية الشيخ مدة ثم عاد ، فعجل الله بهلاكه .. إلى آخره .

وممن أنكر عليه الشيخ سالم الحامدي وصار بعد ذلك من أعظم أحبابه وتلاميذه وأتباعه . قال صاحب مختصر البرموني ما نصه :

قال سيدي عبد الرحمن المكي في « صغيره » : لما رجعنـا ليوزليتن ومكثنا بها على عادتنا وجدنا بها الشيخ الإمام العالم العلامة سيدي سالم ابن عبد القادر الحامدي قد جاءها مـن مصر ، فجلسنا في حلقة درسه وفيها سبعون طالباً . ولما مكثنا نحو الأربعة اشهر تكاثر علينـا الفقراء والزيار والتلامذة ، وجاء من حلقة الشيخ سالم المذكور تسعة عشر طالباً واعترفوا بالشيخ الأسمر وأخذوا عنه الطريقة ، ونحن لا تفارقنا الحضرة منذ وصلنا البلاد ليلاً ونهاراً . فأنكر علينا الشيخ سالم وأرسل للشيخ الأسمر في النهي عن ضرب البنادير والحضرة ، ولم يتغير منه الشيخ ويقول : احيا الله من كان يحيي طريق السنة . وكان يعبر الشيخ كثيراً ويعترف بقدره ويقول : رحمة للمؤمنين ونعمة أنعم الله بها على عباده الصالحين .

ثم إن سيدي سالم قال : عبد السلام يستتاب وإلا يقتل . فأخذ الشيخ الأسمر حال عظيم وأنشد :

إن كنت جاهل ولي ما تغلب فيـــه

إلى آخره ..

قلت نقلت هذه العبارات على نحو ما وجدتها مكتوبة ، ولم أفهم لها معنى ؛ ولعل بها شيئاً من التحريف أو النقص . ثم قال صاحب مختصر البرموني : ولما بلغت القصيدة للشيخ سالم قال : هـــذه لا ترد الاعتراض . ثم بالغ في الإنكار على طريقتنا العروسية بأدلة وأجوبة وضيق علينا تضييقاً شديداً ، فشكينا به إلى الشيخ الأسمر ، فقال : لعل ذلك منـــه امتثال للسنة مما ظهر له منها ، لأني كم من مرة نعاينه كمعاينة القوس لنضربه بالسهام فتعرضني دونه السنة ، ويكون لي منه شوك من حديد كالرماح الطوال حتى لم نجد أين نضربه . واستمر الشيخ سالم في الإنـكار

علينا إلى ان جمع جماعة من الفقهاء والطلبة وأهل البلاد والشيخ والقائد ، وجمعوا اسئلة ومناقشات وألغازاً ومعهم المدخل وابن الحاجب والبرزلي والمعيار وغيرهم وقالوا : إن أجابنا سلمنا له حاله وأحواله وإن لم يجبنا فالشريعة تجري مجراها . فأظهر الله له أسئلتهم وأجوبتهم وجميع أمورهم وهو في خلوته مع جماعة من الفقراء . فلما وصل الشيخ سالم ومن معه إلى حلقة الذكر قام وأخذ البندير وضربه فتواجد وأنشد يقول :

اياك يا سالم — لا تنكر الاوتار
بربك لا تندم — واصمت عن الانكار
ذا أمر متعاظم — باين خفا وإجهار
ان تبتغي العلم — أنا نحفظ المعيار
عندي بحور الفهم — والنور والأسرار
وإن تبغي الحلم — عليك بالأخيار
اخدم وتحزم — واعشق وجيج الطار
وإن تبغي الظلم — ادخل مع الأمار
تبقى كلاب الدم — تاتيك من الافجار
وإن تبغي الحكم — عليك بالأمصار
لا عدت تتكلم — في الذكر يا نكار
وأن كان تتقدم — تبقى مثيل حمار
في الشور تتهشم — تغدي مثيل غبار
اصحب رجال العلم — تورد على الأبحار
وإن كان تبغي السم — نعطيك بالقنطار
إياك يا سالم — اشطح على الأشعار
اجدب ولا تفخم — وارقص على المزمار

إلى آخر ما قال . .

فما أتم هذه الأبيات إلا وإذا بالشيخ سالم يشطح والجماعة كلهم يتمايلون ، فلما أفاقوا من ذلك قبلوا رأس الشيخ وتبركوا به بعد ما ندموا على ما صدر منهم . ثم قال الشيخ : يا فقراء ، من عنده منكم المدخل ومن عنده منكم ابن الحاجب ومن عنده المعيار ؟ وذكر لهم جميع ما جاءوا به ولم ينظر ذلك عندهم بعينه . ثم قال : هذا عنده المدخل ، أخرج الكتاب الذي تحت إزارك نقرأه عليك بتمامه من غير نظر فيه ! فقرأه عليهم وهم يسمعون . وقال للذي عنده ابن الحاجب والبرزلي : اخرج الكتابين ، نقرأهما عليك من غير نظر فيهما ! فقرأهما وهم يسمعون . ثم أجابهم عن المسائل التي جاءوا بها وفسر لهم جميع الألغاز والمشكلات فاعترفوا بفضله وأخذوا عنه الأوراد والطريقة ، وصار الشيخ سالم من أكابر تلامذته وكاتباً له ، وأظهر في طريقته العجب العجاب انتهى ..

وممن أنكر على الشيخ ووقع له مثل ما وقع للشيخ سالم هذا الشيخ سعيد التطاوني . قال المصدر السابق ما نصه :

وأما ما وقع للفقيه سيدي سعيد التطاوني مع الشيخ الأسمر فقد كان ينكر على الشيخ حتى أنه ذات يوم أنكر عليه في وسط درسه وطعن في عرضه الطعن الكبير ، فتلكن لسانه في تلك الساعة ولم يعرف ما يقول . فألقى الشرح في الأرض وقام من وسط حلقته ومعه جماعته وجاءوا به إلى الشيخ الأسمر . فلما رآهم أخذ البندير وضربه وأخذه حال عظيم وأنشد يقول :

اينك وأين كتابك دعواك بالفقهيه
للشوم رايك جابك بعدأن نكرت عليّه
مسلوب بين أصحابك ما عاد فيك ضوية
ما ينفتح لك بابك حتى تصفي النية

وتجي تهز تيابك في الدائرة القدسية
اعمل الحضرة دابك تكسب علوم خفية

إلى آخر ما قال ..

فما أتم هذه الأبيات إلا والفقيه سعيد أخذه حال عظيم حتى صار يرقص ؛ ولما أفاق من تلك الشطحة جلس أمام الشيخ وبكى وطلب منه العفو ؛ ثم أخذ عنه الطريقة وصار من أعز تلامذته وكاتباً له ولازمه إلى الممات . انتهى ..

وممن أنكر عليه الشيخ سالم بن طاهر . قال المصدر السابق : كان الشيخ سالم يعترض على الشيخ أول أمره من جهة استعماله الشطح بالبندير امتثالاً لما ظهر له لا لهوى وحض نفس ، حتى اعترض عليه يوماً بمحضر فقير له وأغلظ عليه . فجاء ذلك الفقير شاكياً للشيخ . فلطم الشيخ بيده في الهواء وراء ظهره وقال : الله أكبر سالم . فوقعت على عيني سالم فتألمتا ألماً شديداً وجعل يقول : عماني الشيخ ! احملوني إليه . فحملوه إليه ووضعوه بين يديه ، فوضع يده على عينيه فبرأتا وتاب لله وأخذ عنه التلقين .
— انتهى ، نقلاً عن اصله ..

وممن أنكر عليه الشيخ سيدي كريم الدين البرموني ، صاحب التآليف المشهورة في مناقب الشيخ وغيرها ، ثم صار من أكابر تلاميذه وممن كتب عنه وعن حياته ، رضي الله عن الجميع . قال في مختصر البرموني ، نقلاً عن الأصل : قال رحمه الله : كنت في ابتداء أمري أيام مكثي بزاوية سيدي أحمد زروق أنكر مع من ينكر على هذا الشيخ ، وأبالغ في الإنكار عليه بجهلي ، وأقول فيه ما أقول . فلما كان ذات يوم تحركت نفسي وعزمت على المشي إليه ونقلت مسائل من جامع ألوان شريس تدل على منع

ضرب الدف من غير حضور الوليمة . فلما وصلت إليه وتكلمت معه في ذلك قال : يا برموني نسبة علمك مع علمي كنسبة النقطة من البحر ؛ فشتان بين النسبتين . فلما سمعت منه ذلك المقال ظننت أنه يفتخر عليّ بالمحال ؛ فبالغت عليه بما قصدت به ورغمت نفسي بالتحامل ؛ فأدخل سبابته في فمي ومصها وقال : هذا علمك يا برموني . فلم يتم مقالته حتى تغير حالي وتخبل مقالي ولم أجد شيئاً مما كنت أعرفه من العلوم . وتألمت عيناي فحوقلت واسترجعت وعلمت أنه البحر الذي لا يعارض ، والسابق الذي لا يجارى ، يغترف من فيض بحر إلهي ومدد رباني . فجعلت نقبل يديه مظهراً التوبة طالباً منه رد ما ضاع مني من العلم وشفاء الألم الواقع ببصري فلم يرد عليّ ذلك إلا بعد جهد جهيد ، فمن ذلك الوقت أخذت عنه التلقين ولازمت صحبته ، والحمد لله الذي جعلني من أهل طريقته وحزبه ، ذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .. انتهى .

قلت : وقد تقدمت قصة الشيخ الحطاب واعتراضه على الشيخ وما آل إليه في الكلام على كرامات الشيخ ، فراجعه إن شئت . كما تقدم أيضاً ما قاله الشيخ سالم السنهوري عن نفسه أنه كان ينكر الاجتماع على الذكر إلى أن اجتمع بالشيخ واطلع على الأسرار فسلم ذلك لأهله وأصبح من أكابر التلاميذ ، وممن يكتب دفاعاً عن الشيخ وطريقته ، رضي الله عنهم جميعاً ، وهؤلاء الذين أراد الله بهم خيراً وكان إنكارهم امتثالاً لظاهر الشرع . فلما اتضح لهم الأمر سلموا ذلك لأهله وتابوا ورجعوا وانخرطوا في سلك الصالحين ، وأخذوا الطريقة وكانوا من أعوانها وأنصارها بأقوالهم وأفعالهم ، ولم يقع لهم من إنكارهم إلا الضرر البسيط مؤقتاً ثم أعقبه النفع الدائم الكامل ، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

وأما الذين أصروا على إنكارهم وكان إنكارهم مبنياً على الهوى واتباع

النفس وحب الشهرة والظهور فلم ينتفعوا ولم يرجعوا واستمروا على ذلك حتى هلكوا وماتوا شر ميتة ؛ كما وقع للشيخ مبارك وأخيه وزيد بن عبد المغيث وهمام والعلام الغيشي وحماد التاورغي وغيرهم .. مع ان الشيخ لرحابة صدره وسعة كرمه ووافر جوده وسخائه وعطفه وإحسانه سامحهم وعفا عنهم ودعا لهم بالمغفرة لذنوبهم وترحم عليهم ، رضي الله عنه ، ونفعنا به آمين ..

هـذا ، ولا زال المنكرون يتعرضون لأهل الطرق والمنتسبين إلى الله تعالى في كل وقت ، وأنا شخصياً كنت ممن ينكر على أصحاب الطرق والحضرات وما إلى ذلك ، ووقع لي مع بعضهم قصة عجيبة أفضل أن لا أسجلها في هذا التقييد ، وقد كان سبب انتسابي إلى الطرق وتأييدي لأصحابها وانخراطي في سلكهم واتباعي لسبيلهم ، والحمد لله على ذلك ولله في خلقه شؤون وله الفضل والمنة على عباده .

المبحث الحادي عشر

في الكلام على ما صدر من بعض المنتسبين إليه وهو منه براء

لقد دلت التجارب الملموسة أن أي مصلح من المصلحين ، وفي أي وقت من الأوقات حاول أن يأتي بمبادىء نافعة يعالج بها أمته وشعبه وسار على طريق مخصوص وسلك سبيلاً معيناً معها تحافظ عليها ما دام ذلك المصلح موجوداً بين ظهرانيها ، فإذا مات حاول الكثير من أبنائها أن يتحللوا من تلك المبادىء وأن يضيفوا إليها ألواناً وألواناً مما لو كان ذلكم المصلح موجوداً لحاربها ولأزالها من بين صفوفهم . ومن هنا نشأت عبادة الأصنام في الامم السابقة عندما يطول عليهم الأمد بعد انتقال رسولهم إلى الرفيق الأعلى ، واختراع بعض الأمور التي تتطور شيئاً فشيئاً إلى إن تصبح لوناً من الشرك وعبادة الأوثان . ومن هنا أيضاً كان الوضع والكذب على رسولنا محمد ، عليه الصلاة والسلام ،وهو ما تصدى لرده طائفة من العلماء من الأحاديث المختلفة والمزيفة والتي لا أصل لها ، وإنما أُريد بها تشويه جمال الإسلام والزيادة فيه والنقص بما يحط من قيمته . ولا شك أن الناس يقبلون عن حسن نية كل ما يضاف وينسب إلى كل شخصية محترمة تحتل مكانة مرموقة في التاريخ ، لا سيما من الناحية العقائدية والدينية .

وإن نصيب أولياء الله والصالحين من ذلك عظيم بدون شك ، فقد أضيفت إليهم ألوان من الأكاذيب والخرافات التي لا يمكن أن تصدر عنهم ولا يسعون بها ولا يقوون أتباعهم عليها . والميزان النقدي المعتبر في ذلك هو عرض كل أمر ينسب إليهم أو يقول به بعض أتباعهم على قانون الشريعة الإسلامية الغراء ، فما يشهد له أصل منهـا ولو على رأي بعض المجتهدين فإننا نقبله ونقره ، وإن خالف ذلك فهو مردود في وجه صاحبه مهما كان ومهما كانت أحواله ، إلا المجاذيب كما تقـدم أمرهم مفصلاً . وهذا ما دعاني إلى عقد هـذا المبحث لأذكر فيه بعض الأمور التي يقوم بها بعض أتباع مولانا عبد السلام ولكنه بريء منها ولا يرضى بها ولا يقرها لو كان موجوداً ، ولا يمكن أن يقبل ذلك من فاعليه ولا حجة لهم في ذلك مهما كانوا وكانت ظروفهم إذا لم يكونوا من المجاذيب .

ويعجبني في هذا الموضوع ما نقله الشيخ عبد السلام العالم التاجوري في كتابه « فتح العليم » وهو موجود في كثير من المنتسبين للشيخ وطريقته في زماننا هذا وفي بعض أولاده ، وإن كان أخذ في التناقص والزوال شيئاً فشيئاً لأن العلم انتشر والمعرفة عمت أغلب الناس وشارك أولاد الشيخ وأتباعه غيرهم وقاسموهم في التحصيل للعلوم ونور المعرفة ؛ ولذلك نقتصر على ما نقله الشيخ عبد السلام العالم وان كان يوجد غيره من بعض المساوي التي لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات والكمال لله وحده ، والله يتولانا ويتولى الجميع بلطفه ورحمته ، ويتوب علينا وعليهم ويحسن أحوالنا جميعاً بمنه وكرمه ، قال رحمه الله في هذا الشان ما نصه :

ولنذكر ما وعدنا من التنبيه على مـــا عمت به البلوى من بعض المنتسبين الى الشيخ على سبيل الاختصار ، ومن لم ينتفع بالإشارة لا يفيده كثير العبارة فنقول وبالله التوفيق : منها ، وهو أعظمها ، محبة الدنيا الذي

هو رأس كل خطيئة وفيه من مخالفة طريق الشيخ مايعلم مما مر في وصيته وما هو كثير في مقطعاته ، وفيه من مخالفة السنة ما لا يحتاج إلى ذكرنا له ، حتى قال بعضهم : ما من حرف في كتابه ولا سنته إلا وهو ينفر من محبة الدنيا .

وقد عمَّت هذه البلية ، وإنا لله وانا اليه راجعون جميعاً ، وسلبت عقولنا ، لكن آل التكالب عليها وكثرة الطمع فيها ، والعياذ بالله ، ببعض الناس إلى عمل الحضرةوضرب البنادير لاصطيادها ،حتى ظن كثير ممن لا علم له بالشيخ أن ذلك طريق الشيخ ، وحاشاه من ذلك ، وقد تقدم نهيه رضي الله عنه عن الطمع وضرب البنادير للدنيا وقدم من زهده وإعراضه عن الدنيا كل الإعراض مالا مزيد عليه في تبرئته ، من ذلك . وقد سمعنا أنه سمع بنديراً يضربه سائل يسأل به ،فركض الشيخ فرسه هارباً ساداً أذنيه وأمر جميع من حضره بذلك، وقال : كل من سمعه لا يرى الجنة . وسمعت أنه بلغه أن أحد اولاد صلبه ضربه لذلك ، فدعا عليه وعلى ذريته بالفقر فهم على ذلك إلى الآن . ولعل هروب الشيخ من سماعه أنه لم يمكنه في ذلك الوقت تبطيله ، وإلا فقد رأينا بعض أتباعه وهو الشيخ سيدي أبو راوي لا يجده في موضع يمكنه تمزيقه إلا مزقه . ومن أعجب ما سمعته أن واحداً ممن دل كلامه على أن الله يفتح عليَّ بشيء من الخير ممن اتصف بالتلويح على الطمع في الناس ، وهو الذي يسمونه بالفتوح ، قال لي لما لمته على ذلك : إن هذا الفتوح طريق الشيخ . فقلت له : ما دليلك على ذلك ؟ قال : قوله في بعض مقطعاته :

يا أبي الزهرة أدوا لعبد السلام
بنصر من الله والفتح طول الدوام

فلم يحمل الفتحة في كلام الشيخ إلا على الطمع والتلويح على الأعراب والقصاة لأجل شيء تافه من حرام حطام الدنيا ، فإنا لله وإنا اليه راجعون .

ومنها ، وهو من أعظمها ، بل هو والذي قبله الأصل في جميع ما ذكرناه وما لم نذكره ، وهو بغضهم للعلم والتعليم وأهلهما ، وهو المصيبة العظمى التي يجب على المؤمن مخالفتهم فيها، وقد تقدم من حضّ الشيخ على العلم والتعليم وعلى محبة العلماء وأهل القرآن والقرب منهم والبر بهم ما يعلم منه براءته من هذه الصفة التي لا يظن مسلم اتصافه بها ، فضلاً عن هذا الولي الكبير ؛ كيف ولم يتخذ الله ولياً جاهلاً ولو اتخذ لعلمه ، وقدمنا أن الشيخ مكث سبع سنين لا يفارق الدرس أصلاً . . .

إلى أن يقول في هذا الموضوع : وأكثر ما غرهم — حتى كرهوا العلم وأهله — ما يقع في كلام الشيخ ومقطعاته من ذكر الفقيه والدعاء عليه ، فظنوا من تعسهم انه عام في جميع الفقهاء ، فإذا أمرت الواحد منهم ممن ظهرت عليه أمارات الخذلان والعياذ بالله بتعلم أو غيره من الأفعال التي حض عليها الشيخ في وصيته ، يجلب لك من كلام الشيخ على الفقيه ما يستعين به على رد الأمر بالمعروف وعلى استدامته ارتكاب منكره فيضل ويُضل ويوهم الناس أن مراد الشيخ جميع من اتصفوا بالفقه . وأداهم هذا الفهم القديم الفاسد إلى النهي عن تعلم السنة المحمدية ، وردوا جميع ذريتهم ومن يلوذ بهم حتى ماتوا جاهلين بجميع ما يلزمهم شرعاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فإياك يا أخي أن تتبعهم في ذلك فتكون معهم من الخاسرين ، ثم إياك أن تحمل كلام الشيخ على الفقيه على كل فقيه ، بل كلام الشيخ ، رحمه الله ، إنما هو على فقيه كان في زمنه من حسدة الشيخ فمات شر ميتة ، كما تقدم بعض كلام عليه أوائلَ هذا التقييد .

إلى أن يقول : ومنها عملهم الحضرة عند جميع من دعاهم إلى ذلك ولو كان طعامه حراماً ، بل ربما كانت مسارعتهم إلى الظلمة أكثر ، وربما

تفاخروا بذلك . وهذا أيضاً مخالف للشرع ولطريق الشيخ ، وقد قدمنا من احتجاجه على مراد آغا وتقدم في كلامه عن الظلمة وقربهم في الوصية ما فيه أقوى دليل على أنه بريء منه ، والحمد لله رب العالمين .

ومنها عملهم للحضرة أيضاً في الموضع الذي يقرب من النساء ويسمع منه زغاريدهن ، وهي من أقبح الخصال ومن أشد الفتن في الدين ، لا يفعلها إلا من لا شفقة له على دينه ؛ فإياك يا أخي ثم إياك ، فإن الله ورسوله والشيخ يمقتونك ولا بد . بل إياك أن تشهد ما عمله النساء ولو كان خلياً من ذلك فإن كثيراً من نساء أكابر الدولة يعملن الحضرة ويخسرن عليها كثيراً ليتوصلن بذلك ولو بالتدريج لما في أغراضهن من الفواحش . وقبول الإحسان من المرأة مذموم في غير هذا فكيف به إذا أدى إلى منكر ؟ والمسلم لا يرضى شيئاً من ذلك .

ومنها ضرب البنادير مع المزمار المعروف بالزكرة ، فإن كثيراً من المناكر الذي وقع في حضرة الشيخ إنما وقع بعد استعمالها ، وفيها مخالفة للشرع وطريق الشيخ ، وقد تقدم في وصيته التصريح بالنهي عنها . ومما شاهدته من شؤمها أن كثيراً ممن ظهرت عليهم أنوار طريق الشيخ وصار داعياً إلى الله فيها ، وسارعت إليه الفقراء من كل جانب وأخذوا عنه طريق الشيخ ، وأطاعته الأمراء فمَن دونَهم ، فقد جميع ما معه من ذلك لما صار يستعملها . وذلك ، والله أعلم ، لما تقدم في وصية الشيخ ، رضي الله عنه ، من أنها تجمع الشياطين كما يجمع المؤذن جماعة المسلمين للصلاح . ولا شك أن ذلك مما يطمس البصيرة ويكسف أنوار الشريعة المستنيرة .

وقد اخبرني بعض من كان يستعملها من ذرية الشيخ أنه رأى في المنام كأنه راكب على فرسه يسير نحو زاوية الشيخ ، فلما وصل قرب الشيخ

سيدي أبي حشانة ، وهو في محل يشرف منه على موضع زاوية الشيخ ، إذا بأناس كثيرين لا يحصون قرب الزاوية ، وكان فيهم رجل طويل جداً زائداً طوله على أولئك الجماعة بكثير ، وكان وسطه رجل آخر نابت فيه كفرخ النخلة فوق رؤوس الناس . قال : وإذا بأناس متجهين وجهتي أمامي قد ولوا هاربين ، فقلت لهم : مَن هؤلاء الناس المجتمعون ؟ قالوا : هؤلاء الأولياء والصالحون والفقراء اجتمعوا كلهم . فقلت لهم : وذلك الذي يظهر في وسطهم كأنـه في طول النخلة ؟ قالوا : ذلك رسول الله ﷺ . فقلت : ومن ذلك الرجل الذي نابت فيه فوق الناس ؟ قالوا : ذلك الشيخ سيدي عبد السلام . فقلت لهم : وما شأنكم ؟ قالوا : إن الرسول ﷺ ، والشيخ قد طردوا جميع من يستعمل الزكرة في الحضرة . قال : فقلت لهم ، وأنا أستعملها . قال : فقالوا لي ، اهرب ؛ فوليت هارباً فزعاً مرهوباً ؛ فاستيقظت وأنا على تلك الحالة . انتهى ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فاحذر يا أخي هذه الخصلة الذميمة ولا يغرنك من يستعملها ولو رأيته يطير في الهواء ويمشي على الماء ، فإن الحق أحق أن يتبع ، بـــل عليك بتغيير منكرها وإبطالها ما أمكنك ، فإن لم يمكنك فاجتنبه منكراً بالقلب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وأعظم من استعمالها محاجة بعضهم فيها وتصريحه بحلّيتها ، لأن مستعملها على أنها محرمة ترجى له التوبة منها بخلاف من يرى حليتها أو لا يعلم أن من أحل حراماً كفر . وانظر إلى الشيخ ، رضي الله عنه ، لما تكلم عن البندير كيف لم يقل إنه حلال ، بل قال فيمن أنكر : إن الشرع أمره بذلك . مع أن البندير لا يخلو من رخصة .

ومنها عدم تصفية النية في الزيارة ، وعدم اهتمامهم بزادهم وزاد دوابهم فيها ، حتى أني رأيت من ينتظر الزيارة لتسمن فيها فرسه فقط . فإذا

عزم كبّر المحلاة حتى تصير تأخذ الكيلة وأكثر ، وليس له اعتناء إلا بما فيها من أكل الأطعمة والفواكه ، خصوصاً إذا كانت الزيارة في مصراته ، لسخاء أهلها . لا ترى من يهتم منهم بعوين ولا علف دوابه ، ولا يبالي عند من نزل . ولعمري إن زيارة مثل هؤلاء هي التي تقدمت في كلام الشيخ انها 'تذهب الأنوار وتغضب الباري وعليها ينصب ذم من ذمها وحذّر منها؛ من القول ومن كلام الشيخ في الوصية تعلم براءته من كل ما يتلبسون به فيها . وما رأينا من امتثل كلام الشيخ فيها مثل الشيخ سيدي أبو راوي ، رحمه الله ورضي عنه ، فإنه كان لا يمشي إلا بالزاد الكثير والنقد الكافي ، ولا ينزل إلا عند القليل من الناس ، وستأتي الإشارة إلى شيء من أحواله في ذلك . وكذلك عن الشيخ سيدي محمد بن جحا وسيأتي أيضاً مثل ذلك عن سيدي عبد الوهاب بن الشيخ ، وعن سيدي فتح الله بن طاهر ، والله سبحانه ولي التوفيق .

وكذا لا يجوز موافقتهم على ما يفعلون في أسفارهم كلها من عدم حمل الزاد وقد تكون معهم الجامعة الكبيرة ، وفي ذلك من الذل والعار ومخالفة السنة ما لا يرتضيه عاقل ، وإذا كلمهم أحد في ذلك ينقلون له عن الشيخ رضي الله عنه أنه كان يقول : أولادي زواياهم في رؤوسهم . ويحملون ذلك على أن مراده أنهم لا يحملون زاداً ويأكلون من أطعمة الناس ، هم ومن معهم من الآدميين والدواب ، فتنال الناس من مشقتهم ، ما لا يعلمه إلا الله ولا يشك عاقل في حرمته . وحق كلامه أن يحمل أن مراده أنهم يحملون من الزاد من عندهم ما يكفي جميع من معهم ومن يرافقهم أو يرد عليهم ، حتى لا يحتاجوا إلى احد ولا يطمعوا في أحد ، فحينئذٍ يحق له على ذلك أن يقال إن زاويته في رأسه تسير معه حيث سار ، إذ الزاوية من شأنها أن تطعم الناس لا أنها تخسرهم وتكون كلاً عليهم ، والله المستعان .

ومنها أكل طعام من لهم عليه جاه ، وهي مصيبة عظيمة عمت بها البلوى عند جميع من له جاه من المرابطين وغيرهم ، وليست خاصة بأولاد الشيخ ولا أتباعه ، بل هم فيها أقل من غيرهم ، وهو باب من السحت لا يسلم منه إلا النادر ، وقليل ما هم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ومنها أخذ بعضهم الزكاة مع عدم استحقاقه إياها ، وإذا ليم على ذلك يقول : الصدقة تجوز على صاحب مائة ناقة ؛ كأنه يستدل على جواز أخذها لغير المستحق ، ومصيبة اعتقاده حليتها أعظم من مصيبة أخذها ، أفلا يعلمون « إنما الصدقات للفقراء والمساكين .. » إلى آخر الأصناف الثمانية المذكورين في آية براءة ، وربما وقع من ذلك في الخروج من الدين والعياذ بالله .

فاحذر يا أخي من جميع ما ذكرته وغيره من جميع ما يخالف شريعة المصطفى ﷺ ، ومن عز عليه دينه هانت عليه الأمور كلها ؛ وإن قدرت على تغيير شيء من ذلك مع موافقة الشرع أيضاً برفق ولين كما ينبغي ، فلا بأس ؛ وإلا فدعهم وما دفعوا إليه ، فإن مراد الحق منهم ما هم عليه مع إقامة العذر لهم وحسن الظن والتماس المخارج الحسنة . فطوبى لمن شغله عيبه المحقق عن عيوب الناس المظنونة أو المتوهمة . وإياك والوقوع فيما فيه بعض من لا نور له عند النهي عن المنكر من الوقوع في منكرات ، بل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، ويجعل خير عمرنا آخره وخير عملنا خواتمه ، وخير ايامنا يوم لقائه بمنه وكرمه آمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الخاتمة
في ترجمة بعض مشايخه وأولاده وأحفاده وتلاميذه

بعض مشائخه

سيدي عبد الواحد الدوكالي :

فمن مشايخ مولانا عبد السلام الشيخ سيدي عبد الواحد الدوكالي ، قال الشيخ في وصيته ما نصه :

فمنهم أستاذي وشيخي وقدوتي عبد الواحد الدوكالي ، المغربي القرشي نسباً ، المسلاتي داراً ومنشأً ، المالكي مذهباً ، الأشعري اعتقاداً ، العروسي طريقةً ، رضي الله عنه . وقد كان في زمانه من كبار الشأن ، ومن الرجال الأعيان أهل الأسرار والبرهان ، علماً وعملاً وأدباً واتباعاً لأصحاب رسول الله ﷺ ، وكان رضي الله عنه أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية ، وعلم النحو والمعقول والفقه والحديث والتصوف .

وكان يقرىء الناس في كل يوم سبع دولات (حصص) من قبل صلاة العشاء الأخيرة . وكان يقول للناس : من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه ويقل غمه وينجلي همه فليعتزل الناس لأن هذا الزمان زمان عزلة . وكان إذا صلى العشاء الأخيرة يدخل خلوته ولا يمكن أحداً أن يدخلها معه ، فلا يخرج منها إلا عند طلوع الفجر وكان يصلي في أول الليل من صلاة العشاء الأخيرة مائة ركعة من النوافل ، وبعد ذلك يذكر اسم الجلالة سبعين ألف مرة ، ثم يقرأ أحزاب الشيخ الشاذلي وأسماء الله الحسنى والبردة والمرزوقية ويأخذ في الدعاء والابتهال والتذلل إلى أن يغشاه نور ساطع يكاد يخطف الأبصار إلى أن يغيب فيه عن النظر . وقد جاءه مائة فقيه من المغرب وجادلوه وامتحنوه فأجابهم بكل علم . وكانت فتواه تعجب علماء طرابلس وتونس أشد الإعجاب ويعملون بها ، وكانوا يقولون : سبحان من أنعم على الإمام الدوكالي بهذه العلوم . وكان رحمه الله يحب الشيخ زروق وكان مواظباً له ويتذاكر معه في العلوم ومن أجلّ أحبابه . ولم يوجد مثل شيخنا المذكور في الدواكلية حتى في المغرب كله ، وهو رجل جميل الصورة فصيح اللسان حسن الخلق صبور يحب أهل الحقيقة وأهل الطريقة . وكان علماء مصر يعظمونه تعظيماً طيباً وشهدوا له بالعلم والإجازة والتعظيم والتفويض .

وكان يفتي في الأربعة مذاهب ، ولم يوجد بطرابلس مثله قط . وقد ظهرت له إشارات وكرامات وعلوم ظاهرة وباطنة وأسرار وأنوار . ومن كلامه ، رحمه الله ، قال : أقبح من كل قبيح عروسي شحيح . ومن كلامه قال : ليس منا ذو قبح وشح وحرص . ومن كلامه ، رحمه الله ، قال : السخي الجاهل أفضل من العالم البخيل . ومن كلامه ، رحمه الله ، قال : فقير بلا شيخ كشجرة نبتت بنفسها لا تفلح ثمارها ولا يتم إنتاجها ، ومن كلامه رحمه الله قال : فقير من غير صحبة كسحاب بلا مطر . ومن

كلامه رحمه الله قال : صوفي بلا تقوى وخوف من الله كشمعة تضيء على غيرها وتحرق نفسها ؛ أو كمثل من قعد أربعين سنة أو خمسين سنة يتطهر ويجدد الوضوء وهو لا يصلي صلاة واحدة ، أو كشجرة يابسة تظل على غيرها والشمس قد أحرقتها .

ومن كلامه رحمه الله قال : من أقبل على الآخرة وركن إليها أحرقته بنورها وصار سبيكة ذهب ينتفع بها ، ومن أقبل على الله أحرقه بنور التوحيد صار جوهراً لا قيمة له (؟) ومن كلامه رحمه الله قال : القراءة عبادة . وقال : من سمع الحكمة ولم يعمل بها فهو منافق . وقال : يقول الله عز وجل : من صبر علينا وصل إلينا . وقال : روائح نسيم المحبة يفوح من المحبين ، وإن كتموها تظهر ، وإن أخفوها وستروها تدل عليهم . وقال : الهمه مقدمة الأشياء والنية مبلغة العمل فمن صحح همته ونيته أتت توابعه على الصدق والمحبة ، فإن الفروع تتبع الأصول ، ومن أهمل همته أتت عليه توابعه مهملة والمهمل من الأحوال والأفعال لا يصلح لبساط الحق تعالى ..

وقال : إن الله تعالى يرزق العبد حلاوة ذكره ، فإن فرح بها وشكره آنسه بقربه وإن قصر في الشكر أجرى الذكر على لسانه . وقال رضي الله عنه : الفقراء أشراف الناس ، لأن الفقر لباس المرسلين وجلباب الصالحين وتاج المتقين وغنية العارفين ومنية المريدين ورضاء رب العالمين . وقال رضي الله عنه : من استولت عليه نفسه صار أسيراً في حكم الشهوات ، محصوراً في سجن الهواء ، وحرم الله على قلبه جميع الفوائد ، فلا يستلذ بكلام الله ولو قرأ كل يوم ختمة ، لأن الله تعالى يقول : « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق » ، يعني المحجوبين عن فهمها وعن التلذذ بها . وذلك لأنهم تكبروا بأحوال النفس والدنيا فصرف الله عز وجل عن

قلوبهم فهم مخاطبته ، وسدّ عليهم فهم طريق كتابه ، وسلب عنهم الانتفاع بمواعظه وحبسهم في سجن عقولهم فلا يعرفون طريق الحق بل ينكرون على أهل الحق ويحرفون كلامهم إلى معان لم يقصدوها . وقال رضي الله عنه : من قرأ القرآن بقصد الدرجات في الجنة فقد رضي بالقليـل بدلاً عن الكثير ، لأن الجنة مخلوقة والقرآن ليس بمخلوق ، ومعظم الفائدة في قراءة القرآن انما هو وجود الرب سبحانه وفهم خطابه ، فكيف بمن يطلب لقراءته عوضاً من الدنيا ؟ ومن فعل ذلك فقد فاته خير القرآن كله . وقال رضي الله عنه : الغيبة فاكهة القراء وضيافـة الفساق وبستان الملوك ومراتع النسوان ومزابل الأشقياء . وقال رضي الله عنه : لا تنكروا على فقير حاله ولا لباسه ولا طعامه ولا شرابه ، ولا على أي حاجة كانت . إلى أن قال : ولا إنكار على أحد إلا إذا ارتكب محظوراً صرحت به الشريعة والسنة الظاهرة ، لأن الإنكار يورث الوحشة ، والوحشة سبب لانقطاع العبد عن ربه عز وجل . فإن من الناس خاصاً وخاص الخاص ، ومبتدئاً ومنتهياً ومتحققاً ومتسبباً ويرحم الله البعض بالبعض ، فاحذروهم ولا تخالفوهم إلا بالأدب . ولا شك أن الإنكار على أهل الله فرع من فروع أهـل الاعتزال وفرع من فروع أهل النفاق ، أعاذنا الله من ذلك .

ولو نكتب ما نطق به إمامنا الدوكالي رضي الله عنه لجمعت مائة كتاب ، لكن زماننا هذا الذي هو به زمان إنكار وأحزان وافتان . وكان ، رضي الله عنه ، لا يأكل من الطعام إلا قدر دحية الدجاجة الصغرى ويشرب وقية من الماء ويقول : أكثر من هذا فساد ! وكان لا يحب الحس وكثرة الكلام والنزاع الذي في غير طاعة الله . وكان لا يحب كلام أهل الدنيا ولا مجالستهم . عاش مائة كاملة وثلاثين عاماً ، وقد أدرك شيخنا ذا القرنين وهو ابن عروس ، يعني ذا الشيخين. وقد أدرك أيضاً أبا راوي الفحل وأبا تليس وجالسهم مراراً ، وهو من أهل القرن التاسع وعاصر أهل القرن العاشر ولم يحن ظهره ولم

تسقط أسنانه ، إلى أن مات رحمه الله في يوم الجمعة في أواسط شهر رمضان ، ودفنوه بزعفران ببلد مسلاتة .

سيدي احمد زروق :

قلت : أحببت أن أذكر ترجمة الشيخ الإمام ، العالم الفاضل سيدي أحمد زروق عقب ترجمة الشيخ سيدي الدوكالي لما بينهما من العلائق والارتباطات والتشابه ، وما حصل بينهما من الأخوة والمحبة والمعاشرة في مصر وفي طرابلس ، كما تقدمت الإشارة إلى بعض ذلك في ترجمة سيدي الدوكالي قريباً . وهو وإن لم يكن من مشائخ مولانا عبد السلام ولكنه كان من أعز أصدقائه وأحبابه وزملائه في الدراسة والحضور على الشيخ الدوكالي ، وهذا ما جعلني أذكره عقب شيخ الجميع سيدي الدوكالي ، رضي الله عنهم اجمعين ..

فأقول وبالله التوفيق : قال في مختصر البرموني ، نقلاً عن الأصل ، ما نصه :
ولد كما قال قبل طلوع شمس الثامن والعشرين من محرم سنة ست وأربعين وثمانمائة وتوفي أبوه وأمه قبل السابع فكفلته جدته فحفظ القرآن وتعلم الخراز .

ثم اشتغل بالعلم في السادس عشر من عمره فقرأ الرسالة على سيدي عبد الله الفخار وعلى السبطي بحثاً وتحقيقاً ، ثم أخذ على الخوري والزرهوني والمجاصي والأستاذ الصغير وغيرهم . وضفه ابن غازي بالفقيه المحدث الفقير الصوفي الصفي البرنسي بضم النون نسبة لعرب بالمغرب . انتهى ..

ووصفه شيخنا شمس الدين اللقاني : هو الشيخ الكبير الشهير الكامل العالم العامل ، شيخ شيوخ أهل الطريقة وإمام أهل الحقيقة ، مربي السالكين

ومسلك المريدين ، شيخ الطريقة والجامع بين الشريعة والحقيقـــة ، أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق . قال : كان رضي الله عنه يربينا ويعلمنـــا الخير ويحضنا عليه ، فعلّم وأفاد وربى وأجاد ، وأعطى ومنح وجاد . ومن شيوخه سيدي عبد الرحمن الثعالبي والمشدالي وابراهيم التازي وحلولوا والرصاع وأحمد بن سعيد المبارك وأبو مهدي المداسي والشيخ السنوسي وبالمشرفة الخروبي الكبير وعلى السنهوري والحافظان الذهبي والسخاوي وأحمد بن عقبة الحضرمي والشهاب الإفشيطي والشيخ فتح الله أبو رأس .

وله تآليف كثيرة مختصرة محررة محققة مفيدة ، كشرحي الرسالة والإرشاد وشرح مواضع من مختصر خليل رأيتها بخطه ، وشرح القرطبية وشرح المباحث الأصلية وشرح الوغليسية والغافقية والعقيدة القدسية . وله تسعة وعشرون شرحاً على حكم بن عطاء وقفت منها على الثاني عشر والسابع عشر والخامس عشر والرابع عشر . وله شرحان عـــلى حزب البحر وشرح مشكلات الحزب الكبير وحقائق المقر وقطع الششتري . وشرح أيضاً الأسماء الحسنى والمراصد لشيخه ابن عقبة والنصيحة الكافية ومختصرها وإعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين ، وقواعد في التصوف في غاية الحسن والنصح الأنفع والجنة المعتصم من البدع بالسنة ، وعمدة المريد الصادق من اسباب المقت في بيان الطريق وحوادث الوقت ، جليل ، فيه مائة فصل في بدع فقراء الوقت ، وتعليق لطيف على البخاري في ضبط الألفاظ وجزء صغير في علم الحديث ورسائل كثيرة لأصحابها في الأدب وحكم ولطائف .

وبالجملة فقدره فوق ما يذكر ، فهو آخر المحققين من الصوفية ، حج مرات وله كرامات وأخذ عنه خلق كثير كعبد الهادي البسكري والشهاب

وطاهر القسنطيني والشمس اللقاني والخروبي الصغير والحطاب الكبير وغيرهم ممن لم يذكر تعدادهم . وبلغ القطبانية العظمى ، وتنسب إليه قصيدة على منهاج الجيلانية منها :

أنا لمريدي جامع لشتاته إذا ما سطا جور الزمان بنكبتي
فإن كنت في كرب وضيق ووحشة
فنادِ أيا زروق آتي بسرعةِ
فكم كربة تجلى بمكنون سرنا وكم طربة تجنى بأطراف صحبتي

ودعا الله أن لا يلحق بالقرن العاشر ، توفي في صفر سنة تسع وتسعين وثمانمائة ، ودفن بزاويته المعروفة بمصراتة ، واستخلف بعده الشيخ شمس الدين اللقاني ثم انتقل للمشرق . انتهى – اصل .

وفي الرحلة العياشية انه خلف أربعة أولاد وخلف نصف فرس وجبة صوف وبرنساً أبيض وسبحة وأربعة عشر سفراً وكناشة لا غير .

– انتهى مختصر البرموني ..

وهنا نعود إلى الكلام على مشايخ مولانا عبد السلام كما جاء ذكرهم في الوصية الكبرى :

سيدي فتح الله أبو رأس :

قال الشيخ في الوصية : ومنهم سيدي فتح الله أبو رأس القيرواني ، رضي الله عنه ، من المشايخ الصوفية ؛ ذو رفعة قوية كان مفتياً ببلد القيروان وكان يلبس العمامة البيضاء والازداد الأبيض ويركب على فرس بيضاء . وكانت فتواه تعجب علماء إفريقية والقيروانيين ، وكان يقرأ القرآن

بعد صلاة الظهر بالقراءات السبع . وكان يتكلم في اثني عشر علماً وكذلك يفتي على مذهب الإمام مالك وأبي حنيفة . وكان من اخلاقه على جلالة قدره أن يقف مع الصغير والكبير والحقير والجليل وغيرهم ويجالس الفقراء ويبشرهم ويكرمهم الإكرام الطيب ويفلي لهم ثيابهم . وكان لا يقيم لأحد من أرباب الدولة والظلمة وليمة قط ، ولا يقف بباب سلطان ولا وزير . وكان يصلي الصبح بوضوء العشاء الأخيرة ، ويصلي المغرب بوضوء الظهر ، وكان رضي الله عنه شريف الأخلاق وكامل الأدب وافر العقل كثير التواضع ، مسلماً لجميع الناس ، سخياً حنوناً شفيقاً على الفقراء والمساكين . وكان لا يحكم ما في يده من القليل والكثير . وكان من أهل التوكل ولا يكتسب من الدنيا شيئاً ولا قبضت يده منجلاً يحصد به زرعاً ولا جعل محراثاً يحرث به في أرض بادية ولا حاضرة ولا وجبت عليه زكاة الفطر قط . ولم ير جوعاً ولا عطشاً .

وكان يلبس أفخر اللباس وإذا قيل له : احرث وافلح ؛ يقول : إن الله هو الرزاق . وهو من أجل الشيوخ الذين كانوا من الصادقين . ثم ذكر الشيخ سيدي عبد السلام عنه أبياتاً تركناها لأنها يصعب فهمها على أمثالنا . قال سيدي عبد السلام : ولما بلغ هذا الكلام إلى علماء إفريقية والقرويين أنكروه وحكموا بكفره وأخرجوه من بلاد القيروان وكادوا يقتلونه وزوروا عليه كلاماً للسلطان ورسم بشنقه ثم تداركه اللطف ففر منهم ومعه جماعة من أهل بلده وأهل عصره من أبناء جنسه إلى أن وصل إلى طرابلس واعترف مع شيخنا الدوكالي وأخذ عنه شيخنا المذكور العلوم والتصوف والطريقة . وكان يحبني كثيراً ويقول لي : يا ولدي يا ولدي .. وكنت أنا نقول له : يا جدي أبو رأس . وقال هو رحمه الله : كنت أقول لسيدي أبي راوي الفحل : يا جدي ، وكان سيدي أبو راوي يقول لسيدي فتح الله العجمي : يا جدي .

ومن كلامه رحمه الله ونفعنا به آمين قال : اشهدني الله تعالى ما في

السماوات السبع وما في الكرسي وما في اللوح المحفوظ وجميع ما في الحجب فكتب طلامس السماوات السبع والفلك الثامن الذي فيه جميع الكواكب وجميع المنازل والبروج وكل (؟) متصلاً به ، ومسكت بيدي نجوماً معلقة في الهواء بسوق الفلك الثامن ، وهي بنـــات نعش والجدي والقطب ، ووصلت إلى الفلك التاسع الذي يسمونـــه الأطلس ورصدت جداوله وأنا عند ذلك طفل صغير لم نبلغ الحلم . وقد رأيت في السبع المثاني حرفاً معجماً قد حار في تفسيره الملائكة والجن والإنس فحللته وفسرت مشكلاته وكشفت رموزه وفهمت معجماته .

ومن كلامه قال : كنت وأولياء الله أشياخاً في الأزل بـــين يدي رسول الله ، ﷺ – وهنا قال عنه سيدي عبد السلام كلاماً طويلاً أغلبه لا نستطيع فهمه والأولى بنا عدم الإتيان به ، فتركناه – ، إلى أن يقول : إخواني ، وكلامه رحمه الله لا يحصى ، فعليكم بمناقبه إن أردتم النظر فيها ، وهي نحو العشر كراريس لشيخنا الدوكالي . وكان رضي الله عنه ببلاد تاورزه ، وقد ازداد في يوم الجمعة في شهر ذي الحجة عاش تسعين عاماً وانتهى من بلادنا إلى أن وصل إلى بلاد السودان ومـــات فيها وقبره مشهور يزار ببرنو .

سيدي أحمد أبو تليس :

ومنهم سيدي أحمد أبو تليس القيرواني ، رضي الله عنه ؛ كان من أحسن السادات الأخيار والصلحاء الأبرار والأولياء الأحرار علماً وعملاً وأدباً وحـــالاً وكمالاً وجمالاً . وكان يؤم الفقراء بخلوته ويقول معهم بالسماع . وقد حسده علماء إفريقية والقرويين وكرهوه ورموه بالزندقة حسداً وبغضاً لولايته وعلو مقامه وعلومه الظـاهرة والباطنة ، ونسبوا

إليه الزور واشتكوا به للسلطان وكتبوا عليه الشهائد والوثائق على أنه محجر ويقتل ، ففر منهم جوف الليل هو وأصحابه وركب في البحر إلى أن وصل بلاد بني وليد ، ومكث فيها نحو سبع سنين .

قال شيخنا الدوكالي : وتزوج فيها أربعة من النساء بالصداق ، فلما سمع بالأمير توفي رجع إلى بلده القيروان ومات فيها ودفنوه في ربض الجامع الكبير بالبلاد المذكورة . عاش خمسين عاماً وقبره مشهور يزار ببلاد القيروان . قلت : ولم يذكر مولانا عبد السلام تاريخ ميلاد سيدي فتح الله ولا سيدي أبي تليس ولا تاريخ وفاتهما ، والله أعلم .

سيدي أبو راوي الفحل :

قال : ومنهم سيدي أبو راوي الفحل القلعي ، رضي الله عنه ؛ من أكابر السادات . وهو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب إلا وهباً من الله تعالى . وهو رجل صالح من بطن أمه ولم يشاهده أحد ينظر في وجوه الناس ولا يحرج عليهم ولا يتغير على أحد قط . ولم تفارقه صلاة الجماعة وكان لم ينظر في وجه امرأة ليست من محارمه . وكان لا تخفى عليه صنعة إلا ويعرفها . وكان لا يتوضأ إلا بالماء الذي يملأه بدلوه وبيده . وكان لا يسمع شيئاً إلا ويحفظه لغواً من غير كتابة . وكان لا يأكل طعام اليهود ولا يحملهم ولا يحمل من ينظر في وجوههم ولا يكلمهم . وكان لا يفتر عن الذكر حتى وهو يمشي في الطريق . وكان أهل إفريقية إذا أشكل عليهم أمر من الأمور يأتون إليه فيحل لهم كل مشكل عويص وكل رمز من الرموز .

وقد أشار الشيخ ابن عروس بصلاحه وهو في بطن أمه ، وكانت

أمه سلفاً عقيمة ولهـا جمال عظيم . وهي امرأة صالحة وكانت تصوم الدهور وتزور قبور الأولياء الصالحين وتتصدق بما في يدها على الفقراء والمساكين ، ولها شعر طويل أحمر يصل إلى قدميها ، ولم تضفره بجدرة ولا بدريرة ولا بطيب النساء مطلقاً . ولم تكحل عينيها بالأثمد ولم تمس بيدها حناء ولم تتزين بشيء تتزين به النساء . ولم يشاهدها أحد تضحك أو تتبسم إلا الذكر والبكاء والتضرع والنفور من الدنيا . وهي عروسية كانت تحب الفقراء والعروسيين وتكرمهم الإكرام الطيب . وكانت تلبس الأبيض والأخضر ، وكان زوجهـا يعرف بقدرها وتعرف بقدره ولم ينازعها ولا تنازعه . وكان زوجها رضي الله عنـه من تلامذة الشيخ سيدي ابن عروس وصاحباً له ، وكان سيدي ابن عروس يقول له : يا أبا الفتح ، في ظهرك ولي صالح قـد يبلغ خبره المشرق والمغرب . فيقول له : يا سيدي ابن عروس ، أنا عقيم وزوجتي عقيم ، فيسكت الشيخ سيدي ابن عروس ، رضي الله عنه ونفعنا به آمين . وكان أبو الفتح المذكور نجار الشيخ وجزاره وخديمه ، ولم يعص له أمراً في كل شيء يأمره به فيفعله .

وكان يصلح السمسم والزجاج والعقيق والميال ، وكان يلبس الشاشية البيضاء والقفطان الأبيض والسروال الأبيض والنعل الأبيض ويركب على الحصان الأبيض ويزور الأولياء والعلماء . وكان من شأنه أنه لم يأكل طعاماً فيه ملح . وكان يحب المنتسبين لله وجميع أهل السنة ويحب حملة القرآن ويقول : هم أهل الله ..

وكان يقرأ القرآن بالسمع . وكان إذا خرج من صلاة الجمعة يتبعه أهل المدينة ويشيعونه إلى داره . ولم يشبع أحد من ميعاده ولا حديثه ولا كلامه . وكانت زوجته المذكورة تتمنى أن يكون لها ولد صالح

وتستشار في الأولياء والمشايخ أن يجمع الله شملها بجنين يكون صالحاً . فذات يوم من الأيام قصدت إلى الشيخ ابن عروس تستشاره فأظهره الله على ما في ضميرها وخاطرها على شبح العين فرفع وجهه ورأسه إلى السماء راغباً منذ عشر ساعات حتى أغمي عليه . ثم أفاق وقال : اللهم إلهي وسيدي ومولاي أن تأخذ بيدها لا حول ولا قوة إلا بك . ثم قال لها : إذهبي إلى دارك . وأشار بيده إليها نحو الميلين ، فرجعت إلى دارها فحملت في تلك الليلة بجنين في حينها ، وفرحت فرحاً شديداً .

وخرج زوجها أبو الفتح المذكور فلبث في بطنها ذلك الجنين ثلاث سنوات ثم ازدادته . وفي ليلة ازدياده قد أمطرت بلادهم بالأمطار النافعة وكثر الزرع والربيع وجميع الخيرات في ذلك العام الذي ولد فيه . وقبل ازدياده لم تمطر بلادهم نحو عشر سنين متتابعات ، حتى وقع فيهم القحط والشر الكثير ومات الأكثر من تلك البلاد ، ولم يرتفع عليهم القحط ونحوه إلى أن ازداد هذا المولود المبارك . فسمع الشيخ ابن عروس بالمرأه وبازديادها به أي بأبي راوي فأرسل إلى زوجها أبي الفتح المذكور إلى أن حضر بين يديه وأمره أن يسمي ذلك المولود بأبي راوي الفحل : يعني الذي في ليلة مولده قد روت بلادهم بالماء النافع حتى كثر الزرع والربيع .

وكان أبوه ، وهو أبو الفتح المزبور ، مجاوراً لجامع الزيتونة ، وكان ينجر السفاين ويخيط التازره ويبيع الحمص المسلوق ، وأصله ونسبه من القلعة الصغيرة . ثم بعد عدة سنين تزيد على الاثني عشر عاماً قد اجتمع المسمى أبو راوي وسيدي ابن عروس بجامع الزيتونة بمدينة تونس ، ورسموا الحضرة بالجامع المذكور فدخل في وسطها أبو راوي المذكور فسقطت تفاحة من الهواء فتلقاها سيدي ابن عروس بيده وأعطاها لسيدي أبو راوي الفحل فشمها ووضعها في جيبه . فمن ذلك

الزمان قـــد ركب فيه السر الأعظم وظهر برهانه وشع نوره وثبتت ولايته . ولم يكن بإفريقية أحد أجمل منه . وهو رجل مربوع القد أبيض اللون يلوح إلى الشقرة رقيق الأنف أفلج الأسنان حسن الصورة كثير الانطلاق حسن الأخلاق ، وكان يلبس الكتان الأبيض الفائق .

إخواني ، وقد كساه شيخه ابن عروس الأنوار الكاملة والكؤوس التامة من غير قراءة ولا خدمة . وهو أيضاً أمي لا يقرأ ولا يكتب . وكان يتكلم عـــلى معاني القرآن والسنة المشرفة كلاماً نفيساً تحير فيه العلماء . وقد تكلم على تونس وما يقع فيها بين الحفصيين فكان الأمر كما ذكر . وكان يقول للأمير الحفصي : تحول على مكانك وأعطِ المفاتيح لابن أخيك سالم ، فلا يلتفت إليه ويقول : هذا مهبول ومجدوب لا عبرة به ولا بكلامه . فبعد ذلك بأربعة أيام كان الأمر كما قال ، فتولى الحكم سالم ابن أخي السلطان . وكان رضي الله عنه كل ما يحصل من الفلوس يتصدق به على إخوانه أو أصحابه وأهل حزبه ومن معه من الأرامل والعاجزين والمحتاجين والفقراء والمساكين . وكل محل كشفه اللوح المحفوظ فلا يقول شيئاً حتى ينظر فيه . وكان لا يأكل الروح ولا ما يخرج منها ، وكان لا يأكل إلا من صنعة يده . وكان يقول : يا أهـــل إفريقية ، ما دام جرمي حياً في بلادكم لم يغلبكم النصارى ولا يقربونكم ولا يملككم أولاد الروم . فأنا ضامن لكم منهم بالبرور والبحور . فكان الأمر كما قال ، رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

فمن كراماته رضي الله عنه كان يتفل في الماء فيعود لبناً ويتفل في الخمر فيصير عسلاً فائقاً . ومن كراماته رضي الله عنه كان يأمر الرحى فترحى بنفسها ، ويشير على المغزل فيغزل من غير واسطة ولا صانع . ومن كراماته ، رضي الله عنه ، كان إذا صاح في الصحراء تأتيه الأغوال

والذئاب من كل جانب ويجلسون معه ويرقدون في حجره . ومن كراماته رضي الله عنه إذا سمع الآلات يطير في الهواء ويهيج من قوتهم ويحوم كالطير وينطق حين هيامه بالتوحيد والفرائض والسنن والعلوم الظاهرة والباطنة ، ويتكلم بكلام أهل الحقيقة وكان يبرىء الأجذم والأبرص - وهنا ذكر الشيخ من كراماته أشياء كثيرة وأطال في الكلام عليه إلى ان قال رضي الله عنه - : عاش ستين عاماً ودفنوه بالمدينة المذكورة : يعني سوسة التي تقدم ذكرها من قبل . قال : وقبره مشهور يزار ، رضي الله عنه ونفعنا به آمين . وطوينا بقية الكلام عليه لأن أغلبه لا يتفق وأحوال أهل الزمان وأفهامهم فلا يستفيدون منه بل ربما يتضررون ..

سيدي احمد بن عروس :

قال مولانا عبد السلام : ومنهم الشيخ الفقيه ، الإمام العالم العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن الولي الصالح سيدي محمد بن الشيخ سيدي عبد الله بن الشيخ سيدي أبي بكر بن الشيخ الفقيه العدل الخطيب شيخ الصالحين وإمام العارفين سيدي عروس التميمي الهواري ، شريف القدر والنسب ابن عبد الواحد بن زيد بن عبد الرحمن بن مسعود بن ساعد بن طاهر بن سيروج بن كعبية بن سعد بن رواحة بن شبية بن كنانة بن قتادة بن الفضل بن عباس بن عمر بن عبد الله بن عبد القادر بن سعيد الشريف الهاشمي القريشي . وأما أمه اسمها « حفيصة بنت ابي الليث » القدسي الطرابلسي محمد بن شعبان بن عبد الحميد بن سعد بن زيد بن ثابت من بني النجار والخزرج .

كان رحمه الله من أكابر الصوفية ، كبير المقدار عالي المقام قاهر جيوش اللئام قطب الزمان وحامل لواء أهل العيان ، حجة الصوفية وإمام أهل

الطريقة العروسية ، زين العارفين وعالم المهتدين ومعـــدن الأسرار ونور الأنوار . جاء رضي الله عنه في هذه الطريقة بالعجب العجاب ولم يقـدر عليه أحد من جانب الكشف والإلهام وعلوم الباطن .

وكان يسمع أذان الملائكة في السماء وحملة العرش ، وله مناقب كثيرة لا يحصيها أحد . وقد أنطقه الله بجميع المغيبات وخرق له العادات وأظهر على يديه العجائب وأجرى على لسانه الفوائد والأحكام . واتبعه أكابر تونس واعترفوا بفضله . وكان السلطان الحفصي ينزل إلى زيارته والناس يأتون إليه من أقطار الأرض ليزوروه ويعرف ما في ضمائرهم ويتكلم لكل أحد بما في خاطره بالشعر الحسن ، إلى أن كتب الطلبة من أشعـــاره ثلاثمائة كتاب ، ومن مناقبه عشرين جزءاً في الكامل ، حتى سمع بذلك أمير الجزائر فأرسل إلى الحفصي عثمان على أن يأتيه بجميع تلك الأشعار والمناقب أن يحضروا بين يديه ينظر فيهن ويقرأهُم ، فجمعهم السلطـان الحفصي وحملهم في مركبه إلى أن وصلوا إليه فأمر سلطان الجزائر بحضور علماء تلك البلاد فاعترضوا عليها وأنكروها إلى أن قالوا : هذا عـــلم لا ينفع وجهل لا يضر واتباعه يظهر الشخص على حفظ القرآن والعلم وتلاوتها ، وقد اتفقوا على حرقها وأججوا لها النار وألقوها في الكوشة فلم تحرقهـا النار وبردت فوضعوها في سفينة وألقوها في البحر فالتقمتها سمكة كبيرة شبيهة بجبل أُحد ومكثت في بطنها سبع سنين .

ثم بعد أن ماتت تقاياْها البحر بساحل الإسكندرية في جوف الليل ، وكان لتلك السمكة نور عظيم يلمع كالبرق . فجاءها الناس من تلك البلاد واقتطعوها وقصوا على بطنها فوجدوا تلك الأجزاء وتلك الأشعـــار والمناقب . وشاع الخبر إلى أن وصل إلى مدينة تونس وبلغ أميرها الحفصي المذكور فاشتراها من أمير الاسكندرية بالذهب فأعطاه في كل ورقة بندقة

ولم يفتح منها شيء ولم يتغير منها حرف ولا معنى ، حتى تعجب الناس من ذلك .

وقد استقطب أربعين عاماً وغوثاً ثلاثين سنة ، وكان أهـل إفريقية يستشفعون به فيشفعون ويستغيثون به فيغاثون وتأتيه طوائف من رجال الغيب ، ومن الجن يعلمهم الطريق إلى الله عز وجل . إخواني ، لو كانت النبوءة تنال بالمجاهدة والعبادة لنالها سيدي أحمد بن عروس . وقد تكلم بلسان الحال في آخر عمره إلى أن قال : أنا لكل جبار عنيد نقمة ، أنا لكل شيطان مريد فتنة ، أنا لكل من عثر جواده وفرسه من أصحابي وفقرائي وأولادي وعترتي وأحبابي إلى يوم القيامة ، حتى بلغ يقول : الله كذا وكذا أنا هو وكذا وكذا ونعلم بكذا والكون كذا وكذا ، فأنكر عليه علماء إفريقية وأفتوا بتكفيره فانفرد عنهم وانقطع ببيته ، عاش مائة كاملة وخمسة عشر عاماً ، ومات بمدينة تونس وقبره مشهور يزار وعليه قبة ومقام عظيم . وهو من أكابر أهل وقته ويقرأ القرآن على تسع عشرة رواية ، ويحفظ المختصر والرسالة ويتلوهما كما يتلو القرآن . وكان يحفظ الحكم وتاج العروس وابن عباد وغيره ، وله في كل عـلم طريق وفهم ، واسمه معروف لا يجهله أحد من الناس .

وهو من تلامذة الشيخ العجمي ، رضي الله عنه ، وله أصحاب وفقراء . فمن أصحابه الشيخ سيدي أبو راوي الفحل السوسي والجزائري وعبد الهادي والجليزي رضي الله عنهم . قال إمامنا الدوكالي ، رضي الله عنـه : فإمامنا ابن عروس لا يجهله أحد من الناس حتى الدواب ، وأنه اتخـذه الله ولياً وأنزل محبته في قلوب العباد ، ولا يكرهه إلا كافر أو منافق .. إلى أن قال : حين انكروا عليه انفرد عنهم من ساعته ومكث سنة في داره لا يخرج للجمعة إلى أن مات رضي الله عنه . وحين موته لم يحضره

أحد ولم يعلم به إلا الله ولم يتضاعف ولم يمرض عند ذلك . فذات يوم من الأيام قبل صلاة الصبح وجدوه ميتاً معدوداً في ثيابه لا روح فيه ، ثم غسلوه وكفنوه وحملوه في نعش ، فتكلم وهو في النعش وتكلم أيضاً حين وضعوه في القبر .

إخواني ، وله كرامات ومناقب لا يحصي عددها إلا الله . وقد ذكر الجزائري وغيره البعض منها على جهة الاختصار بنثر وشعر منظوم . ومن مناقبه رحمه الله كان يأمر القلم أن يكتب في الكاغد ومن غير واسطة فيكتب ، ومن مناقبه كان لا تنفر منه الطيور وتنزل عليه بأجنحتها ويعرف كلامها وتعرف كلامه . ومن مناقبه كان يدخل إلى الكوشة بعد طبخها بالنار ويمكث فيها يوماً كاملاً ولم تحرقه النار . ومن مناقبه وسطوته كان ينقل على ظهره العشرة قناطير من الحديد ، وينقل على عاتقه النخلة الطويلة الغليظة — وهكذا أطال سيدي عبد السلام في ذكر مناقبه وذكر أموراً لا نقوى على فهمها وإدراك معانيها فتركتها ونكتفي بهذا عنه كما نكتفي بهذا القدر من الكلام على مشائخه رضي الله عنهم أجمعين . وبعد هذا نعرض لتعداد أولاد صلبه وترجمة بعض منهم ، معتمدين في ذلك على ما نقل صاحب مختصر البرموني والبرموني نفسه فنقول :

أولاد الشيخ وأحفاده

عدد أولاد الشيخ لصلبه :

قال الشيخ البرموني في كتابه ما نصه :

اعلم أن أولاد صلبه مائة كاملة ، وذلك من غير البنات وأولاد الجنيات . فأما الذين ماتوا قبله على ما ذكره سيدي عبد الرحمن المكي في « كبيره » فهم خمسة وثمانون وهم : سيدي احمد البكر — وسيدي يحيى —

وسيدي ابو بكر - وسيدي صالح - وسيدي موسى - وسيدي عبد الواحد - وسيدي عبد الهادي - وسيدي اسماعيل - وسيدي عبد القادر - وسيدي عبد الباسط - وسيدي عبد الرحيم - وسيدي عبد الحليم - وسيدي عبد العظيم - وسيدي عبد النبي - وسيدي سليمان - وسيدي عيسى - وسيدي يونس - وسيدي ابراهيم - وسيدي عز الدين - وسيدي شمس الدين - وسيدي زين الدين - وسيدي نصر الدين - وسيدي بـــدر الدين - وسيدي نجم الدين - وسيدي مجيد الدين - وسيدي عبد الحفيظ - وسيدي محيا - وسيدي نبيل - - وحامد - وساعد - وسعيد - ومسعود - وسعد - ومحمود - وهارون - - ويعقوب - ويوسف - وشعيب - وداود - وأيوب - ودانيال - وأرمياء - وعزير - ويوشع - وهاشم - وعبد الحفيظ - وعبد الدائم - وعبد الكريم - وعبد القوي - وعبد العزيز - وعبد الغفار - وعبد الستار - وعبد القهار - والكلاعي - وعبد الجبار - وحذيفة - والكيلاني - والشاذلي - والنووي - وفرج الله - وضيف الله - وحرز الله - وساهل - وعلي - وعمر - وعثمان - والعباس - والطاهر - والطيب - وقتادة - وسعادة - والعموري - والدينوري - والهروي - والمبروك - ومبارك - وبركة - وهويدي - وهدية - وعطاء - وعطية - وعمارة - وعامر - وتامر - وزائد .

نفعنا الله بنسبهم وعرفنا بالأدب مـــع حضورهم وحشرنا الله في زمرتهم وزمرة آبائهم وأجدادهم آمين يا رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وأما الذين مات عنهم فهم خمسة عشر كلهم بلغوا درجة الولاية ولكن أحوالهم مختلفة بين مجدوب وسالك وهم سيدي عبد الرحمن - وسيدي عبد المؤمن - وسيدي عبد السميع - وسيدي خليفة - وسيدي عبـد الله الشهير بالمصري - وسيدي عمران - وسيدي محمد - وسيدي أبو القاسم - وسيدي

سليم ـ وسيدي أبو راوي ـ وسيدي أبو فارس ـ وسيدي حمودة ـ وسيدي عبد الحكيم ـ وسيدي فتح الله ـ وسيدي عبد الوهاب ـ انتهى ، برموني ..

قلت : وقد وافق الشيخ عبد السلام العالم على عـــدد من توفي عنهم الشيخ ، وافق البرموني ، ووافقهما أيضاً صاحب مختصر البرموني وناظر المعهد الأسمري وصهرنا الشيخ محمد بن النصر بعيو ، حيث قال في كتابه الذي ألفه في حوادث هذا العصر ما نصه :

وقفت على وثيقة قسم تركته ـ يعني مولانا عبد السلام ـ وفيها صح لابنه عبد الحميد وأمه المصراتية وأخته كذا وكذا .. من التركة المشتملة على نحو أربعة عشر مملوكاً من العبيد وخمسة عشر رأساً من البقر وكذا .. من الإبل وأربعمائة وألف من الشياه وغيرها من المنقولة وغيرها كالبساتين والبيوت . إلى أن يقول : فتوفي عن خمسة عشر ابناً اثنان لا نسل لهما ، وهما عبد الحكيم وفتح الله ، وثلاثة عشر لهم قبائل أولاد الشيخ نحو خمس وعشرين قبيلة داخلها نحو خمسين ألف نفوسية ، وهي زيادة ملحوظة في خمسة قرون من ضرب ثلاثة عشر في ثلاث ينتج ثلاثين في ثلاث بمائة وسبعة عشر ، وهكذا إلى نحو سبع مرات أو عشر ، ويبدل من اسمائهم في المختصر ـ يريد مختصر ناظر المعهد ـ : عبد السميع بعبد الحميد ، وأبو راوي بعمر ، وأبو القاسم بقاسم ، فتنبه . فأكبرهم عبد الرحمن جد قبيلة أولاد الحاج الذين بالرقيقة بفواتير زليطن ، وعبد المؤمن جد قبيلة الجهران بظليتن ، وعبد الحميد جد قبيلة العواتي بظليتن وقبيلة الحميـــدات والقناره بمصراتة ، والسيد خليفة جد قبيلة أولاد فتح الله بمصراتة وقبيلة الكوارتة بظليتن وقبيلة أولاد بنور بساحل آل حامد ، والسيد حمودة جد قبيلة الشحوم بمصراتة ويقال أيضاً قبيلة الصوالح بمصراتة ، والسيد محمد المبارك جد قبيلة أولاد بعيو ويرسم محمد أبو مبارك ، والسيد عبد الله ـ عرف

المصري – جـد قبائل أولاد الشيخ ببرقة وأولاد أبي راوي والطواهر بمصراتة وزليطن والساحل ، والسيد سليم جد قبيلة أولاد سيدي سليم بظليتن ، وسيدي عبد الوهاب جد قبيلة الشعابنة والوهاهبة بظليتن ، وقبيلة اولاد سيدي عثمان بالساحل ، وأولاد العالم بالكراتية بمصراتة ، وأولاد بن موسى العالم بطرابلس ، والسيد عمر جد قبيلة معروفة بأم رقيبة بساحل آل حامد ، والسيد قاسم جد القبيلة المعروفة بالقواسم بزليتن ، وأحمـد المتوفى في حياة والده ولعله البكر جد قبيلة العمدة ، وابن رابحة ولعله ابن رابعة من ابنيه سليمان وابراهيم ولعلهم داخلون في الدخلانية ، والسيد عمران جد القبائل الدخلانية بحرم الشيخ أولاد أحمد وأولاد عبد الله وأولاد عمر .

– انتهى بن نصر ...

قلت وقد ترجم لبعض منهم الشيخ عبد السلام العالم في كتابه « فتح العليم » ، ننقل ذلك منه تبركاً بهم وتتميماً للفائدة فنقول :

سيدي عمران :

قال في « فتح العليم » : وأما سيدي عمران فهو الذي كان يلازم الشيخ في حياته وقد كبره على أولاده في حياته ، فبلغنا أنه وضع أيديهم فوق أيدي بعضهم وجعل يد سيدي عمران فوق الجميـع ، فكره ذلك بعض الأولاد وسل يده ، فقال له : إن لم تردها لا تنال مني شيئاً لا في الدنيا ولا في الآخرة ، أو كلاماً قريباً من هذا . فكان هو المتولي أمر الزاوية في حياة والده وبعده إلى أن مات ؛ وقبل أن يُتوفى الشيخ قال له : يا عمران : السمن واللحم والقمح عليّ . أنفق ولا تشفق . فسمعت أنه كان يأتيه كل يوم من الغنم أربعة شياه فأكثر ومن القمح عشرة أكيال فأكثر

ومن السمن عدة أقفزة فينفقها كلها . وإذا أراد أن يستبقي من ذلك شيئاً ما انقطع بقدر ما استبقى فنهاه الشيخ عن ذلك . وأما الغنم فبلغني أنه استبقى منها ولعل ذلك مما زاد على ما يحتاج إليه وإنها كثرت ووقع للشيخ معه فيها من الذبح حين علم به ما قدمناه أول الكتاب وبلغ في السخاء والمسارعة إلى خدمة الشيخ الغاية القصوى .

وكان الشيخ في ما بلغنا يقول : عييت وأنا أريد أن أمحو مشقة عمران من اللوح المحفوظ فلم تمح ؛ ويقول له : لا بد لهذه الرقبة من سيوف المغاربة ـ فقتله يحيى الشقي في سوق بلد أولاد غيث تخوفاً منه لما أن علا صيته وأطاعته الناس كلهم . قيل ليحيى إنه لا يتم لك الأمر حتى تقتله ، فقتله ونهب الزاوية نهباً شنيعا فضاع منها من الكتب شيء كثير ومن الأثاث ما لا يعد . لأن سيدي عمران كان حبس من نحو خمسمائة مجلد على الزاوية وفيها ضاعت مناقب الشيخ رضي الله عنه ووصاياه وإخباراته بما سيقع وكثير من كلامه ، وضاع من الأموال شيء كثير لأن الزاوية كانت في غاية القوة .

ومما يدلك على ذلك ما بلغنا أنه لما أتاها مراد آغا على ما تقدم في ألف فارس مكث سبعة أيام كان سيدي عمران يخرج لفطرهم خمسمائة طبق مملوءة عجين تمر وخمسمائة قدح مملوءة حليباً ، عـدا أواني الأطعمة الأخرى كل رجلين بطبق وقدح . فإذا كان هذا في الأطباق والأقداح فما بالك بغيره ؟ وما نجى الله من نجاه من أولاد الشيخ وأموال الزاوية إلا على يد سالم المهدوي فإنه كان حينئذ مشهوراً معتمداً فكل من لجأ إليه سلمه الله . وكان الشيخ قد سلب حاله في حياته ثم رد الله عليه في حكاية يطول جلبها ، وذكرنا بعضها في غير هذا ، فكان ذلك من لطف الله ما ظهر عند نهب الزاوية وقتل سيدي عمران . ولما مات سيدي عمران رؤي الشيخ في المنام وهو يقول في مقطعة من جملتها :

يا عمران زبوني   يا مركز للخطار

فلم يلبث يحيى بعدها إلا قليلاً حتى أهلكه الله على قدوم عمارة قدمت من السلطان العثماني كان السبب فيها سيدي عبد الله المكني جد شيخنا سيدي أحمد حفظه الله ، فأخذ وسلخ وحشي جلده بالنخالة ورفع إلى القسطنطينية على ما هو مشهور . وكان سيدي عمران مواصلاً لإخوته محباً لهم ، إذا رأى منهم مَن ثيابه خلقة كساه الثياب الفاخرة ، أو مَن هو غير راكب أعطاه جيداً من الخيل ، أو مَن هو محتاج لطعام أو غيره أعطاه فوق حاجته . فاستمالهم بذلك حتى اشترى غالب مال اخوته من الأملاك قرب الزاوية : يعطيهم فيها أضعاف ثمنها بلطافة ورفق . ولعمري إنها لفعلة حسنة إذ لو بقي أولاد الشيخ كلهم هناك وتناسلوا ثمة وقع بينهم وبين أولاد سيدي عمران فيما يظهر شر كثير . مات سيدي عمران في ما أظن سنة ست وتسعين وتسعمائة ودفن بالمقبرة التي قرب الزاوية ، وهي مشهورة به إلى الآن ، والله أعلم .

— انتهى فتح العليم ..

سيدي احمد بن عروس :

وقال أيضاً : ومن المشتهرين بالصلاح من أولاد صلب الشيخ سيدي أحمد بن عروس ويقال له البكر ، وهو المقبور بقزير من بلد مصراتة . مات في حياة الشيخ وذلك أنه طار فوق الحضرة ووالده فيها فقال له الشيخ : احتملنا لك كل شيء حتى صرت تطير فوق رؤوسنا ! فنزل ؛ ثم أمره أن يمشي إلى مصراتة ثم أمر أخاه سيدي عمران أن يلحقه ليدفنه ، فلما وصل مصراتة مات فدفنه أخوه ورجع . وهو الذي اخترع الذكر المعروف الذي تقوله طائفة الزيار — بعد أن كان الشيخ يقول

ذكراً آخر معروفاً – فلما سمعه الشيخ يقوله أمرهم أن يقولوا مثله ، وقال لهم : والله ما قاله حتى سمع ملائكة سبع سماوات تقوله . وهو الذي أعطى عبداً كان يخدمه في جبد الماء للقصب في حصان لما رأى الخيل تلعب فعايرته زوجته فغنى لها غناء ذكرناه في غير هذا فصارت الجابية تصبح كل يوم ملآنة إلى أن طاب القصب .

سيدي أبو فارس :

ومنهم سيدي أبو فارس على ما تقدم قريباً وهو المقبور بساحل آل حامد بقرب من حسنون . كان رحمه الله مجدوباً متقشفاً عاري الرأس يلبس غرارة . وهو الذي ضرب الإبريق على سارية من سواري الزوائد لما غضب على أحد أبناء أخيه فلم يتكسر . وهو الذي دعا على رجل في غناء له تركناه خوف الإطالة فجاءته ريح فرفعته والناس ينظرون حتى غاب عن أبصارهم فلم يعلم له خبر بعدها .

وكان إذا أضيم رقى إلى موضع مرتفع ونادى على والده بأعلى صوته ، فلا ينزل حتى يقضي الحاجة . وله خوارق كثيرة جداً .

سيدي عبد الحميد الصغير :

ومنهم سيدي عبد الحميد الصغير المقبور عند جده عمران في الفواتير . مات في زمن الشيخ فأمر بدفنه هناك ، وقال لهم : تراب عبد الحميد شفاء من العلل العظام . فالناس إلى الآن يستشفون بترابة ويعرف عندهم بأبي ترابة لذلك ؛ وقد جئته مرة في زيارة وبعيني رمد شديد ، فجعلت نلمس ترابه فبرئت بالقرب . وجئناه مع سيدي أحمد المكني في زيارتنا

أواخر ربيع الأول سنة أربع وتسعين وألف وفي عين ابن سيدي أحمد رمد كبير خفنا على عينيه منه ، فأمرناه أن يجعل عليها منه شيئاً فبرىء من يومه لأنه رأى الوالد ونحن بائتون عند الشيخ ليلة كان الشيخ يمسح عليه ، والله ذو الفضل العظيم .

سيدي حمودة :

ومنهم سيدي حمودة المقبور بصراتة ، وهو والد سيدي أبي الحسن العريان ؛ كان له تصرف قوي وخوارق كثيرة في حياة والده وبعده . كانت المجذوبة الصالحة يزه السوداء تعرفه وتحكي لنا عنه حكايات كثيرة ونحن صغار لم أضبطها للصغر ، فلأجل ذلك لم أكتبها . وحدثني زوجها المرابط عثمان ، وكان قد رباه سيدي حمودة ؛ قال : اشتكى فيَّ بعض أولاد الشيخ للترك بعد موت سيدي حمودة وحبسني ، فأتاني سيدي حمودة في الليل يقظة وقال لي : ربطك فلان ؟ الله يميته في القمل والصيبان . ثم قال لي : قم ! فقلت له : يا سيدي إن الحديد في رجلي . فقال : وشيبة أحمد بن عروس — لأن ذرية الشيخ كانوا يحلفون بذلك — ويذكرون ذلك عن الشيخ نفسه — إنه لمحلول . قال : فلمسته فإذا هو كذلك . فقلت له : يا سيدي إن باب القصر مغلق . فقال : وشيبة أحمد بن عروس إنه مفتوح . فقمت ، وإذا بباب القصر كذلك ، وسلمني الله منهم . وأما الذي اشتكى فيَّ من أولاد الشيخ فمات في أفقر حالة كما قال سيدي حمودة ، وقبره بالمساورة ظاهر يزار . انتهى ...

بعض أحفاد الشيخ :

قلت : وبعد انتهاء الكلام على ترجمة بعض أولاد صلب الشيخ

نذكر بعض تراجم الأحفاد الذين اطلعنا لهم على ذكر بعض شيء من حياتهم . ونظراً لأن الكلام أخيراً كان في حياة سيدي حمودة فنذكر بهذه المناسبة نتفاً قلائل عن ابنه المعروف بسيدي أبي الحسن :

سيدى أبو الحسن :

قال الشيخ عبد السلام العالم في كتابه « فتح العليم » : ومنهم – أي من المنتسبين إلى الشيخ – ، سيدي أبو الحسن بن حمودة ابن الشيخ سيدي عبد السلام . كان كثيراً ما يعتريه حال فيرمي جميع ما عليه ويبقى عرياناً . ولم يشهد له أحد على عورته ، فإذا سُرِّيَ عنه لبس كسوته ولا يترك أحداً يقعد عرياناً . وكان إذا طلب من أحد شيئاً ولم يعطه حلت بـه عاجلاً العقوبة . فجاء ذات يوم لإنسان كان نذر له جدياً فكاشفه بنذره وطلبه منه فامتنع من إعطائه ، فهدده فلم يعبأ بـه . فمضى وتركه فقام الرجل فإذا بالشيخ سيدي عبد السلام متحزم في مرقعة ليس عليه غيرها وبيده سلاح وقد قصده ليضربه ؛ وقد خاف الرجل خوفاً شديداً فلما رفع يده ليضربه قال : أنا دخيل على رسول الله ﷺ ... (؟) ما تحركت من موضعك يأتيك أبو الحسن في نذره فتمسكه عنه . فقال له : أنا تائب إلى الله ياسيدي . ففتر الشيخ ثم قال له : يا ويح أبو الحسن بن حمودة وسليمان بن عبد الوهاب ومحمد الأصفر لولا اني مقيدهم وهاجرهم ومجليهم يخلوا طرابلس في ساعة واحدة . ثم قال له : قم وامش فإنه في دار فلان . فاستيقظ فزعاً مرعوباً وصنع آنية من الطعام وجعلها على رأس زوجته وقاد الجدي المذكور وأتاه فوجده في الدار التي ذكرها الشيخ في المنام ، فكلمه كلام من اطلع على الواقع . إلى أن قال : ولسيدي أبي الحسن هذا خوارق كثيرة مشهورة عند أهل بلده ومن له معه مخالطة ، وليست لي معه معرفة إلا أنه كان

حياً بعد وجودي ولا أستحضر تاريخ حياته ، ولكنه فيما حول الستين بعد الألف فيما أظن وقبره ـ بإزاء الروضة التي بها والده وعماه ـ ظاهر يزار ، عند عقارهم في المساورة من بلد مصراتة ؛ انتهى ...

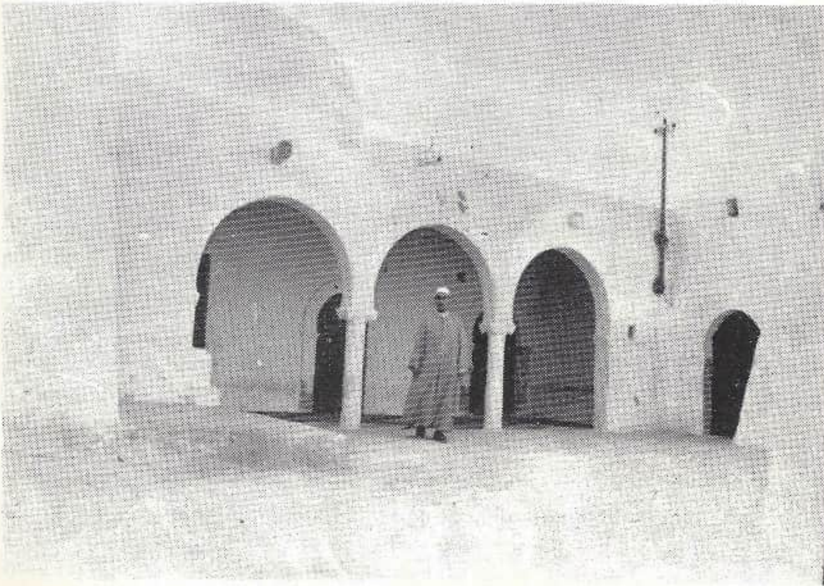
سيدي فتح الله :

وقال : ومن المشهورين بالصلاح من نسل الشيخ ، سيدي فتح الله بن طاهر ، المقبور بازاء عقاره بمصراتة بين المساورة وزمورة . كان آية من آيات الله في الاتباع لسنة رسول الله ، ﷺ ، وكان سخياً لا يطعم إلا لوجه الله ؛ لا تأخذه في الله لومة لائم . وكان باراً بوالدته ، يعزم على الأضياف ثم يستشيرها ، فإن رضيت بهم حمد الله وشكره وإن لم ترض يقول لهم : اطلبوا نصيبكم ... طاعة الوالدة آكد من إكرامكم ؛ ويتأسف على فوات اجرهم ، ولا يطعم إلا ما وجد ، ولا يتكلف لأحد ؛ الرفيع والوضيع عنده سواء ، ولا يقبل يد أحد من الناس بل يصافح كل من لقيه أياً كان . كان هيناً ليناً كثير التبسم إلا عند مشاهدة المنكر ، فإنه يغضب الغضب الشديد ؛ حتى أنه أخبر أن ولده ركب على فرس فركض في جحفة فلما جاء ابنه أخذ عنان الفرس وضربه بحديدة ضربة هشمت رأسه وأفضت إلى دماغه فأتى إليه الطبيب فوجد الدماغ قد خرج فأيس منه وعزى سيدي فتح الله . فبات سيدي فتح الله في أشد ما يكون من الغم ، يتأسف كونه أراد أن ينهى عن منكر فوقع فيما هو أعظم منه ، وهو قتل ولده .

فرأى ابن الشيخ سيدي عبد السلام وكأنه أمسك رأسه وقال له : لا تخف ، برئت .. سلم على والدك وقل له : يتهنّى ! أو قريباً من هذا الكلام . ثم رأى الشيخ سيدي أحمد زروق وكأنه يقول كما قال الشيخ



ضريح سيدي فتح الله ؛ من احفاد الشيخ سيدي عبد السلام
باحدى ضواحي مصراتـه



المؤلف على مدخل ضريح جده سيدي فتح الله ـ بمصراته

مقابل صفحة ٢١٨



داخل ضريح سيدي فتح الله ـ بمصراته

سيدي عبد السلام . فاستيقظ وأخبر والده . فلما أصبح بعث للطبيب فلم يأت إلا حياء من سيدي فتح الله لأياسه منه مما رأى بالأمس من خروج الدماغ . فلما كشف ضحك واستبشر وقال : لا تخف يا سيدي فتح الله . وأقسم لهم أن الابن مرقوع وذلك قبل أن يخبره برؤيا الابن . ثم عالجه حتى برىء وحتى كبر وخلف نسلاً وما مات إلا بعد والده ، رحم الله الجميع .

وظلمه بعض ظلمة الناس ذات عام في حرث واد فدعا سيدي فتح الله على ذلك الوادي أن لا يمطره الله حتى يطيب خاطره ، فمكث نحو سبع سنين لم تصب عليه قطرة . وكانت له مع سيدي أبو راوي مؤاخاة ومصافاة . فكان سيدي أبو راوي يأتيه كلما زار الشيخ زروق بلا عزومة ، ثم يأتي أهله فيصير سيدي فتح الله يقول له : جزاك الله خيراً يا أبا راوي ، كلما جاءك الفقراء أتيت بهم إلينا . وكذلك سيدي محمد بن جحا ... كانت له فيه محبة عظيمة حتى انه حلف لبعض الأتراك لما أرادوا تزميم مصراتة أنهم إن زمموا عقار سيدي فتح الله لا يروح منهم أحد ولا يقطع وادياً هناك أشار له . . فلم يزمم منه نخلة واحدة مع عدم إتيانه لهم أصلاً فلم يقف عليهم ولا صنع لهم شيئاً من الطعام بعد أن طلب منه أولاد الشيخ ذلك فامتنع وقال لهم : لو كانوا فقراء ما تركتهم لكم ؛ وحيث كانوا ظلمة فلا يذوقون لي طعاماً أصلاً . ولما تركوا عقاره في مصراتة جاء سيدي منصور بن كحيل لسيدي أبي راوي ومن معه بيوزليتن وأخبرهم أن أهل الله جاؤا لضرر قائد الجيش ، وهو المتولي للتزميم ، فوجدوا سيدي فتح الله قد عمل طرفه عليه ليمنعه ، — وليس عند سيدي أبي راوي إذ ذاك علم بتركه نخل سيدي فتح الله — ، فلما سمع علم أنه هو السبب في ذلك . ثم لما زمم نخل سيدي أبي تركية وأصابته الحمى التي لم تفارقه حتى

مات جاءهم سيدي منصور بيوزليتن وأخبرهم أن سيدي فتح الله نزع طرفه عنه وأنه أهل ضرره . فجاءهم الخبر بعـد ذلك بتزميم نخل سيدي أبي تركية وتضرره ليلتها ، على حسب ما يأتي عند ذكر سيدي أبي تركية ، وكان سيدي منصور يحب سيدي فتح الله كثيراً لأنه أخوه في الشيخ ذلك أن الشيخ الذي سقاهما واحد ، وهو سيدي عيسى الدنيدني ، وقـد تقدم ذكره في الباب الأول .

وذلك أنه لما أراد زيارة طرابلس أوصاه أستاذه على احترام الفواتير والشيخ سيدي عبد السلام وقال له : ما نخاف عليك إلا منه . وأمره أن يحسن لرجـــل من أتباعه يجده بجربة وآخر من أولاده في مصراتة . وقال له : إن لم تحسن إليهما ضرك عبد السلام . فوجد سيدي منصور في جربة وسيدي فتح الله في مصراتة . إذا رأى الواحد منهم يقول : هذا الذي أوصاني عليه الشيخ – يعني أستاذه – ويأخذه معه . ففتح الله عليهما بما فتح ، وتقدمت الإشارة إلى ذلك . وأظن ، والله أعلم ، أنهما لأجل أن ما أعطاهما الله على يد هذا السيد كان لأجل سيدي عبد السلام ، لأجل ذلك كانا ينتسبان للشيخ سيدي عبد السلام دون سيدي عيسى .

وكان إذا جلس في الدرس يصير ينظر إلى الهواء ويبتسم ، فسأله بعض إخوانه على ذلك وألح عليه ، فأعلمه أنه ينظر إلى عمود من النور منصوب مـــن الحلقة إلى السماء ، وكذلك كان حاله في حلقة الذكر لا يدخلها وإنما يجلس خارجها ينصت . وأول ما قال لي ، حين اجتمعت به سنة خمس وسبعين وألف ونحن في زيارة للشيخ زروق مع سيدي أحمد المكني ، وقد وجدته واقفاً مع سيدي أبي راوي ، وأظنه أوصاه عليّ فقال بعد أن مد يديه :

أذكروا بإخلاص ذكر الله يبري من العلة
وطيبوا الأنفـــاس واتبعوا سنة رسول الله

وإذا عرفت الناس لا تنكر منهم ما عدا الله

وهي من مقطعة للشيخ سيدي عبد السلام . ثم قال : أيش تبغي ؟ وكنت صغيراً أول البلوغ ، فاستحييت ثم مددت يدي وقلت : نبغي شويه . بهذا اللفظ . فقال : يا تنها ، لا ش شويه ؟ خذ كثير – بهذا اللفظ . ثم سرنا وسألني عن قراءة الأجرومية فأخبرته أني أقرأ فيها ، فأظن أنه حضني على ذلك . ثم وقعت لي معه معرفة ومحبة أكيدة ودعا لي بدعاء كثير أرجو من الله قبوله ؛ من جملته ونحن عند الشيخ أبي شعيفة فأخذ بيدي وتوجه إلى البحر وهو هائج وقال : ما هذا ؟ فقلت بحر ! فقال لي : الله يجعلك مثله في العلم والتقى ، ثم كرر هذا كثيراً ، فكان أكثر دعائه لي : اللهم اجعله بحرين ، بحراً من علم وبحراً من تقى . وقال لي مرة : اللهم ، اجعله بحرين وأعطه نور القمرين ، فالحمد لله رب العالمين . مات رحمه الله سنة ثمان وسبعين وألف ، وأنا إذ ذاك بزاوية المشاط ، أقرأ القرآن . فحزنت عليه حزناً شديداً وجعلت له ثواب قراءتي شهراً . وكنت ربما ختمت كل يوم ختمة ، فالله يرحمه وينفعنا به ويجمعنا وإياه وجميع الإخوان في أعلى درجات الفردوس مع النبي وأحبابه بلا محنة ، آمين .

سيدي ابو تركية :

قلت : لما جاء ذكر الولي سيدي أبي تركية في عرض الكلام على سيدي فتح الله سابقاً ، وكانت بينهما صحبة ومعاصرة ويعيشان في بلد واحد ، وإن لم يكن من أحفاد الشيخ ، أحببت تبركاً بآثاره وبالكلام على سيرته أن أذكر طرفاً منها فنقول ، ناقلاً عن الشيخ عبد السلام العالم ما نصه :

ومنهم سيدي أبو تركية نزيل تكيران ببلد الشيخ زروق رضي الله

عنه ، وهو في سلوك طريق السلف الصالح في التقشف والتواضع مثـــل سيدي منصور وسيدي عبد الله الصداعي ، وقد تكلمت عليهما قبل ذلك . وهو من أسخى عباد الله وكل ما عنده باسم الفقراء والزوار ، ولا يدخل غالباً أحد من أهل الصلاح البلد إلا ويأكل من طعامه . وكان سيدي محمد ابن ناصر الدرعي يحبه ويعتقده ، وقـد جاء إلى محله في حجته الأخيرة سنة سبع وسبعين طلعةً ورجعة ، أكل من طعامه .

وذكر شيخ شيوخنا سيدي عبد الله العياشي في رحلته ، ذكر أنه ممن لو أقسم على الله لأبـرّه . وكان سيدي أبو راوي يأتيه بمن يأتي معه من الفقراء وإن كثروا من غير عرض ، على خلاف عادته مع غيره ؛ وله فيه محبة وله معه مداعبة وهو بخلاف سيدي عبد الله الصداعي في الدعاء للزوار ومباسطتهم والأخذ بخواطرهم .

وله كرامات كثيرة . عانده مرة بعض الظلمة لأنه نهاه عن ضرب رجل في حرم الشيخ زروق ، رضي الله عنهما ، وهو عازم على غزو المسلمين ، فقال : قولوا يا الله ! فقالها الحاضرون . فقال : يا الله اجعلها في خيله وسلـّم رجاله ، فلا تبكي امرأة مع أخرى . فقدر أنه ورد بجيشه منهلاً فجعلوا يسقون منه خيلهم وكل فرس شربت تمرغت ورقدت حتى شربت نحو سبعين فرساً فافتقدوها فوجدوها كلها ميتة .

وأغار بعض الأعراب على قافلة وهو فيها فخرج له وسمّعه من الكلام مما لا يحب . فأراد أن يضربه برمح في صـــدره فانقلبت عليه فرسه فهشمته . فجاؤوه يعتذرون إليه فقال لهم : الأمر ما زال تجدونه قدامكم . فوجدوا ابن ذلك الرجل مات في ذلك الوقت . ولما زمموا نخل مصراتة وأرادوا تزميم نخيلات عنده اعدهن للزمام نهاهم ، فلم يمتثل كبيرهم وهو رجب باي – قالوا وأعانه آخر من شياطين أهـل البلد . فحلف لهم : لا

بد أنكم تأتوني ولا أمشي معكم . فأصاب الباي ومن معه مرض حتى كادوا يهلكون ، وجاؤوا لسيدي ابي تركية ليمشي إليه فانتهرهم وأبى ، فأسقطوا النخيلات وما زالوا يترددون على سيدي أبي تركية حتى طيبوا خاطره شيئاً ما . فخف الألم ولكن لم تزل بذلك الباي العلة إلى أن مات . وقد مضت الإشارة إلى هذه الحكاية في ترجمة سيدي فتح الله ، وان سيدي منصور اطلع على ذلك من طريق الكشف وأخبر سيدي أبا راوي بذلك . وأخبرني الشيخ سيدي أبو راوي أنه ينفق من الكون وكثرة سخائه مع قلة أسبابه تصحيح لذلك ، ومن مارسه لا يشك في ذلك ، والله أعلم .

ولسيدي أبي تركية كثير من هذا فنقتصر على هذا النزر للاختصار . ومن كلامه : ان كل من زار الشيخ زروق ولم يزر الشيخ بوشعيبة ومن يكمن معه لا تقبل زيارته ، والحمد لله رب العالمين .

— انتهى . « فتح العليم » .

تراجم بعض تلاميذه ومن كتب في سيرته

سيدي عمر بن جحا :

قال في مختصر البرموني نقلاً عن الأصل : ومنهم الإمام القدوة وصاحب الكرامات الشهيرة والأحوال الزكية الأثيرة خليفة سيدي عبد السلام : سيدي عمر بن محمد بن حمودة الطرابلسي مولداً وداراً المخزومي نسباً المعروف بابن جحا . كان عالماً زاهداً عارفاً بالله . قال في الأصل : تولى تربيتنا بعد موت الشيخ والقيام بشؤوننا فأحسن في ذلك واجتهد في تعليمنا العلم وأقرأنا الوظائف الزروقية والعقائد السنوسية والأحزاب

العروسية . وكان يحفظ حكم ابن عطاء الله ويفهم معانيها ويحرضنا على التمسك بأذيال العروسيين والدخول في زمرتهم واقتفاء آثارهم ويرغبنا في طريقة الشيخ سيدي عبد السلام .

وكان سيدي عبد السلام يحبه ويدعو له مدة حياته ولا يرد له كلاماً . وأمره بالتلقين مدة حياته فلقن وتبعه خلق كثير في حياة الشيخ وبعد موته . وكان كثير العبادة ؛ وقد عاشرته مدة فما رأيته مضطجعاً على جنبه ، وإذا غلبه النوم وضع رأسه بين ركبتيه . وهو أول من أخذ عن الشيخ وسقاه بنظرة واحدة فوصله بها ، ومن ذلك الوقت تبع الشيخ فحفظ القرآن ثم قرأ النحو والفقه والتوحيد والتصوف إلى أن بلغ القطبانية . وكان أمّاراً بالمعروف نهاءاً عن المنكر ، يراعي الظاهر دون الباطن . وله تأليفان كبيران في مناقب الشيخ ضاعا يوم قتل سيدي عمران . وتولى الخلافة بعد الشيخ إلى أن رحل إلى تونس ومات بها . ولد في محرم سنة اثنتين وتسعمائة وتوفي سنة تسع وتسعين وتسعمائة – انتهى أصل .
قلت : وقوله ، مات بها ، يعني بعملها ، لأن قبره معروف يزار متبرك به بموضع قريب من قرية تعرف بالداموس من حيز عمل المنستير .

سيدي محمد بن عبد النبي الجبالي :

ومنهم العالم الصالح الولي الزاهد الشيخ سيدي محمد بن عبد النبي الجبالي ، كان من أجلّ أصحاب الشيخ ومن أعظم السادات العروسيين وعالماً عارفاً بالله ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، أخذ عن الشيخ الناصر وغيره العلوم ، ولقي مولانا عبد السلام سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، عند ذهابه للحج ، وخدمه مدة مهاجرة الشيخ بمكة إلى أن رجع إلى طرابلس . توفي في السابع والعشرين من رجب بجبل أبي ماضي سنة ثمان وتسعين

وتسعمائة ودفن هناك ، وله كرامات . ووالده كان من أكابر الصالحين يتوسل به مولانا عبد السلام كثيراً ، ونسبهم يتصل بسيدي عبد السلام ابن مشيش .

سيدي صالح بن مبارك الغيثي :

ومنهم الفقيه الإمام الشيخ سيدي صالح بن مبارك ، الغيثي نسباً . كان من أكابر السادات العروسيين وأعرفهم بالله . أخذ العلوم عن والده ثم رحل إلى مصر وأخذ عن أكابر علماء الأزهر ثم رجـــع إلى طرابلس وأخذ عن الشيخ . وله كرامات منها يبرىء الأكمه والأبرص ويخمد النار . توفي سنة تسع وثمانين وتسعمائة ودفن بتنازفت .

سيدي أبو حميدة السقفي :

ومنهم الولي الصالـــح المكاشف سيدي أبو حميدة بن عبد الرحمن السقفي ، الشهير بالبعاج . كان من أجل أصحاب الشيخ ، وكان مجذوباً من أهل الحال . له كرامات كثيرة ، منها : أن الحيوانات المتعادية كالهر والفأر تجتمع عنده فلا يبغي بعضها على بعض . ولد سنة ثلاث وتسعمائة وتوفي ببلاد القواسم سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، ودفن هناك .

سيدي أبو مدين الترجمان :

ومنهم الفقيه الإمام الصالح الولي الشيخ سيدي أحمد أبو مدين السقفي ، الشهير بالترجمان ، بن الشيخ سيدي شعيب ، الشهير بالزين ، المقبور بجندوبة

من عمل تونس ، بن سيدي جابر بن سيدي شعيب المقبور بالجم ، بن سيدي شعيب السقفي المقبور بالقرب من الزاوية الغربية . كان من أجل أصحاب الشيخ زاهداً عابداً متواضعاً يحب الفقراء ويكرمهم . وكان صائم الدهر متورعاً وقد طالت معاشرته بالشيخ إلى أن انتهى في التربية . ثم بعثه الشيخ إلى دحمان وقال له : بها دارك وقبرك . وأقام بها إلى أن توفي . وله كرامات ، منها : نزول الموائد من السماء والإتيان بالأسرى . عاش أربعة عشر عاماً ومائة عام ..

سيدي علي البشت :

ومنهم الشيخ الولي الصالح سيدي علي بن محمد البشت . كان من أجل السادات العروسيين وأصحاب الشيخ ، سقاه الشيخ بنظرة واحدة بلغ بها المنتهى في حكاية يطول شرحها . وكان وجيهاً معظماً محبوباً . وله كرامات ، منها : الإخبار بما يخطر في النفس . توفي في ربيع الثاني سنة سبع وتسعين وتسعمائة ، ودفن بالقرب من ضريح جده البشت وقبره مشهور .

سيدي أحمد أبو قطاية :

ومنهم الولي الصالح المجذوب المكاشف سيدي أحمد أبو قطاية ، شقيق سيدي علي المذكور . كان متقشفاً عاري الرأس . وكان من أجل أصحاب الشيخ ، له كرامات كثيرة . كان يطلب الناس ويأخذ منهم ومن لم يعطه أصابه الهلاك عاجلاً . وكان سيدي عبد السلام يقول : أحمد لو لم يكن متصفاً بالطمع لأهلك الكثير من أهل البلد ، ولو لم

يكن له الإذن في ذلك ما صح له معه دين ولا دنيا . توفي سنة ست وتسعين وتسعمائة ودفن بالرحاب الغربي بمسجد جده .

سيدي خليفة الشابي :

ومنهم الولي الصالح المجذوب المكاشف سيدي خليفة بن عبد الله الشابي ابن عبد العاطي . ويذكر أن الشياب من ذرية سيدي شيبة رضي الله عنه ، كان ربيب الشيخ سيدي عبد السلام وأمه فيتورية . وهو من أكابر الأولياء الصالحين ، وقد كثرت معاشرته بالشيخ وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر فعالاً للخير ربّى وأجاد ونصح وأفاد . وله كرامات كثيرة لا تحصى وله شطحة عظيمة . ولد في أواخر صفر سنة أربع وتسعمائة وتوفي سنة سبع وثمانين وتسعمائة وأمر فقراءه إن توفي يحمل على ناقته ويدفن أين تقف ، فوقفت بتليل قرب ضريح سيدي أبي عجيلة ودفن هناك .

سيدي ضي الهلال :

ومنهم الفقيه العابد الزاهد الصالح سيدي عبد الحميد ، الشهير بضي الهلال ، بن عبد الله الكمودي : كان صاحب علم صحيح وذوق صريح ، وكان من العلماء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم . حفظ القرآن وهو ابن ثمان سنين وأخذ العلوم عن أكابر علماء تونس وفاس ، ورحل للمشرق سنة ست وخمسين وتسعمائة ، وحج واجتمع بجماعة من العلماء كالناصر اللقاني وأضرابه ، ثم قفل إلى بغداد ليبحث عن الغوث ليأخذ عنه التلقين . ولما وصل للشام لقي شيخاً كبيراً من الأولياء ، فلما قرب

منه قال له مكاشفاً عليه : تبحث عن الغوث والغوث ببلادك ، وهو عبد السلام بن سليم . فرجع لطرابلس وأخذ عن الشيخ التلقين وخدمه إلى أن فتح الله عليه .

كان مشاركاً بالعلوم عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس . وكان محباً لأهل الخير متواضعاً متصفاً بحب الفقراء والأرامل كثير العبادة شديد الورع . وله كرامات كثيرة ، وهو ممن أخبر بكثير من كرامات الشيخ . ولد في العشر الأول من ذي القعدة سنة خمس وتسعمائة وتوفي ليلة الجمعة في سابع عشر شعبان سنة إحدى وتسعين وتسعمائة ودفن بإزاء مسجده الذي أسسه في حيز الزاوية الغربية ، وقبره مشهور يزار .

سيدي أحمد الكمودي :

ومنهم الولي الصالح المجذوب الأمي سيدي أحمد بن عبد الله الكمودي ، شقيق سيدي عبد الحميد المذكور آنفاً . كان من أهل الحال يكاشف ويخبر بما يقع براً وبحراً ، ويخبر بالمعصية لمرتكبها ويهدده إن لم يتركها ، ولا يتكلم غالباً حتى يصيبه الوارد ، وقبل الوارد يوبخ نفسه ويقول : دعني في حالي . وقد يمتنع من الكلام حتى يأتيه الوارد ، وإذا سئل حين الوارد عما يجب كتمانه يزوم ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويمتد كالميت ولا يتكلم حتى يفيق . وكان كثير الصوم قليل الأكل ، لسانه رطباً بذكر الله . وإذا حدث توضأ وكل كلامه تجده موافقاً للشرع ومن كلامه :

أنا أحمد صاحب الحال　　وأنا عمار البلاد
عند الحرم أسد قتال　　حين ينادي المنادي

ننفـــع ونشفع عدال حتى إلى يوم التنادي
إلى آخر ما قال ...

توفي عام أربعة وثمانين وتسعمائة ودفن بالروضة مـــع أبويه قرب مسجد أبيه بالزاوية الغربية .

سيدي يوسف المليلي :

ومنهم الفقيه الصالح الشيخ سيدي يوسف بن الشيخ الكبير سيدي محفوظ بن عباس المليلي . كان من أعظم تلامذة الشيخ . حفظ القرآن ابن سبع سنين وله معرفة بسائر العلوم وحج ، وبعد أن رجع اجتمع بالشيخ سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وأخـذ عنه . وله كرامات كثيرة منها أنه كان يدخـل البحر بثيابه ويمكث ساعة طويلة ثم يخرج ولم يكن بها بلل . توفي سنة تسع وثمانين وتسعمائة ودفن ببلاد الطابية ما بين جنزور والزاوية الغربية ؛ وقبره معروف .

سيدي سالم بن طاهر :

ومنهم الفقيه العالم سيدي سالم بن طاهر يدعى ابن نفيسة الأنصاري . قرأ على الشيخ شمس الدين اللقاني أخيه والناصر ، ثم حج ؛ وبعد ذلك لقي الشيخ سيدي عبد السلام وأخذ عنه التلقين عـام عشرة وتسعمائة . كان مملوء الجراب من كل العلوم والآداب . وكان من أكابر الصالحين ، وكان يقرأ العلوم ، وتقدم سبب صحبته للشيخ . وله مكاشفات وخوارق عادات عديدة ، وقبل موت الشيخ أوصى بأن لا يغسله ولا يصلي عليه إلا الشيخ سالم المذكور كما تقدم . توفي في سنة تسع وتسعين وتسعمائة ودفن بيوزليتن وقبره معروف .

سيدي عمر القريوي :

ومنهم الفاضل الكامل العارف المربي سيدي عمر بن عبد الرحمن الشهير بالقريوي المخزومي ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ثم اشتغل بالعلم فقرأ النحو وغيره بتونس ، ثم رحل إلى المشرق وقرأ على الشيخ الناصر وأخيه وأضرابهما من العلماء الأعلام ، ثم قفل بطرابلس وأخذ التلقين عن سيدي عبد السلام ودرس قليلاً ثم قفل للصابرية ، وظهرت له فيها كرامات . ولد في ثلاثة عشر ربيع الثاني سنة ست وتسعمائة وتوفي في صفر سنة تسع وتسعين وتسعمائة ودفن بالصابرية وقبره معروف يزار . وكان رحمه الله مهاباً وقوراً صموتاً يرجع الناس لرأيه وينقادون لأمره ، وذكرنا له مائة كرامة من كراماته .

سيدي محمد السملقي :

ومنهم الولي الصالح الشيخ سيدي محمد بن علي السملقي البرمكي نسبةً ، كان من أجل أصحاب الشيخ ، وطالت معاشرته به وله كرامات كثيرة . وله باب في الفهم والإتقان ، يحفظ الرسالة ومختصر خليل وتعاليقه وعقائد السنوسي وحكم ابن عطاء الله والبخاري ومسلم . وله في كل علم طريق . وهو من الرجال الذين لو أقسموا على الله لأبرهم . وكان صالحاً ورعاً له أتباع كثيرون . أخذ عن الشيخ عام خمسة وثلاثين وتسعمائة . ولد عام سبعة وتسعمائة وتوفي عام ثمانية وثمانين وتسعمائة ودفن بإزاء جامعه بلواتة وقبره مشهور يزار .

سيدي سالم السملقي :

ومنهم الأستاذ الولي الصالح سيدي سالم ابن علي السملقي شقيق سيدي

محمد ؛ كان من أعظم النقباء العروسيين ، ذا أحوال سنية وأخلاق زكية ممن كثرت معاشرته للشيخ . له مناقب كثيرة ، منها ، كان يرعى الغنم لسيدي عمران وإذا أراد أن يغيب يوصي الذئب فيحرسها وشارطه على أن له منها ما يموت فقط . ولد عام واحد وثمانين وثمانمائة وتوفي عام ستة وتسعين وتسعمائة ودفن بالحشان وهو أكبر سناً من أخيه المذكور ..

سيدي شعبان أبو غرارة :

ومنهم الولي الصالح الكامل الشيخ سيدي شعبان بن عثمان بن الشيخ الكبير سيدي يوسف أبو غرارة . ينتهي نسبه لسيدنا عمر رضي الله عنه . كان من أجل السادات العروسيين وأكابر أصدقاء الشيخ . وكان شديد الورع مقبول الشفاعة عند الأمراء وغيرهم ، ومن يرد شفاعته يقصمه . وهو ممن أخبر بكثير من كرامات سيدي عبد السلام . وكان سيدي عبد السلام يعظمه كثيراً وله به اعتناء ، حتى أن سيدي عبد السلام في بعض أسفار سيدي شعبان المذكور إلى إفريقية حبسه أميرها ، فلما بلغ الشيخ خبره أمر بالحلاق فأحضر ، وقال : احلق لحيتي ، لا لحية بعد شعبان . وحينما قرب الحلاق الموسى أمره بالكف وقال له : إن الله قضى الحاجة . فأرخ ذلك اليوم ، ثم جاء الخبر أن الأمير مات في تلك الساعة وفيها أطلق سيدي شعبان . وكان إذا جلس عند الحاكم ارتعد منه ، وله مكاشفات كثيرة ومقطعات في أمر الشطح منها :

أنا شعبان بن عثمان المشتهر ولد الشيخ يوسف أبو غراره
أنا الليث الداجن يوم الكدر
يوم يضيق الحال بالناس وهم حيارى

أنا جدي من نسل سيدنا عمر
مشهور في الامصار شاعت أخباره

إلى آخر ما قال ..

ولد في أواخر رمضان سنة ثلاث وتسعمائة ، وتوفي سنة سبع وتسعين وتسعمائة – انتهى ..

سيدي محمد بن محمد الحطاب :

ومنهم الشيخ سيدي محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب . كان من أجل أصحاب الشيخ ، وكان إماماً عالماً محققاً بارعاً حافظاً نظاراً جامعاً ورعاً عابداً ، من أولياء الله وسراة العلماء ، عارفاً بالتفسير محققاً للفقه وأصوله ومسائله مستنبطاً لها . وكان لغوياً صيرفياً فرضياً معدوداً إماماً في ذلك كله . فهو آخر أئمة المالكية بالحجاز . له تآليف تدل على قوة حفظه وإمامته وسيلان ذوقه وقوة إدراكه وجودة نظره وحسن تصرفه ، واستدرك فيها على فحول الأئمة : كابن عبد السلام وخليل وابن عرفة ؛ وكذا في الحديث على حفاظه كابن حجر والسيوطي ، وناهيك بذلك . أخذ هو وغيره عن والده الحطاب الكبير وأحمد بن عبد الغفار وغيره . وروى عن الحافظ عبد القادر النويري وغيره من العلماء الأعلام . ومن تآليفه شرحه على المختصر ، تركه مسودة فبيضه ابنه في أربعة اسفار لم يؤلف على خليل مثله بالنسبة لأوائله .

وشرح مناسك خليل شرحاً حسناً وقرة العين في الأصول لإمام الحرمين وتحرير الكلام في مسائل الالتزام على غاية من الحسن لم يسبق إليه . وله مناسك سماها « بداية السالك المحتاج ، في بيان فعل المعتمر والحاج » ، وشرح

وجيز ابن غازي في نظائر الرسالة ، سماه « تحرير المقالة » ، وكتاب « تفريج القلوب ، للخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب » ، جمع فيه بين تأليفي ابن حجر والسيوطي ، والبشارة الهنيئة لأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة ، والقول المتين في أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين ، وعمدة الراوين في أحكام الطواعين ، ومقدمة في مسائل الآجرومية وثلاث رسائل في استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية بلا آلة من الآلات : كبرى ووسطى وصغرى . وتأليف في ما يلزم من فضل على نبينا ﷺ ، أحداً من سائر الأنبياء والملائكة . وتأليف في استقبال الكعبة وجهتها والفرق بينهما ، شرح به كلام صاحب الإحياء في كتاب الفريقين .

وأما الذي لم يكمل من تآليفه فتفسير القرآن وصل فيه إلى الأعراف ، وحاشيته على تفسير البيضاوي ، وحاشيته على الإحياء نحو ثلاثة أرباع ، وشرح قواعد عياض إلى اثناء القاعدة الثانية ، وحاشيته على شرحها للقباب ، وقواعد على نمط قواعد عياض ، وتعليق على ابن الحاجب في بيان ما أطلقه من الخلاف وما خالف فيه منها مشهور المذهب – إلى سنن الصلاة – ، وتعليق على مواضع من أثنائه ، وجزء في المسائل التي انفرد بها الإمام مالك ، وجزء في مسائل لم يقف على نص فيها في المذهب ، وجزء على ما في كلام بهرام في شروحه الثلاثة من الإشكال ومخالفة النقل . وتأليف على الجواهر – إلى شروط الصلاة – ، وكتب يسيراً على تعاريف ابن عرفة وحاشية على شرح الشيخ خالد على التوضيح ، وشرح مختصر الجوني إلى المناسخات وجمع فيه المواضع التي غلط فيها صاحب القاموس صاحب الصحاح ، وجزء في الألفاظ العربية التي فسرها صاحب الصحاح كل لفظ منها بمرادفه ، كقوله : الجدب نقيض الخصب ، وحاشية على الشامل إلى شروط الصلاة ، وحاشية على الإرشاد إلى الاستقبال ، وتأليف في القراءات ، وحاشية على القطر .

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وكان من الأولياء الأكابر وله كرامات كبيرة . وقد نقل في الأصل بيان سبب صحبته لمولانا عبد السلام . أقول : وقد نقلته أنا أيضاً عن الأصل فيما تقدم . ولد في ثمانية عشر من شهر رمضان سنة أربع وتسعمائة وتوفي في تسع من ربيع الثاني سنة أربع وخمسين وتسعمائة ودفن بمكة وقبره مشهور .

سيدي محمد الحطاب الكبير :

وأما والده فهو العلامة النحرير الشيخ الكبير سيدي محمد بن عبد الرحمن الرعيني ، الشهير بالحطاب الكبير ، الأندلسي أصلاً الطرابلسي مولداً . تفقه على الشيخ محمد الفاسي وأخيه ثم قدم مع أبويه إلى مكة سنة سبع وثمانمائة ؛ أخبر بذلك ولده ؛ وأخذ عن الشيخ علي السنهوري والعلمي والسخاوي وسيدي أحمد زروق ، وأخذ عنه ولداه بركات ومحمد المذكور ، ثم ارتحل من مكة إلى تاجوراء وأسس بها زاوية ولم يزل بها إلى أن توفي . قال الخروبي : كان إماماً أستاذاً جامعاً بين الشريعة والحقيقة ، مربي السالكين متضلعاً في علم الظاهر والباطن . إلى أن قال : وكان كثير العبادة شديد الورع مهاباً وقوراً صموتاً دائم الذكر ملازم الخلوة ، إلا إذا خرج للتفسير أو لتقرير كلام القوم

وكان يستعمل السماع بشرطه مع أهله وفي محله ويقول بحضرته مقطعات الششتري وكلام ابن الفارض ويزيل ما في كلام القوم من الإشكال ، ويقسم السماع على ثلاثة أقسام : قسم لا يحضره إلا الأخص من أصحابه ، وقسم يحضره الخواص ، وقسم يحضره عوام الفقراء . وله كرامات كثيرة — انتهى كلام الخروبي باختصار .

وكان سيدي عبد السلام كثير التوسل به كما أخبر به ولداه . ولد

في العشر الأواخر من صفر سنة احدى وستين وثمانمائة . وتوفي أواسط شعبان سنة خمس وأربعين وتسعمائة ، ودفن بزاويته بتاجوراء .

سيدي محمد أبو طبل :

ومنهم الولي الكامل الشيخ سيدي محمد أبو طبل . كان من السادات الأخيار والنقباء الأبرار . حج مرات . وهو من أجل أصحاب الشيخ ويحبه ويدعو له ولا يرد له كلاماً ، وأمره بالتلقين وتبعه خلق كثير في حياة الشيخ وبعد مماته . وكان كثير الذكر والصلاة على النبي ، ﷺ ؛ وكان كثير العزلة والصمت ، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ويقرؤه بروايتي قالون وورش . وله كرامات يعطب كل من حلف عنده على كذب . ولد سنة خمس وثمانين وثمانمائة وتوفي سنة سبع وثمانين وتسعمائة ودفن بوادي بني وليد .

سيدي أحمد بحر السماح :

ومنهم الولي الفاضل الكامل سيدي أحمد ، الشهير ببحر السماح ، بن عبد الحميد بن اسماعيل بن قاسم بن عبد الحميد بن الشيخ محمد يربوع . كان من أجل أصحاب الشيخ ومن أكابرهم علماً وحالاً واتباعاً للطريقة العروسية . حفظ القرآن في زاوية الشيخ وهو ابن ثمان سنين وتفقه على أكابر علماء طرابلس ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن الشمس اللقاني وأضرابه . وحج ثم رجع إلى طرابلس وأخذ عن سيدي عبد السلام . وكان الشيخ يذكره ويشهد له بالصديقية ويقول : مريدي أحمد لا يشاكله أحد من فقراء العصر إلا عمر بن جحا . إلى أن قال : ويسمى عند الملائكة بالبحر الزاخر ، وعند الجن بالولي الصابر الحامد الشاكر ، وعند الإنس

ببحر السماح والكوكب الوضاح . كان من أوسع الناس خلقاً وكان كريماً وكان ينفق الطعام من الكون . له كرامات كثيرة . توفي سنة تسع وسبعين وتسعمائة ودفن بجانب ديله بالزاوية الغربية .

سيدي علي أبو عجيلة :

ومنهم العارف بالله ، سيدي علي بن أبي عجيلة . كان عارفاً بعلم الرقى وعلم الحساب وعلاّمة في بقية العلوم الظاهرة والباطنة . صحب الشيخ وانتفع به الانتفاع التام . ومن كراماته كان يمشي فوق البحر . توفي سنة تسع وثمانين وتسعمائة ودفن بتربة جده أبي عجيلة ببلد تليل .

سيدي راشد أبو عجيلة :

ومنهم الفقيه الصالح الشيخ سيدي راشد بن أبي زيد العجيلي الصائم الدهر ، وهو ابن عم سيدي علي المذكور . كان من السادات الأفاضل ، صاحب كرامات . منها أنه أشار على نفسه بأنه يقتل فقتله النوائل ودفن بزاوية جده . وأما جده أبو عجيلة ، قال سيدي عبد السلام توفي سنة تسع وثمانين وسبعمائة .

سيدي ابن أقيت :

ومنهم العالم الصالح الشيخ سيدي العاقب ابن محمود بن أقيت الصنهاجي نسباً التنبكتي داراً وقبراً . كان من أجل العلماء ، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأخذ عن أبيه وعمه النحو والتوحيد والمنطق

والفقه ، ثم حج ولقي الشيخ الناصر وأجازه أبو الحسن البكري وغيرهما. ثم لقي سيدي عبد السلام وأخذ عنه التلقين. كان صاحب أحوال غريبة وكرامات كثيرة. ولد سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وتوفي سنة إحدى وتسعين وتسعمائة.

سيدي ابراهيم العوسجي :

ومنهم الولي الصالح الكامل الشيخ سيدي ابراهيم بن علي العوسجي. كان قدوة ولياً صالحاً واعظاً انتفع الناس به. حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وتفقه على الشيخ الناصر وغيره ولقي الشيخ وأخذ عنه التلقين ففتح عليه. وله كرامات كثيرة لا تحصى ، منها كانت له دابة تمشي على الماء وتطير في الهواء. وإذا قال قولاً يقع ولا بد ، ولد عام أربعة عشر وتسعمائة وتوفي عام ثمانية وتسعين وتسعمائة ودفن بعوسجة الجديدة التي هي من حيز الزاوية الغربية وقبره معروف يزار.

سيدي عبد الحميد العوسجي :

ومنهم العلامة التالي لكتاب الله عز وجل بالروايات السبع ، العارف بالله ، السيد سيدي عبد الحميد بن علي العوسجي ، شقيق سيدي ابراهيم المذكور. كان من أجل أصحاب الشيخ ومن السادات الكرام المشهورين بالزهد والورع والمعرفة بالله. وكان مجاب الدعوة ويستسقى به ، وله كرامات كثيرة. حفظ القرآن عن والده وقرأ اثني عشر علماً وصحب الشيخ بعد طلعته للحج سنة احدى وخمسين وتسعمائة. وولد في غرة رجب سنة أربع عشرة وتسعمائة وتوفي سنة تسع وسبعين وتسعمائة

ودفن بالروضة المقبور بها والده . ووالده كان من رجال الله الكاملين .
— ثم قال الشيـــخ محمد مخلوف : إلى هنا انتهى بنا الكلام على تراجم هؤلاء الأئمة الأعلام ملخصة من الأصل .

(تابع) تراجم بعض تلاميذه وغيرهم ممن ألف في سيرته ومناقبه

سيدي عبد الرحمن المكي :

قال الشيخ صاحب مختصر البرموني ما نصه : ومنهم الفقيه الكامل العالم الفاضل الشيخ سيدي عبد الرحمن بن علي المكي . كان فقيهاً محدثاً مفتياً علامة ، تفقه عـــلى الشيخ الناصر وأخذ الحديث وغيره من علماء عظـــام ، واشتهر اسمه بمكة ، وتصوف ثم اجتمع بسيدي عبد السلام وأخذ عنه وبه انتفع . وهو ممن أخبر بكثير من كرامات الشيخ وجمع منها تصانيف عديدة ، وأكبرها يسمى بـ «البحر الكبير». وسئل عن سبب اجتماعه بالشيخ ، فقال : لما انتهيت من قراءة العلم صرت أدعو الله كل ليلة بعد صلاة العشاء أن يجمعني بالقطب لنأخذ عنه ؛ فرأيت في المنام كأني بباب مدينة طرابلس وانفتح الباب بعدما كان مغلوقاً وإذا برجل جميل الصورة يقول لي : القطب الغوث هو عبد السلام بن سليم . قال : فتوجهت إليه مع جماعة من بني جنسي . فلمـــا قربنا بوزليتن تلقانا ورحب بنـــا ثم طأطأ عليّ وقال لي : أنا القطب الغوث الذي كنت تطلبني ؛ فعرفت أنه علم من طريق الكشف . وله كرامات كثيرة . حج مراراً وتوفي في أوائل جمادى الثانية عام ثمانية وتسعين وتسعمائة ودفن بالبقيع .

سيدي سالم السنهوري :

قال : ومن تلاميذ الشيخ الشيخ سيدي سالم السنهوري . قال في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ما نصه : سالم بن محمد بن عز الدين بن محمد بن ناصر الدين بن فخر الدين بن ناصر الدين بن عز العرب أبو النجى السنهوري المصري المالكي ، الإمام الكبير المحدث الحجة الثبت خاتمة الحفاظ . وكان أجل أهل عصره من غير مدافع ، فهو مفتي المالكية ورئيسهم وإليه الرحلة من الآفاق في وقته ، واجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره . مولده بسنهور وقدم الى مصر وعمره إحدى عشرة سنة وأخذ عن الإمام السند النجم محمد بن احمد ابن علي بن أبي بكر الغيطي الاسكندري ثم المصري صاحب المعراج ، وعن الإمام الكبير الحجة الشمس محمد البنوفري المالكي ، وأدرك الناصر اللقاني .

وأخذ عنه الجم الغفير الذين لا يحصون من أهل مصر والشام والحرمين ، منهم البرهان القتات والنور الاجهوري والخير الرملي والشمس البادلي والشيخ سليمان البابلي ، وممن لازمه وسمع منه الأمهات الست : الشيخ عامر البشراوي . وله مؤلفات كثيرة منها حاشيته على مختصر الشيخ خليل في الفقه ، وهي عزيزة الوجود لقلة اشتهارها وانتشارها ، ورسالة في ليلة النصف من شعبان ، وغيرهما . وكانت وفاته ليلة الثلاثاء ثالث جمادى الأخيرة سنة خمس عشرة وألف ، ودفن بمقبرة المجاورين وعمره نحو السبعين ، وأرخ بعضهم وفاته فقال :

مات شيخ الحديث بل كل علم   سالم ذو الكمال أفضل حبر
قلت من غير غاية لبكاء   أرخوه : قد مات عالم مصر

سيدي كريم الدين البرموني :

قلت : وبعد أن ذكر صاحب مختصر البرموني الشيخ محمد مخلوف رحمه الله تفضل مشكوراً بعد أن ذكر تراجم من سبق فأتم الفائدة بذكر ترجمة الشيخ كريم الدين البرموني والشيخ عبد السلام العالم ، فجازاهم الله جميعاً أحسن الجزاء . وها أنا أنقل لك ذلك تبركاً بهما فنقول : . .

قال رضي الله عنه ما نصه : ومنهم العمدة الهمام القدوة الإمام صاحب الأحوال السنية وكبير الدائرة العروسية الشيخ سيدي كريم الدين البرموني ، صاحب الأصل الذي تصدينا لاختصاره . كان رضي الله من العلماء العاملين العارفين بالله السالكين ، وكان محباً لسيدي عبد السلام خصوصاً ، ولكافة العروسيين عموماً . وكان مولانا عبد السلام يحبه محبة مفرطة ، حتى ظن غالب تلامذة الشيخ أن يكون خليفته بعد موته . وقد تعرضنا أثناء المقصد لسبب محبته للشيخ . قال في الأصل : كانت ولادتي سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة في ربيع الثاني بدار جدتي لأمي حليمة ببلد مصراتة . وأخبرني الوالد أنه لما خطب الوالدة عائشة بنت عبد الرحمن بن شتوان أكثر عليه في الصداق قاصداً تطريده . فلما صلى والدها العشاء ونام جاءه سيدي أحمد زروق وقال له : زوج ابنتك للبرموني ولا تأخذ عليه إلا ربع دينار . فلما أصبح الصباح جاء والدها لوالدي وأعطاه إياها ، وكان الوالد من رجال الله الصالحين من أصحاب سيدي أحمد زروق ، وهو الذي جاء به من مصر الى مصراتة .

قال : وأول ما تعلمت الحروف والكتابة على الرجل الصالح سيدي محمد بن أبي بكر المصراتي بزاوية سيدي أحمد زروق . ولما مات تحولت لزاوية الشيخ المحجوب بالبلد المذكور عند الرجل الصالح سيدي

عبد الرحمن بن بركات . كان من أكابر الآخـــذين عن سيدي عبد السلام ، وكان يحبني ويدعو لي بما أرجو قبوله من الله . وحفظت عليه القرآن وأنا ابن تسع سنين ، ثم توجهت للزاوية الزروقية فوجدت بها الشيخ شمس الدين اللقـاني ، تلميذ سيدي أحمد زروق وخليفته ، فقرأت عليه الأجرومية والألفية والعقائد السنوسية ، وهو أول مشائخي .

وفي ذلك الوقت أخذت التلقين عن سيدي عبد السلام ، ولم أفارق الشيخ شمس الدين إلى أن قفل إلى بلده لقـانة . ومكثت بعده بمدرسة الرخام بطرابلس لتعليم الغبار والفرائض والفلك ، ثم رحلت للقـــانة ولازمت بها الشيخ شمس الدين وأخذت عنه علوماً وآداباً إلى أن توفي . ثم ذهبت للحج والزيارة واجتمعت بأخيه سيدي الناصر وانتفعت به ، واجتمعت بالشريف يوسف تلميذ السيوطي والجمال بن الشيخ زكيا والشيخ عبد الرحمن التاجوري ، وبمكة والمدينة بأمين الدين الميموني وابن حجر الهيثمي وعبد العزيز المتيطي وعبد العاطي السخاوي وعبد القـــادر الفاكهاني وانتفعت منهم . ولازمت أبا المكارم البكري وتبركت به وأخذت عنه الفوائد .

ثم رجعت إلى طرابلس وزرت مولاي عبد السلام وأمرني بالمكث عنده فمكثت عنده إلى أن توفاه الله . وشرعت في شرح المختصر فحصل لي تمامه في جزئين والذي رآه من الحسدة من أهل مصر لحقته غيرة شديدة – وأنا إذ ذلك بطنده كتب عليه كتابة إلى أن قال ، والله ما هذا بشرح وإنما هو تسويد للبطاقة ، وشنع عليَّ تشنيعاً شديداً . فلما صليت العشاء توجهت لناحية الشيخ وسألته على نحو مـا نص عليه وبكيت . فبينما أنا كذلك ، وإذا بكلام الشيخ في الهواء يقول :

يا برموني يا مريدي لا تحتار من فقهـاء هـــذا الزمان

أوثق بالله ولا عليك في الانكار واكثر من ذكر المستعان
ارحل من طنده وسائر الانصار واسكن مكـــة تستبان
تعليقك فاق الشروح خفا واجهار وأنت مفتي ذا الزمـــان

فارتحلت من طنده إلى مكة ، شرفها الله ، ورأيت من العلوم والعز والقبول عند الأمراء وغيرهم ما لم يكن لغيري في وقتي . قال : وخاتمة أشياخي وابتداؤهم هو المولي العظيم الكامل الكريم إمام وقته ووحيد دهره وشيخ شيوخ أهل عصره المربي الواصل القطب الغوث المكاشف ذو المقامات العلية والأحوال السنية والأفعال المرضية شيخ الطريقة وإمام أهل الحقيقة سيدي عبد السلام بن سليم ، عليه أخذت العهد والورد وهو التلقين للذكر ، وله مشيخة علينا كبيرة وخدمناه زمناً طويلاً وأفادنا علماً غريباً جليلاً وقفنا ببابه وأدبنا بآدابه فانتعشت بطيبه أرواحنا وخدمت بنوره أنفسنا واطمأنت به قلوبنا وانشرحت بعلومه صدورنا . أذكاره مسندة صحيحة . ولقنا الذكر على الطريق المعروف والوصف المألوف وادخلنا بذلك في زمرة المريدين وديوان السالكين وحزب الصالحين . وكانت صحبتنا له بمصراته ولله الحمد والشكر على ذلك . انتهى — أصل ..

ثم قال : وقال سيدي أحمد بابا في نيل الابتهاج ما نصه :

كريم الدين البرموني : من شيوخ العصر ، أخذ عن الناصر اللقاني وغيره ، له حاشية على مختصر خليل في مجلدين ، كان حياً بمكة سنة ثمان وتسعين وتسعمائة . قلت : وأخذ عنه علماء أجلة ، منهم الشيخ ابراهيم اللقاني وأبو الحسن علي الاجهوري .

قلت : ثم قال الشيخ مخلوف رحمه الله تعالى : بقي علينا ترجمة صاحب فتح العليم حيث كثر النقل عنه أثناء هذا الكتاب ، من ذلك : الوصية الصغرى ؛ وتبركاً به ، نذكر ترجمته على النحو الآتي :

سيدي عبد السلام العالم :

قال : هو العالم الماجد الفاضل سلالة الأماجد الأفاضل ، الولي الصالح العامل الشيخ سيدي عبد السلام ، المشتهر بالعالم بن الشيخ الصالح سيدي عثمان بن الشيخ الصالح سيدي عز الدين ابن الولي الصالح الكامل سيدي عبد الوهاب بن قطب الأقطاب سيدي عبد السلام بن سليم رضي الله عنهم . قال في خاتمة كتابه فتح العليم ما ملخصه :

ولدت سنة خمس وثمانين وألف وأخذت التلقين عن قطب الواصلين المربي العارف بالله إمام السالكين الشيخ سيدي أبي راوي ابن الشيخ سيدي محمد عرفة الدوفاني ابن الشيخ سيدي عمران ابن مولانا عبد السلام ابن سليم . وكتب في ترجمة شيخه أبي راوي المذكور نحو ثلاثة كراريس ، ثم قال : ولد سنة ثلاث وأربعين وألف وتوفي سنة ثمان وثمانين وألف ، وقبره بجربة معروف . وسيدي أبو راوي أخذ عن القطب الغوث الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي عمر بن جحا ، خليفة مولانا عبد السلام . وقد أطال في ترجمة سيدي محمد المذكور وذكر أنه بلغ الغواثة كأبيه ؛ توفي سنة سبع وألف ودفن بلقاطة من ساحل حامد وقبره معروف هناك . ثم عدد المشايخ الذين قرأ عليهم العلوم ، وهم كثيرون ، وترجم لهم . منهم الشيخ علي المفرجاني . قال بعد كلام : ثم رحل الشيخ المذكور للاعراض وقرأ على الشيخ ابراهيم الجمنى وقبره مشهور بساحل حامد وله زاوية بشنني قابس مقبور بها ابنه الولي الصالح سيدي عبد السلام . ومنهم سيدي عبد القادر الفاسي والشيخ ميارة . ومنهم سيدي حمزة ابن صاحب الرحلة سيدي عبد الله العياشي . ومنهم الشيخ محمد العروسي السوسي التونسي وأخوه عبد الله ، ومنهم سيدي عبد الباقي الزرقاني المتوفى سنة تسع وتسعين وألف ، ومنهم الشيخ سيدي محمد الخريشي المتوفى عام واحد ومائة

وألف ، ومنهم سيدي أحمد الشرفي الصفاقسي ، ومنهم سيدي ابراهيم الشبرخيتي ، ومنهم الشيخ الشرقاوي المتوفى سنة ثلاث ومائة وألف ، ومنهم سيدي ابراهيم الكردي المتوفي سنة اثنتين ومائة وألف . قال : وأجازني أنا وجماعة ، منهم العالم الصالح سيدي علي النوري الصفاقسي وذلك عند قصدنا الحج ، ومنهم سيدي محمد السوداني البرناوي .

- انتهى المقصود منه باختصار كثير .

قلت : وانتهى أيضاً ما أوردنا نقله من هذه التراجم من مختصر البرموني للشيخ محمد مخلوف رحمه الله . وتبركاً بهذا العالم الفاضل ، وإتماماً للفائدة وعملاً بما ينبغي مع أمثاله من أهل الفضل علينا ، نذكر ترجمته على نحو ما حكى عن نفسه في كتابه الجليل فنقول ، وبالله التوفيق :

سيدي محمد مخلوف :

أقول : لقد توقفت كثيراً عندما وجدت تراجم السادة الذين كتبوا سيرة مولانا عبد السلام ووجدت تراجمهم في كتبهم ، أو في كتاب مختصر البرموني ، وذلك مثل الشيخ البرموني والشيخ سالم السنهوري والشيخ المكي والشيخ عبد السلام العالم ، ولم أجد ترجمة الشيخ محمد مخلوف الذي اختصر البرموني وذكر تراجم هؤلاء ، ولم أجد له ترجمة في كتابه هذا . توقفت وصرت أبحث لعلي أجد من اطلع على ترجمة له .

وذات يوم في جلسة مع أحد الأصدقاء وكان مطلعاً على التاريخ محباً للبحث في الكتب والمؤلفات ، دار الحديث بيننا في هذا الموضوع فأخبرني بأنه تحصل مؤخراً على كتاب عظيم يدعى « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » . وقال : إن صاحبه محمد بن محمد مخلوف ويبدو

أنه تونسي . فقلت له : إن هذا الاسم هو لصاحب مختصر البرموني ، فأرجوك أن تعيرني إياه لعله ترجم نفسه فيه . وفعلاً أعارني اياه مشكوراً واطلعت على بعض أبحاثه فوجدته كتاباً قيماً ومؤلفاً جليلاً أنصح كل من يريد الاطلاع على القديم في الثوب الجديد من الأبحاث العلمية والتاريخية أن يقتني هذا الكتاب ويطلع على ما فيه من علوم ومعارف .

ثم صرت أتصفحه وأتتبع فهارسه إلى أن اهتديت إلى ترجمة المؤلف بين طياته . وقد أطال رضي الله عنه في ذكر مجموعة كبرى من مشائخه وتراجم حياتهم ، وأنا اقتصر على نقل ترجمته هو مجردة من ذلك طلباً للاختصار . ومن أراد أن يطلع على ذلك فعليه بهذا الكتاب الجليل ، فإن فيه العجب العجاب . جازاه الله عن الإسلام وأبنائه خير ما يجازى كاتب مخلص وناقل أمين . قال ، رضي الله عنه ، عند ذكر شيوخه الذين قرأ عليهم بالمنستير ما نصه :

حفظت القرآن العظيم برواية ورش بزاوية الولي الصالح الشيخ عمر القلال ، على المؤدب الشيخ محمد خفشه ونعرض أحزابي ليلاً على الشيخ علي الخيري . وحفظت كثيراً من المتون في فنون شتى ، وقرأت الحساب والفرائض على الثقة حسين لاز ، والعمل بالربع المجيب وتوحيد المرشد المعين على الموثق الشيخ علي زهرة . ثم قال بعد كلام : اعلم أني ذكرت فيما تقدم مشائخي الذين هم الآباء في الدين والوصلة بيني وبين رب العالمين ، وبقي عليّ ذكر أب الماء والطين لأكون قد أديت المطلوب ووفيت بالمرغوب من الثناء عليهم والشكر لهم ، والله ولي التوفيق .

وعليه فأقول . أني لما حفظت القرآن العظيم على نحو ما تقدم شرحه طرأ على والدي ما كدر حالي وغير بلبالي ، ودام ذلك نحو أربع سنوات لم يقع فيها مني التفات لقراءة العلوم ، وصار الالتفات إلى ذلك في حكم

المعدوم ، لحصول ارتباك في ثروته سببه وكونه لظالم وهو الوزير مصطفى ابن اسماعيل. قال عز ذكره : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » . وبعد ذلك تحسن الحال والحمد لله على كل حال ، ووالدي رحمه الله هو محمد بن عمر بن قاسم مخلوف الشريف ينتهي نسبه للشيخ عمر مخلوف الآتي ذكره في الخاتمة . كان يؤثرني على إخوتي واعتنى بتربيتي وتهذيبي حتى حصل على مرغوبه ، واتصل بمطلوبه . وكانت وفاته في غرة شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة والف ودفن حذو قبر جده المذكور .

وكان محباً للعلماء والمنتسبين والأولياء والصالحين ، كثير الزيارة لهم والتردد عليهم ، فعادت بركته وبركتهم عليّ في الدنيا وإن شاء الله في الأخرى كذلك . وممن عادت بركته علينا الشيخ الصالح المجذوب المشهور ابراهيم الهبردي الورداني . كان والده ذا ثروة وزهد في ميراثه وذهب للمنستير وأقام به ما يربو على العشرة اعوام وغالب إقامته بدارنا ؛ ومن زهده أنه لم يعلم أنه لبس غير الحرام المرقع ، ولم يعلم أنه أخذ درهماً من أحد بطلب أو بدون طلب . وله كرامات ظاهرة كثيرة متواترة . ولما طعن في السن رفعه أهل بلده إلى مسقط رأسه وبه توفي سنة أربع وثلاثمائة وألف ودفن بزاويته المقصودة بالزيارة حتى الآن .

ولما انتهى دور تلك السنوات وتبدلت الأحوال ، زودني والدي بالدعاء الصالح والمال بقصد الترحال إلى الحاضرة المحروسة . فيسر الله البلوغ إلى رحابها المأنوسة في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين ومائتين وألف . وبعد أن حصلت على المنزل الذي هو الركن الأول دخلت جامع الزيتونة لأقطف من أزاهر العلم أصوله وفنونه ،

ووجدت به سادة أئمة قادة يهتدون بهم في ظلم الجهل المدلهم، صدور علم وفرسان كلام في ميدان نثر ونظام، اشرقت شمس فضائلهم في ميدان السعود ونظموا في سلك الفضائل تنظيم الدر في أسلاك العقود، رياض آداب كلها زواهر وبحار علم كلها لآلىء وجواهر. فقرأت على من ترجمت لهم في الماضي وهم أفاضل امتطوا من سائر العلوم قوارب الإنتاج، وأماثل فاضت بحور علومهم كما يفيض البحر المتلاطم الأمواج، واغترفوا من حياض المعارف نمير الحقائق واقتطفوا من رياض الآداب ثمرات اللطـائف والرقائق. وإذ ذاك غصن الصبا بأيام السعادات مورق وبدر الشباب في سماء الكمالات مشرق، وأنا خلي البال مما يشغل البلبال لا دأب لي إلا مواسم وفود العلوم في سوق عكاظها، ولا شغل لي إلا اكتشاف رسائم وجود المعاني المخبأة تحت براقع ألفاظها، واقتناص الشوارد وتقييد الأوابد.

فعكفت على ذلك الحال ولازمت ذلك المنوال حتى حصلت على رتبة التطويع بعد الاختبار من السادات النظار. وهي رتبة يكون صاحبها من العدول المبرزين وممن يمكن نظمه في سلك المدرسين، وذلك سنة سبع وثلاث مائة وألف، وأقرأت بالجامع المذكور: الصغرى وصغرى الصغرى والعشماوية والمرشد المعين والرسالة والأجرومية والقطر والمكودي على الخلاصة من أوله إلى العطف.

وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف أسند إليّ التدريس بالمنستير وفيها أسندت إليّ خطة الفتوى بقابس ثم القضاء بهـا. وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف أسندت إليّ خطة القضاء بالمنستير وخطة الإمامة والخطابة

بجامعها الكبير . وفي اثناء الإقامة بقابس ألفت « مواهب الرحيم في مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم » المتوفى سنة تسع وثمانين وتسعمائة وطبع وانتشر. وشرعت في هذا التأليف وعرضت أثناء جمعه عوائق كثيرة . وحررت رسالة في فضيلة الطب والمستشفيات وتقريرات على الأربعين الثنائيات المذكورة في طبقة التابعين ، غير أنها محتاجة إلى التهذيب وقد عرضت موانع تمنع من الحصول على المطلوب وإن زالت وقدر الله مهلة في الأجل وتسهيلاً في العمل فإني أستأنف ذلك ، والله الموفق والمعين .

انتهى من كتاب « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية .. »

تَرجَمَة صَاحِب هَـذا التَقيِيْد

تتميماً للفائدة وتشبهاً بالسادة واقتضـاء بهم نذكر ترجمتي باختصار فنقول : إن نسبي هو كما يلي : محمد ، لقب الطيب وكني بأبي علي بن عثمان بن محمد بن سليم بن بشر بن سليمان بن طاهر بن عبد الهادي ابن طاهر بن عبد الله لقب المصري ، ابن عبد السلام الأسمر بن سليم بن محمـد بن سالم بن حميدة بن عمران الشهير بالخليفة بن محيا بن سليمان ابن سالم بن خليفة بن عمران بن أحمد بن خليفة الملقب بفيتور ابن نبيل بن عمران بن احمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد القادر بن عبد الرحيم بن احمد بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب ، وابن سيدتنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

ولدت بمصراتة إحدى مدن ليبيا بقرية تعرف « بأولاد فتح الله » عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية . وعندما بلغت السابعة مـن عمري وضعني أبي في الكتاب أقرأ القرآن الكريم كعادة أهل بلادنا على السيد الفاضل الشيخ محمد بن عامر ، رحمه الله . وبعـد أن عرفت القراءة والكتابة ووصلت إلى سورة يوسف في أول شقة انتقلت إلى زاوية تعرف بزاوية الباي ، قريبة من سوق البلد مصراتة ، وبها تلوت القرآن تلاة جيدة على الشيخ الفاضل الحاج علي بن حسن المنتصر ، رحمه الله . وعلى اثر ذلك انتقلت إلى زاوية سيدي عبـد السلام الاسمر بظليتن لدراسة

العلوم الشريفة . وهكذا قضيت فيها ما يقرب من عشر سنوات وتحصلت على قسط كبير من المعلومات المختلفة ولله الحمد والمنة .

ثم عينت مدرساً بزاوية المحجوب بصراتة وبقيت فيها ما يقرب من ثلاث سنوات ، ثم عينت مدرساً لزاوية سيدي عبد السلام ومكثت كذلك نحو ست سنوات . ثم عينت مدرساً بنظارة المعارف للمدارس الثانوية ولم نمكث بها طويلاً حتى نقلت إلى معهد أحمـــد باشا بطرابلس كمدرس ، والذي قد التحق بالمعهد السنوسي الذي أصبح بعد حين « جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية » . ثم عينت مديراً لإدارة المساجد بالبيضاء وانضمت اليها مؤخراً إدارة الوعظ والإرشاد ، وبقيت أقوم بمهام الإدارتين مدة . ثم نقلت كمدير لمعهد أحمد باشا الديني بطرابلس ولا زلت أشغل هذا المنصب حتى إعدادي هذا التقييد .

هذا وقد ذكرت ترجمة حياتي بصورة مفصلة وبينت فيها الأحداث والحوادث التي مرت بي في أطوار حياتي كلها ، والأعمال التي قمت بهـا كطالب وكمدرس ثم أخيراً كموظف بالمناصب الإدارية . وأودعت ذلك في تقييد سميته « الروض العاطر في حياة أبي علي ابن طاهر » . وطلباً للاختصار نكتفي بهذا ومن أراد الاطلاع على أكثر فعليه بهذا التقييد المشار اليه .

الاولياء الذين اجتمعت بهم :

كان الوالد ، قدس سره ، يحب الأولياء والصالحين ويقربهم ، ويتبرك بدعوتهم لزيارة بيته سواء منهم السالكون والمجاذيب . وممن أعرفه منهم وأنا صغير جداً لا أزيد على السابعة من عمري الشيخ محمد بن طاهر لقب الناكوع من أولاد الشيخ الذين هم بقبيلة الرقيقة بظليتن : كان من

كبار الأولياء يقص علينا الوالد الكثير من كراماته . منها أنني كنت ألعب قريباً منه وهو يتحدث إلى الوالد ، فقال له الوالد : يا سيدي محمد لو كنا نعرف الصالحين . قال له : كيف تعرفهم ! الصالحون يقولون لك إن هذا الصبي سيكون من العلماء .

ثم غير الكلام وخلطه بما عمى الأمر على الوالد . حكاها لنا الوالد بعد أن أنعم الله عليّ وكنت في عداد أهل العلم والحمد لله . ومنهم سيدي منصور بن فائد ، وهو من مجاذيب الفواتير ، وقد تشرف الوالد بدعوته إلى البيت وصدفة كان لي أخ في بلد سرت وخفنا عليه أن يؤخذ في الجندية مع الايطاليين في الحرب العالمية الثانية وتمنينا لو رجع إلى البلاد قبل أن يقبضوا عليه ؛ فصار هذا المجذوب يتحدث ؛ ومن جملة ما خلط به كلامه أن قال : الغائب يجيء قبل الصبح . وفعلاً قدم الأخ آخر الليل . وكان يناديني وأنا صغير اجلس بينهم بقوله : يا حاج الطيب . وقد منّ الله عليّ فأديت فريضة الحج ، رحمه الله تعالى .

ومنهم سيدي الشيخ حسين بن الأمين من أولاد سيدي عثمان بساحل آل حامد ، وكان صاحب بركة وقد زارنا في البيت وتبركنا به . ومنهم شقيقه سيدي الشيخ عمر بن الأمين ، وقد اشتهر بمدينة طرابلس وكان يغلب عليه حال الجذب في آخر عمره . ومنهم سيدي علي البكو ، الولي المشهور بظليتن وقد اجتمعت به عدة مرات وطلبت منه الدعاء مرات ومرات . وكثيراً ما كان يمر بزاوية الشيخ عندما كنا بها فيجتمع عليه الطلبة ويسألونه الدعاء . وقد وقعت له معي بعض الكرامات ، منها أننا جئناه عند مروره بمقبرة سيدي عبد السلام ، وكنت ضمن مجموعة من الطلبة فسلمنا عليه ووقفنا نسأله الدعاء الصالح . وصدفة كنا نذاكر ونحضر للدروس وبأيدينا الكراريس العلمية ، فقال : ماذا تعملون ؟ فقلنا : نشرب الشاي عند ضريح سيدي شميلة بنفس

المقبرة ونذاكر . فقال هذه الجملة : « يا سعودي بكم ما زلتم تطالعوا في الكتب الصفراء » . ونحن إذ ذاك لا نعرف معنى هـذا الكلام . وإذا بالأمور تتغير وأصبح تتبع الأوراق الصفراء اليوم في نظر المثقفين العصريين عنوان التزمت والتأخر ، لأنها تعني كتب الفقه والتفسير والحديث وعلوم الدين بصفة عامة ، وهم يسخرون منها وممن يتبعها . وهكذا أخبر بهذا الحال قبل وقوعه .

ثم وقف هنيهة وقال ، ـ وكان عادته يتحدث ويتساءل ويرد على نفسه بنفسه والناس يصغون – قال : نقرأ ونطالع لأي شيء ؟ ماذا نريد من قراءتنا ومطالعتنا ؟ اننا نريد الجنة ... لا ، لا ، لا . لا نريد الجنة . إننا في غنى عنها . وعندما وصل إلى هذه الجملة تغيرت وتحركت نفسي في غضب واشمئزاز : ماذا نريد ، وأي شيء يغنينا عن الجنة ، وما معنى هذا الكلام ؟ فانحنى على كتفي وربت عليّ وقال : أي برؤيته يا سيدي ، أي برؤيته يا سيدي – فتذكرت قول القائل :

فينسون النعيم إذا رأوه فيا خسران أهل الاعتزال

وذهب من وقته ولم يزدنا على ذلك ؛ وغير هذا كثير من كراماته رضي الله عنه ونفعنا به . وقد توفي بظليتن وتشرفت بحضور الصلاة عليه ، وقد ابنته بكلمة تتناسب مع مقامه ودفن بمقبرة سيدي مفتاح بالفواتير ، نفعنا الله بهم جميعاً .

ومنهم سيدي محمد بن عز الدين الشيخي المصراتي ، وكان من الأولياء السالكين الذاكرين ، وقد تجرد للعبادة في زهد وورع وترك الدنيا وزخارفها ، واستمر في عبادته وحضوره الدروس العلمية إلى أن توفاه الله . وكثيراً ما كنا نتشرف بزيارته ونطلب منه الدعاء الصالح . وكان يزور

سيدي عبد السلام أيام كنا ندرس بالزاوية ، وندعوه بالخلوة فيستجيب لدعوتنا في تواضع الأولياء الكبار ويأخذ بخاطرنا . وكان كثير الصيام والقيام ، وكان يعذب نفسه ولا يعطيها رغباتها إلا في الماء. وله كرامات كثيرة نفعنا الله بأسراره .

ومنهم سيدي ابراهيم الصفراني ، لقب الأحيمر ، وكان من الأولياء ؛ وكثيراً ما تشرفنا بالاجتماع به في زاوية الشيخ عندما كنت طالباً وبعد أن رجعت مدرساً ، رحمه الله ونفعنا به ومنهم من عرفته معرفة بسيطة وذلك لصغر سني ببلدنا مصراتة ، وهم سيدي أحمد بن خالد وسيدي محمد الناقوزي وسيدي علي أبو بندقة ، سمي بذلك لأنه يجعل حبلاً في طرفي عصاه ويلبسه في عنقه . ومنهم سيدي البلبالي الذي تقدم بعض شيء في شأنه ، ومنهم سيدي الشيخ محمد التركي وسيدي علي بن عيسى الشيخي ، وما زالا على قيد الحياة . ومنهم غير ذلك ممن لم أستحضر اسماءهم الآن ، نفعنا الله بهم وببركاتهم وأسرارهم في الدنيا والآخرة .

العلماء الذين حضرت عليهم وانتفعت بهم :

من هؤلاء السادة الذين حضرت دروسهم وانتفعت بهم الشيخ الفاضل ابراهيم السني المنتصر المصراتي ، والشيخ الفاضل محمد بن عبد الرحمن ابن نصر بعيو المصراتي ، والشيخ الفاضل البشير السباعي ؛ ومنهم بالمعهد الأسمري بظليتن الشيخ الفاضل أحمد المبسوط والشيخ الفاضل رحومة الصاري والشيخ الفاضل منصور أبو زبيدة والشيخ الفاضل عمران العلوص والشيخ الفاضل عبد السلام بن رحاب والشيخ الفاضل محمد بن رحاب والشيخ الفاضل عبد الله طليبة والشيخ الفاضل محمد قريو والشيخ الفاضل فرج الفيتوري والشيخ الفاضل أحمد أبو حجر والشيخ الفاضل الهادي عرفة والشيخ الفاضل عبد الله حمودة .

ومنهم بمدينة طرابلس على سبيل التبرك والانتساب، مع قصر مدة التلقي والحضور، الشيخ الفاضل الحاج علي الغرياني والشيخ الفاضل محمد المصراتي والشيخ الفاضل علي حسن المسلاتي والشيخ الفاضل عبد الرحمن القلهود والشيخ الفاضل عبد الحميد عاشور والشيخ الفاضل المهدي أبو شعالة والشيخ الفاضل عمر العربي الجنزوري؛ وببلاد سرت: الشيخ الفاضل عبد الله بن نصر المصراتي والشيخ الفاضل علي الزين المصراتي، جازاهم الله عنا خيراً ونفعنا بعلومهم آمين.

العلماء الذين اجتمعت بهم وتدارست معهم:

ومن العلماء من تدارست معهم أو تدارس غيري معهم بحضوري بعض المسائل العلمية، ومنهم من كان جلوسي معه على سبيل التبرك فقط. فمنهم في مصراتة: سيدي الشيخ رمضان أبو تركية وسيدي الشيخ رمضان بليبلو وسيدي الشيخ عبد الرحمن بن نصر وسيدي الشيخ السنوسي بن عبد العالي وسيدي الشيخ عبد الرحمن بن حقيق وسيدي الشيخ عبدالله الدلفاق وسيدي الشيخ خليفة الهشي وسيدي الشيخ محمد المغراوي وسيدي الشيخ مفتاح قريو، هؤلاء من تقدموا وكانوا كبارُ السن وقت ذلك. ومن المعاصرين لنا: فضيلة الشيخ مفتاح اللبيدي وفضيلة الشيخ مصطفى التريكي وفضيلة الشيخ كمال المنتصر وفضيلة الشيخ مصطفى المجعي؛ وفي ظليتن: فضيلة الشيخ علي الشويطر وفضيلة الشيخ محمد جوان وفضيلة الشيخ أحمد الصاري وفضيلة الشيخ أحمد الكيلاني وفضيلة الشيخ طاهر أبي زبيدة وفضيلة الشيخ سليمان الزوبي وفضيلة الشيخ عمر بن غويلة وفضيلة الشيخ محمد غريبي وفضيلة الشيخ أحمد بن حامد وفضيلة الشيخ محمد بن محسن وفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن حكومة وفضيلة الشيخ منصور الشويرف وفضيلة الشيخ محمد المدني وفضيلة الشيخ محمد الشويرف؛ ومن قصر

خيار : فضيلة الشيخ حسين بن عبد الله وفضيلة الشيخ محمد بن حسين ابن عبد الله وفضيلة الشيخ محمد بن حسين أشفلو وفضيلة الشيخ محمد ابن رحاب ؛ وفي بنغازي فضيلة الشيخ محمد الصفراني وفضيلة الشيخ الكوافي وفضيلة الشيخ عبد الحميد الديباني وفضيلة الشيخ محمد الحامي وفضيلة الشيخ محمد بن يعقوب وفضيلة الشيخ منصور المحجوب .

وفي طرابلس من العلماء كبار السن فضيلة الشيخ علي سيالة وفضيلة الشيخ محمد سالم المفتي وفضيلة الشيخ أبو الإسعاد العالم المفتي وفضيلة الشيخ محمد بن عليوة وفضيلة الشيخ عمر التومي بالهنشير ؛ ومن المعاصرين الاستاذ علي مصطفى المصراتي والأستاذ عمر التومي المصراتي والاستاذ مصطفى بعيو المصراتي والشيخ ابراهيم رفيدة المصراتي . وهذا بالإضافة إلى المشايخ الذين درست عليهم وحضرت معهم كما سبق . وبالإضافة أيضاً إلى العدد الكبير الذين يفدون إلى ليبيا في مناسبات عديدة من علماء مصر وتونس والسودان وسوريا ولبنان والحجاز مما لا يمكنني استحضار أسمائهم الآن ؛ جازاهم الله عنا خيراً وإحساناً .

العلماء الذين اجتمعت بهم في تونس :

سنحت لي الظروف برحلة في سنة ست وستين وتسعمائة وألف ميلادية إلى الجمهورية التونسية صحبة مجموعة من طلبة الجامعة الإسلامية ؛ وقد تجولنا في أغلب جهات الجمهورية واجتمعنا بعدد من العلماء الأفاضل أتشرف بتسجيل أسمائهم في هذا التقييد وهم : فضيلة الشيخ مصطفى بن حميدة وفضيلة الشيخ الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة سابقاً وصاحب التآليف المشهورة ، وفضيلة الشيخ البشير النيفر ، وهو من مشاهير العلماء ، وفضيلة الشيخ محمد الزغواني من كبار العلماء ذوي النقل

والبحث . وقد حضرنا له درساً في كتاب الشفاء بأحد مساجد تونس العاصمة ، وفضيلة الشيخ الفاضل بن عاشور ابن الشيخ الطاهر المذكور ومفتي تونس في الوقت الحاضر ، وقد استمعنا إلى محاضراته الكثيرة في ليبيا وفي تونس ، والأستاذ عثمان الكعاك المؤرخ المشهور في العصر الحاضر ، وغيرهم كثير ممن لم أستحضر اسمه الآن .

العلماء الذين اجتمعت بهم في المغرب الأقصى :

لقد سنحت لي الظروف بزيارة بعض مدن وقرى المملكة المغربية العربية المسلمة في سنة اثنتين وستين وتسعمائة وألف ميلادية في مناسبة كريمة ، وذلك أنه جرت عادة ملك المغرب آنذاك الحسن الثاني أن يقوم بإحياء سنة والده المغفور له الملك محمد الخامس وذلك بأن يقوم العلماء بين يديه بإلقاء دروس في الحديث الشريف طوال ليالي رمضان المعظم ، وفي صالة كبيرة قرب ضريح والده رحمه الله . فوجه بهذه المناسبة دعوة إلى علماء البلاد الإسلامية ، وكنت لحسن الحظ من بين من حظي بتلك الدعوة نيابة عن علماء ليبيا مع صحبة بعض العلماء الآخرين ، وكتبت في ذلك رحلة وصفت فيها ما شاهدته ووقع عليه نظري ، وقلت في آخرها ما يناسب موضوعنا هذا من ذكر أسماء بعض العلماء .

قلت : وقبل أن أنهي الكلام على هذه الرحلة المباركة يسرنا أن نذكر هنا أسماء السادة العلماء الذين حظينا بمقابلتهم والاجتماع بهم في مختلف بلاد المغرب الحبيب والتي قدر لنا أن نزورها ونتشرف بها . فمن بين هؤلاء العلماء الأفاضل بمدينة الرباط العاصمة والذين تعرفنا بهم فيها فضيلة الشيخ محمد الطنجي والاستاذ قدور الورطاس والاستاذ محمد برادة وفضيلة الشيخ محمد المعمري وفضيلة الشيخ مختار السوسي وفضيلة

الشيخ محمد محمد الحسناوي وفضيلة الشيخ أبو بكر الفقيه وفضيلة الشيخ محمد عبد الله العلوي وفضيلة الشيخ عبد الله عبد الرحمن وفصيلة الشيخ عبد الرحمن الحسن العمراني وفضيلة الشيخ محمد المفضل وفضيلة الشيخ الحسين وجاج ؛ وفي مدينة فاس ، مدينة العلم الخالدة ، تعرفنا على فضيلة الشيخ حسن أبي عياد وفضيلة الشيخ المهدي وفضيلة الشيخ محمد جواد ؛ وفي مدينة مراكش اجتمعنا بفضيلة الشيـخ حسن الزهراوي وفضيلة الشيـخ المهدي وفضيلة الشيخ عبد السلام جبران وفضيلة الشيـخ محمد البرواني .

هذا ما أردنا تسجيله في هذا التقييد ضارعين إلى الله ، جلت قدرته ، أن يكون من الأعمال الخالصة لوجهه الكريم ، وأن ينفع به من يقتنيه ويطالعه ويطلـع عليه من يسمعه ويصغي إليه . وأقول ثانية بعد أن قدمت ذلك في مقدمتي أول هذا التقييد ، إني معترف بعجزي وقصوري عن إدراك مرتبة المؤلفين ، وإنما لي من شبههم قدر ضئيل وليس لي في هـذا التقييد إلا النقل والجمع مع نتف قليلة مضافة إلى ذلك ؛ فإن أحسنت ذلك فهذا المبتغى وإن لم اوفق فأنا محل الخطأ والنسيان لأنني إنسان ضعيف لا حول لي ولا قوة وما توفيقي إلا بالله ؛ عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن دعـا بدعوته إلى يوم الدين . وآخر دعوانا ، أن الحمـد لله رب العالمين . كان الفراغ من تبييضه ليلة الثلاثاء السادس والعشرين من شهر شعبان المعظم لسنة سبـع وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية .

فهرست الكتاب

مراجع هذا الكتاب

١ – الوصية الكبري لمولانا عبد السلام
٢ – الأنوار السنية له أيضاً
٣ – روضة الأزهار للشيخ كريم الدين البرموني
٤ – مواهب الرحيم للشيخ محمد محمد مخلوف التونسي
٥ – النور النائر للشيخ سالم السنهوري
٦ – فتح العليم للشيخ عبد السلام العالم التاجوري
٧ – الحاوي للفتاوي للشيخ السيوطي
٨ – احياء علوم الدين للشيخ الغزالي
٩ – شجرة النور الزكية للشيخ محمد محمد مخلوف
١٠ – رسالة السيد سالم حمودة في تاريخ مولانا عبد السلام
١١ – كتاب في حوادث العصر للشيخ محمد بن نصر
١٢ – المنهل العذب للشيخ أحمد النائب
١٣ – تاريخ ليبيا للشيخ محمد مسعود

كتب للمؤلف

١ – فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة عبد السلام الأسمر
٢ – تحفة الشباب في بيان الخطأ من الصواب
٣ – بستان الأدباء في الخطابة والإنشاء
٤ – الرحلة الحجازية
٥ – الرحلة البرقاوية
٦ – الرحلة الطلابية إلى البلاد التونسية
٧ – الرحلة إلى المغرب الأقصى
٨ – النزهة الربيعية
٩ – الروض العاطر في حياة أبي علي بن طاهر
١٠ – الدروس التوحيدية للناشئة الإسلامية
١١ – مشاكلنا الاجتماعية وحلولها
١٢ – من هدي الرسول الأعظم « مجموعة أحاديث صحفية »
١٣ – محاضرات في مناسبات مختلفة
١٤ – نظم متن أم البراهين للإمام السنوسي
١٥ – مجموعة كبرى من الأحاديث الإذاعية والصحفية
١٦ – دراسة لبعض الشخصيات الإسلامية كالسيد جمال الدين الافغاني
١٧ – ديوان شعر يشتمل على عدد من القصائد في مختلف الأغراض الشعرية

